العدد ١٠ مارس ٢٠٢٣ شعبان ١٤٤٤

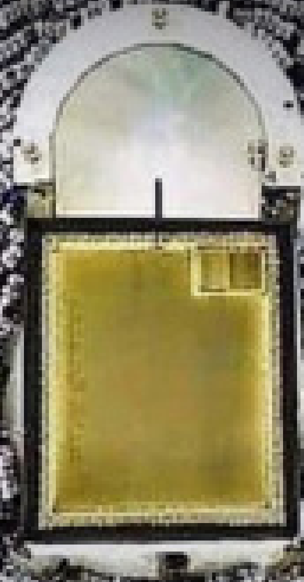
الأمين العام للهيئة
د. محمد الصغير

رئيس التحرير
محمد إلهامي

أنصار النبي صلى الله عليه وسلم

تصدر عن
الهيئة العالمية لنصرة نبي الإسلام صلى الله عليه وسلم

فول وجهك شطر المسجد الحرام



حوار خاص مع د. نواف التكروري رئيس هيئة علماء فلسطين في الخارج

مجلة أنصار النبي ﷺ
تصدر عن الهيئة العالمية لنصرة نبي الإسلام ﷺ



أهداف الهيئة

تضع الهيئة هدفها الرئيسي على هذا النحو:

«أن يكون جناب النبي ﷺ مصوناً محترماً، وأن تكون الإساءة إليه مجرمة قانوناً في سائر أنحاء العالم» وهو الهدف الكبير الذي يحتاج إلى عمل ضخم ودؤوب على كافة المستويات.

وقبل الوصول إليه لا بد من إنجاز مراحل مهمة في التعريف بالنبي ﷺ، كذلك لا بد من إنجاز مراحل مهمة في حشد الجهود مع المسلمين والعقلاء من غير المسلمين لتجريم الإساءة إلى النبي ﷺ قانونياً في البلدان المختلفة، وهو الأمر الذي يتطلب خبرات متنوعة عالية المستوى.

السياسة العامة لعمل الهيئة

إن قضية نصرة النبي ﷺ قضية كبيرة لا يمكن أن تنهض بها جهة واحدة مهما بلغت من القدرات والإمكانيات، وكذلك فإن «الهيئة العالمية لنصرة النبي ﷺ» اختطّت لنفسها سياسة عامة تقوم على تفعيل الطاقات الإسلامية واستثمارها والتنسيق بينها، بحيث تبلغ المجهودات المبذولة في نصرة النبي ﷺ أقصى نتائج ممكنة.

تضع الهيئة نفسها في موضع التنسيق والتنظيم بين المؤسسات الإسلامية المختلفة لتأدية واجب نصرة النبي ﷺ، فهي تعمل -على سبيل المثال- على استثمار طاقة الجاليات الإسلامية المقيمة في البلاد المختلفة لحصر أهم الشبهات والقضايا المثارة عن النبي ﷺ والتي تحتاج مجهودا علميا وفكريا لتفنيدها، ثم تعمل على حث طاقة المؤسسات العلمية من الجامعات الإسلامية والمعاهد والأكاديميات والروابط العلمائية على معالجة هذه الشبهات، ثم تعمل على تحويل هذا المجهود الفكري والعلمي إلى معالجات فنية متنوعة: مقروءة ومسموعة ومرئية قريبة إلى لغة العصر والمزاج العام السائد لدى الرأي العام المعاصر، وذلك عبر حث الطاقات القائمة في مجال الإعلام والإنتاج الفني لدى المؤسسات الإسلامية على معالجة هذه الأفكار. تستثمر هذه الأطراف جميعها طاقاتها الموجودة فعلاً في تسويق المنتجات النهائية.

وبهذا تتوجه المجهودات والطاقات القائمة نحو هدف نصرة النبي ﷺ بطريقة فعالة ومنسقة، حيث تؤدي كل جهة دورها الذي تحسنه.

محتويات العدد

علماء الهيئة

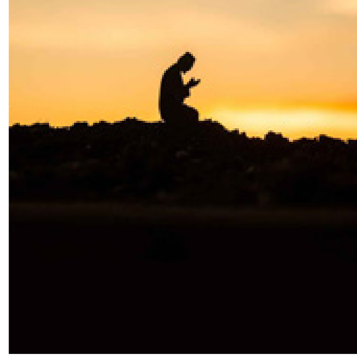
أنصار النبي صلى الله عليه وسلم
﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِۦ وَبِٱلْمُؤْمِنِينَ﴾
تصدر عن الهيئة العالمية لنصرة نبي الإسلام ﷺ

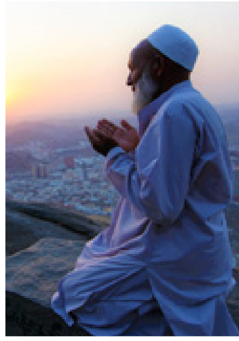
AnsarMagazine
admin@ansarmag.com

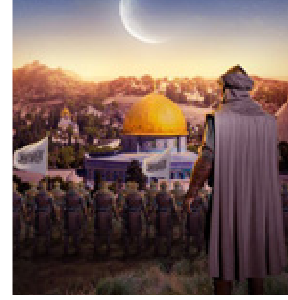
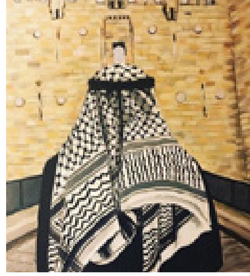
الأمين العام للهيئة
د. محمد الصغير

رئيس التحرير
محمد إلهامي



أئمة الهدى

الصادعون بالحق

ترحب مجلة « أنصار النبي ﷺ » بمشاركات السادة القراء الكرام على هذا النحو:

١ كتابة المقال، وأن يكون مقالاً لا تنقصه الرصانة العلمية ولا العاطفة الدعوية، على ألا يتجاوز في أقصى الأحوال ١٥٠٠ كلمة، مذيلاً بالاسم الحقيقي لصاحبه.. ويتعلق بموضوع المجلة عن التعريف بالنبي ﷺ وشمائله وفضائله وأخلاقه ورحمته بأمته والتذكير بحقه وواجبات الأمة نحوه، والدفاع عن سنته ومحبة آل بيته وصحابته، ورد الشبهات عنه.

٢ ترشيح مادة كتبها عالم من العلماء الراحلين، أو من المؤسسات الإسلامية العريقة كالأزهر في مصر وهيئة كبار العلماء في الجزيرة وندوة العلماء في الهند تتعلق بموضوعات المجلة.. مع التوثيق الدقيق لهذه المادة: في أي كتاب أو مجلة نشرت بالصفحة وتاريخ الطبعة، أو رابط المادة على الانترنت.

أو ترشيح مادة كتبها أحد العلماء والدعاة الأسرى فيما يتعلق بموضوع المجلة، مع التوثيق الدقيق لمصدرها.

٣ تفريغ مادة صوتية لأحد العلماء -الراحلين أو الأسرى- مع توثيق مصدرها.

- ولا نستغني أبداً عن مجهود القراء ومساعدتهم في نشر المجلة أو في ترجمتها إلى لغات أخرى أو في طباعتها وتوزيعها في بلدانهم، فحقوق الطبع والتوزيع محفوظة لكل مسلم.

- ترسل المشاركات على البريد الإلكتروني التالي : admin@ansarmag.com

موضوع العدد القادم:

القرآن.. المعجزة العظمى لمحمد ﷺ

عزاء واجب

تتقدم مجلة أنصار النبي صلى الله عليه وسلم

بالعزاء الخالص لأهلنا المسلمين في الشام وتركيا، في مصابهم الذي أصيبوا به.

وننادي في مجلتنا كافة أنصار النبي وأحبابه وأتباعه أن يهبوا لمساعدة المتضررين، لا سيما في الشمال السوري المحرر الذي يفتقر إلى أبسط الإمكانيات.

سائلين الله تعالى أن يجنب بلادنا وأهلنا كل شر وسوء ومكروه.

الافتتاحية

كارثة الزلزال ورابطة الإيمان



د. محمد الصغير

الأمين العام للهيئة العالمية لنصرة نبي الإسلام ﷺ

الأمة المسلمة أمة واحدة، تجمعها عقيدة واحدة، وقِبلة واحدة، وإمامهم واحد منهم: ﴿وَإِنَّ هَٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ﴾ [المؤمنون: ٥٢]

وبيّن الرسول الخاتم ﷺ أنها كرجل واحد: «المؤمنون كرجل واحد، إن اشتكى رأسه اشتكى كله، وإن اشتكى عينه اشتكى كله»[١].

١. متفق عليه.

وجاء في الصحيحين أيضاً عن النعمان بن بشير عن رسول الله ﷺ قال:

«مثلُ المؤمنين في تَوادِّهم وتَراحُمِهم وتعاطُفِهِمْ، مثلُ الجسَدِ، إذا اشتكَى منْهُ عضوٌ تداعَى لَهُ سائِرُ الجسَدِ بالسَّهرِ والْحُمَّى».

وتجلّت هذه المعاني وتجسّد معنى الأمة الواحدة في كارثة الزلزال، الذي ضرب عشر محافظات في جنوب تركيا والشمال السوري، وخلّف دماراً كبيراً وخراباً مستطيراً.

وفي أتون هذه المحنة الكبيرة، ظهر المعدن الأصيل لأبناء هذه الأمة على كافة مستوياتها؛ بل إن الحلقات الضعيفة وأصحاب الإمكانات البسيطة، كان لهم الدور الأبرز وضربوا أمثلة في التعاطي مع الحدث لا تحدث إلا تحت مظلة الإسلام وداخل البيت الواحد.



ومن ذلك: أنهم أول من هرع إلى المحافظات المنكوبة، وحملوا ما استطاعوا جمعه على عجل، حيث جمعت رابطة الشباب المصري في إسطنبول في اليوم الثاني مليون ليرة، أما شباب فلسطين فقد جمعوا أضعاف ذلك، وسيّروا شاحنات إغاثية إلى تركيا وسوريا، وعند وصول إحدى شاحناتهم إلى بلدة تركية، قال لهم أهلها: «عندنا ما يكفينا فاذهبوا بها إلى إخواننا في الشمال السوري فالحال عندهم أشد والمؤنة أقل»، ولما تحرّج المسؤول الفلسطيني من ذلك، قال له تاجر تركي «أنا سأخرِج مثل ما في الشاحنة لأهل البلد وتكون القافلة هدية مني لإخواني في سوريا»!

ومما شاهدته من وقفة الشعب الفلسطيني مع إخوانهم في أزمتهم، أننا كنا نرتب لزيارة وفد من الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين للأماكن المنكوبة، وكان قد حضر لزيارة تركيا د. نسيم ياسين رئيس رابطة علماء فلسطين في غزة، وهو ابن شقيق الشيخ الشهيد أحمد ياسين، فلما علم بالوفد أصر على الخروج معنا لتفقد إخوانه، وكان لوجوده بيننا أبلغ الأثر في تعزية الناس وتصبيرهم وإشعارهم بأن الأمة على قلب رجل واحد.

ومما أكد هذا المعنى أيضاً ما قامت به الدول العربية من حملات تبرع، وصلت في قطر إلى أكثر من ملياري ليرة بخلاف ما قدمته الدولة، وكذلك فعلت الكويت والسعودية وباكستان، مما جعل الأتراك يطلقون حملة تقدير وعرفان، عبر وسائل الإعلام تحت عنوان: «شكراً للعرب».



ما فعله الأغنياء العرب والحكومات الغنية دل على تجاوب واضح مع الكارثة ومحاولة تخفيف أضرارها، وهو في إطار المقدور الواجب وله سوابق، أما ما حدث على غير مثال سابق، فهو أن تسعى التجمعات الضعيفة والدول الفقيرة لتقديم المستطاع في إغاثة إخوانهم المنكوبين، والبداية كانت من الإمارة الإسلامية بأفغانستان، التي تبرعت بعشرة ملايين لتركيا وخمسة ملايين لسوريا، وعرضوا إرسال طواقم للمساعدة في عمليات البحث والإنقاذ، وفي أول جمعة بعد الزلزال أعلنت مساجد غزة «المحاصرة» عن حملة تبرعات لصالح منكوبي الزلزال بلغت مليون دولار، وكذلك فعل العرب داخل أرض ٤٨ المحتلة، مع الدعاء وصلاة الغائب في القدس والمسجد الأقصى، وعلى نفس المنوال نسجت حكومة الصومال حيث أعلنت حملة تبرعات وذكروا في الدعاية لها أن هذا أقل القليل في باب رد الجميل لتركيا،

التي ما فتئت تساعد الصومال وتسعى لنهضته، وتفوق على كل ما سبق إعلان شعب الروهينجا المشرد عن تعاطفهم مع إخوانهم المنكوبين وسعيهم لتقديم المستطاع من المعونة لهم في محنتهم!

فهل تجد مثل ذلك في أمة من الأمم أو بين قطاعات من البشر إلا من تجمعهم كلمة التوحيد وراية القرآن المجيد؟ لأن هذا ليس تبرعاً بل صورة من صور التضحية ممن يؤْثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة من فقر أو حاجة!



وهذا يؤكد أن أمة الجسد الواحد مازالت على وحدتها، مع ما تعرضت له من حملات التمزيق والتفريق، ومحاولة بتر الأطراف وتقطيع الأوصال، وأن الجسد وإن أصابه المرض إلا أن القلب مازال ينبض بالحياة، ولم يتسرب إليه العطب، وأن الأمة وإن اختلفت أعراقها فإن الدم الذي يجري في عروقها واحد، ومع زوال الرؤوس الفاسدة، سترجع كما كانت أمة واحدة، متعاضدة متساندة، تتكافأ دماؤهم ويسعى بذمتهم أدناهم، ويجير عليهم أقصاهم، وهم يد على مَن سواهم.

وأسأل الله تعالى أن يشفي المرضى، ويداوي الجرحى، ويتقبل الهدمى في الشهداء والصالحين، ويربط برباط الصبر والإيمان على قلوب المنكوبين، إنه بكل جميل كفيل.

SUPPORTERS OF PROPHET ACADEMY

أكاديمية أنصار النبي

أكاديمية أنصار النبي

أكاديمية علمية ودعوية عالمية، منبثقة عن الهيئة العالمية لنصرة نبي الإسلام، تعتمد التقنيات والأساليب الحديثة في التعليم، تنظم وتقدم برامج ودورات علمية، ودبلومات شرعية وفنية ومهارية في مختلف مجالات النصرة النبوية، وتقوم على تخريج وتأهيل متخصصين في فقه نصرة النبي صلى الله عليه وسلم علميا وعمليا، وتعمل على تمكين الشباب المسلم من المشاركة الواعية الفعالة في مجالات النصرة المتعددة.

الشيخ د. محمد الصغير
الأمين العام للهيئة العالمية لنصرة نبي الإسلام

+90 536 491 13 74
_ansaracademy@

الشيخ د. عبد الحي يوسف
عميد أكاديمية أنصار النبي صلى الله عليه وسلم

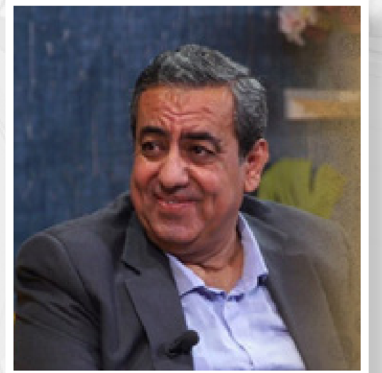




كاريكاتير







مفاجأة سارة لقرائنا الكرام، انضم إلى فريق مجلة أنصار النبي ﷺ الفنان المبدع، رسام الكاريكاتير الكبير، د. علاء اللقطة نسأل الله أن يجعلنا وإياه من المخلصين



الزلازل الإيمانية

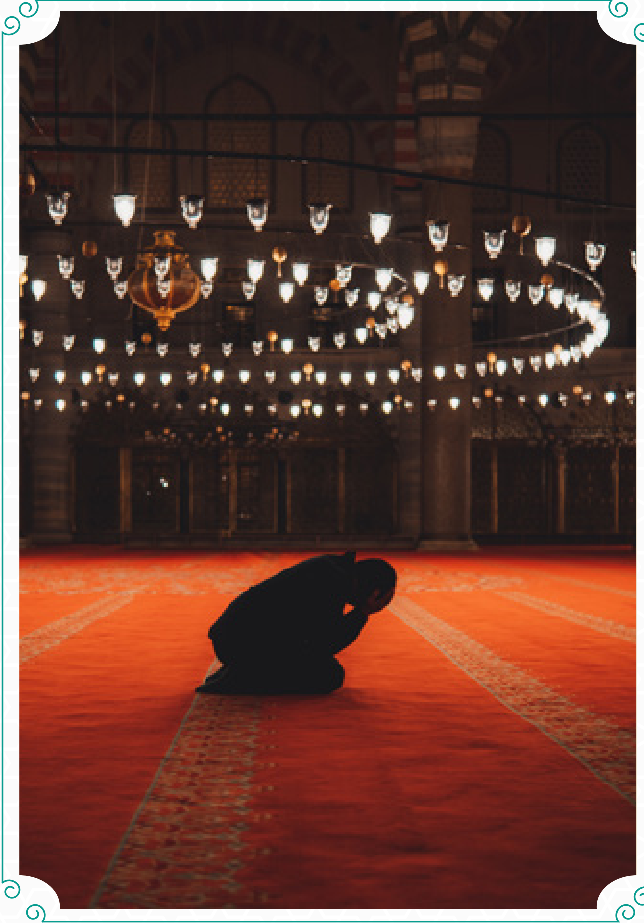

محمد إلهامي (رئيس التحرير)

عضو الأمانة العامة للهيئة العالمية لنصرة نبي الإسلام ﷺ

شاء الله تعالى وقدَّر، وهو الحكيم اللطيف، أن نشهد زلزالاً في الأرض في ذات الوقت الذي نعيش فيه ذكرى زلزال في النفوس والقلوب، وكلاهما من الزلازل الإيمانية! فإن المرء لو سلم له دينه فذهب إلى الله بقلب سليم فقد نجا، وأما إذا تزلزل إيمانه في قلبه، فدخلته الشبهة والشك فتلك هي الكارثة العظمى، وهذا هو الخسران المبين.

١. يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا وَيَهْدِى بِهِۦ كَثِيرًا

بعث الله هذا الزلزال الذي أصاب تركيا وسوريا، فكان آية عظيمة شاهدة على قوة الله وقدرته، وجبروته وسطوته، وشاهدة على ضعف الإنسان وضآلته، وبساطته وقلة حيلته! وتأمل في المدن العامرة، وما حوته من البنايات العريقة والعتيقة، والبنايات الحديثة والأنيقة، كيف تنهار وتصير خراباً في خمسين ثانية فحسب!



وأبلغ ما في هذا الزلزال أن الإنسان لا يملك أن يفعل إزاءه شيئاً، وذلك العجز هو عجزٌ شامل! يسأل معه الإنسان إذا دهمته الكارثة: أين المفر؟!

لأول مرة أنتبه إلى بعض المعاني في آيات القرآن الكريم:

يقول تعالى: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا هِىَ تَمُورُ * أَمْ أَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ﴾ [الملك: ١٦، ١٧]

كنت أرى في هذه الآية طلاقة القدرة الإلهية، فإذا بي أقرأ فيها الآن، إضافة إلى ذلك، عجز هذا البشري، فإنه عاجز أمام أنواع العذاب! فأيما عذاب جاءه أصابه، لا مفرّ ولا محيص ولا مهرب!

ويقول تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِى ٱلْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُ ۖ فَلَمَّا نَجَّىٰكُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ كَفُورًا * أَفَأَمِنتُمْ أَن يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ ٱلْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ثُمَّ لَا تَجِدُوا۟ لَكُمْ وَكِيلًا * أَمْ



أَمِنتُمۡ أَن يُعِيدَكُمۡ فِيهِ تَارَةً أُخۡرَىٰ فَيُرۡسِلَ عَلَيۡكُمۡ قَاصِفٗا مِّنَ ٱلرِّيحِ فَيُغۡرِقَكُم بِمَا كَفَرۡتُمۡ ثُمَّ لَا تَجِدُواْ لَكُمۡ عَلَيۡنَا بِهِۦ تَبِيعٗا﴾ [الإسراء: ٦٧-٦٩]

كنت أرى في هذه الآية انقشاع وهْم الإنسان وعودة العقل والوعي له حين يحل الخطر، فإذا بي أقرأ فيها الآن، إضافة إلى ذلك، فقدان هذا الإنسان السيطرة على نفسه، فهو يتضرع في البحر، ولكنه لا يأمن على نفسه أن يُخسف به البر، بل هو قد يعود بنفسه إلى البحر مرة أخرى من بعد ما كاد يهلك، لا يعود بمحض رغبته، بل يعيده الله إليه! فهو المجبور المقهور وإن كان يظن نفسه مختاراً ومريداً!

ويقول تعالى: ﴿وَلَوۡ أَنَّ أَهۡلَ ٱلۡقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوۡاْ لَفَتَحۡنَا عَلَيۡهِم بَرَكَٰتٖ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَٰكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذۡنَٰهُم بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ أَفَأَمِنَ أَهۡلُ ٱلۡقُرَىٰٓ أَن يَأۡتِيَهُم بَأۡسُنَا بَيَٰتٗا وَهُمۡ نَآئِمُونَ أَوَأَمِنَ أَهۡلُ ٱلۡقُرَىٰٓ أَن يَأۡتِيَهُم بَأۡسُنَا ضُحٗى وَهُمۡ يَلۡعَبُونَ * أَفَأَمِنُواْ مَكۡرَ ٱللَّهِۚ فَلَا يَأۡمَنُ مَكۡرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ﴾ [الأعراف: ٩٦-٩٩]

كنت أرى في هذه الآية غرور الإنسان وغفلته وتوهمه أنه في أمان، فإذا بي بعد هذا الزلزال أرى فيها إضافة إلى ذلك معنى آخر، هو معنى العجز التام.. فسواءٌ جاء بأس الله بالليل وهو نائم، أو جاء بأس الله بالضحى وهو يلعب، فلا يملك له دفعاً ولا صرفاً!

ومثل ذلك قوله تعالى: ﴿أَفَأَمِنَ ٱلَّذِينَ مَكَرُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَخۡسِفَ ٱللَّهُ بِهِمُ ٱلۡأَرۡضَ أَوۡ يَأۡتِيَهُمُ ٱلۡعَذَابُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَشۡعُرُونَ * أَوۡ يَأۡخُذَهُمۡ فِي تَقَلُّبِهِمۡ فَمَا هُم بِمُعۡجِزِينَ * أَوۡ يَأۡخُذَهُمۡ عَلَىٰ تَخَوُّفٖ فَإِنَّ رَبَّكُمۡ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٌ﴾ [النحل: ٤٥- ٤٧]

فهو هالك سواءً أجاء الخسف أم جاء عذاب آخر أم جاء يوم القيامة!

وهو هالك سواءً أجاءه العذاب وقت يقظته وصحوته وتمكنه وأعماله، أو جاءه وقت حذره وترقبه واستعداده.. هو هالك في كل الأحوال، لأنه أضعف من أن يصنع لنفسه شيئاً، حتى لو كان يعلم متى يقع هذا البأس، وأين يقع؟!

يبعث الله الزلازل آيةً من آياته، يضل بها كثيراً ويهدي بها كثيراً.. يزداد بها بعض الناس إيماناً، ويزداد بها بعض الناس كفراً وفجوراً وعصياناً.. تنزل ببعض الناس فتوقظهم وتهديهم إلى طريق الله، وتنزل بآخرين فتشككهم بالله وتعبث بإيمانهم!

زلزالٌ في الأرض يناظره زلزال في القلوب، وكما تصمد المباني الراسخة لزلزال الأرض يصمد الإيمان الراسخ لزلزال القلب، وينهار الإيمان الهش كما تنهار المباني الهشة!

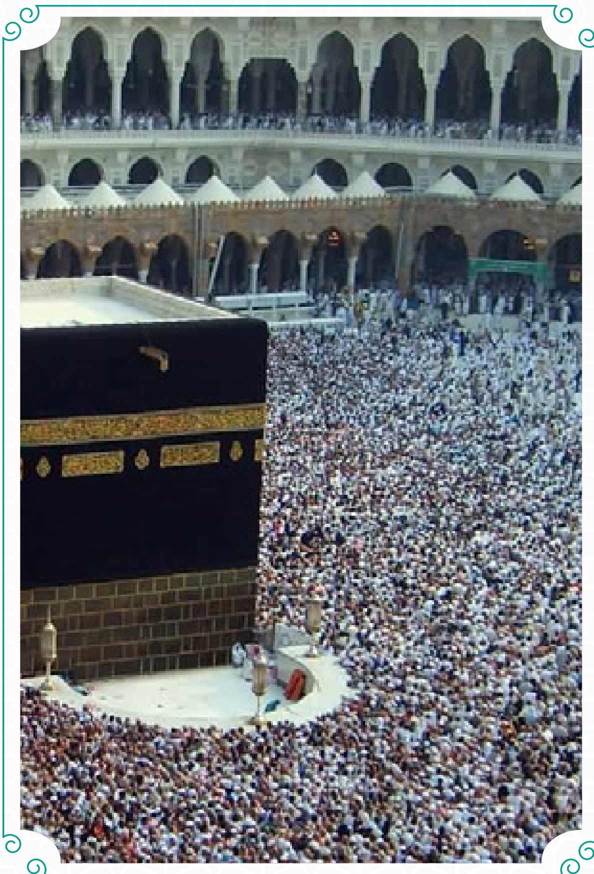
وهكذا.. لكل وجهة هو موليها!

٢. وَزُلْزِلُوا۟ زِلْزَالًا شَدِيدًا

نعم: ﴿وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا﴾ [البقرة: ٤٨]

نزلت هذه الآية في زلزال آخر، زلزال من زلازل الإيمان.. وذلك عند حادث تحويل القبلة!

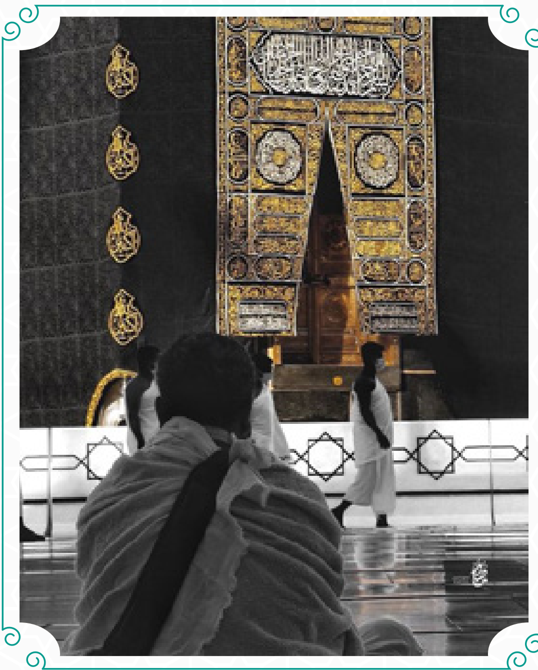
سمع حذيفة بن اليمان رجلاً يقول: لو أدركت رسول الله ﷺ قاتلت معه وأبليت، فقال حذيفة: أنت كنت تفعل ذلك؟! لقد رأيتنا مع رسول الله ﷺ ليلة الأحزاب وأخذتنا ريح شديدة وَقُر، فقال رسول الله ﷺ: ألا رجل



يأتيني بخبر القوم جعله الله معي يوم القيامة؟ فسكتنا فلم يجبه منا أحد، ثم قال: ألا رجل يأتينا بخبر القوم جعله الله معي يوم القيامة؟ فسكتنا فلم يجبه منا أحد، ثم قال: ألا رجل يأتينا بخبر القوم جعله الله معي يوم القيامة؟ فسكتنا فلم يجبه منا أحد، فقال: قم يا حذيفة، فأتنا بخبر القوم[1].

هذا مثال من المواقف العصيبة التي عبر عنها القرآن بالزلزال الشديد! موقف غزوة الأحزاب، وفيها يقول تعالى ﴿هُنَالِكَ ٱبْتُلِيَ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا۟ زِلْزَالًا شَدِيدًا﴾ [الأحزاب: ١١]

إن الصحابة لم يبلغوا هذه المرتبة العليا إلا بما اجتازوه من المحن الهائلة، ومن هذه المحن: محنة تحويل القبلة، فإنها والله أمر كبير وشديد، ونحن نرى كثيراً من المسلمين بل من المنتسبين إلى الدعوة والعلم يتساقطون أمام شبهات ضعيفة، وينهزمون نفسياً أمام حملات إعلامية، فكيف بنا لو عشنا في زمن النبي ﷺ فقيل لنا: لقد تحولت القبلة، كنا نصلي الظهر إلى بيت المقدس، ومن الآن سنصلي إلى الكعبة؟!



كيف يفعل الناس في ظل حملة إعلامية ثلاثية:

يقول المنافقون: ما يدري محمد أين يتجه ولا إلى أي جهة يصلي! فإن كان الذي مضى حقاً فهو الآن على باطل، وإن كان الذي مضى باطلاً فكيف كان نبياً؟!

ويقول اليهود: بالأمس يتبع قبلتنا ولا يتبع ملتنا. ثم يقولون اليوم: فارق قِبلة الأنبياء قَبله فكيف يكون نبياً؟!

ويقول المشركون: عرف الحق فعاد إلى قبلتنا، وغداً يعود إلى ملتنا!

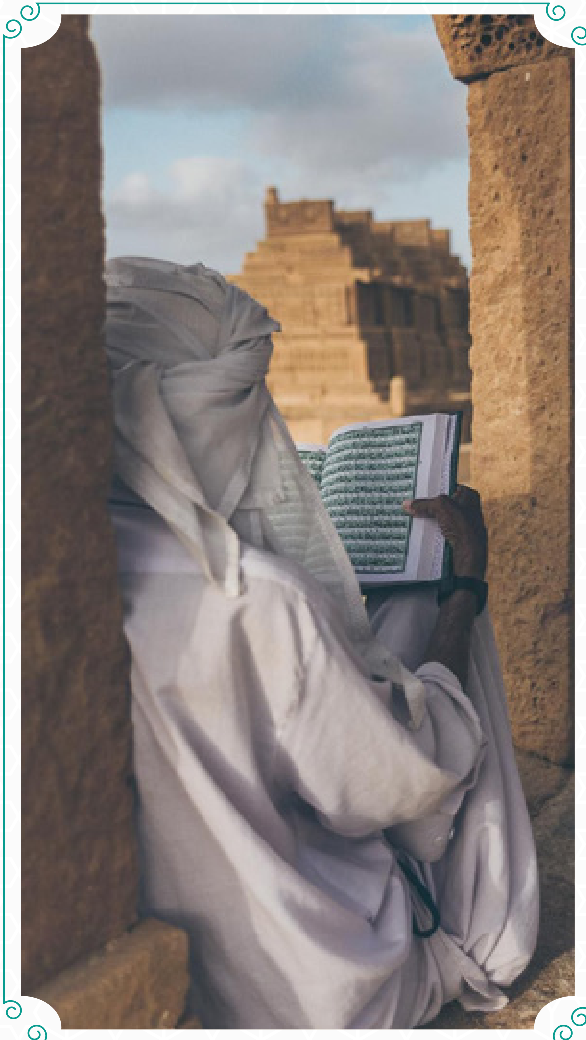
---

١. أخرجه مسلم من حديث حذيفة بن اليمان، (ح١٧٨٨).

محنة أي محنة! وقد ذكر الله في كتابه هذا فقال: ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِي كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ﴾ [البقرة: ١٤٣]

نعم، هي كبيرة، ومن تأمل في الموقف واستحضره وعاش أجواءه عرف أنه ابتلاء وزلزلة للصف المسلم، ولقد شاء الله عز وجل أن يكون هذا الابتلاء والمسلمون مقبلون على مرحلة الجهاد.. المرحلة التي قال الله فيها: ﴿فَإِذَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُّحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا ٱلْقِتَالُ رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ ٱلْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ﴾ [محمد: ٢٠]

قد عافانا الله سبحانه أن لم نكن مع رسول الله ﷺ، فمن يدري كيف سنكون؟ هل كنا سنكون مع الذين هَدَى الله تعالى ممن تجذر الإيمان فيهم؟ أم مع الذين تعمل الشبهات في زلزلة إيمانهم ويقينهم في الحق الذي جاء به رسول الله ﷺ ؟!



لقد مهَّد لنا هؤلاء الصحابة طريق الإيمان، وواجهوا بأنفسهم أعتى عثراته وصعوباته، لقد ضربوا المثال العظيم في انخلاعهم التام من عاداتهم وتقاليدهم ونظام آبائهم وأجدادهم، بل ومحاربتهم إياهم في سبيل هذا الدين! فكان الواحد منهم يقرأ في كتاب الله عذاب أبيه وأخيه، لا يداخله اعتراضٌ ولا سخط! لقد عبر هؤلاء الصحابة ابتلاء الإيمان الكبير، وجاهدوا في سبيل الله أنواع الجهاد كلها: جهاد النفس وعاداتها وأثقالها وشهواتها ونزقها، وعبروا الشبهات، وجهاد المنافقين وما يثيرونه من شبهات وتخذيل وتثبيط وفتن، وجهاد الكفار بالقتال والسلاح.

٣. كَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا

ومَن سار على الدرب فلا بد أنه يلاقي شيئاً مثل هذا، فإن درب الأنبياء والصالحين يقيم به قطاع الطرق والشياطين ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ * وَلِتَصْغَىٰٓ إِلَيْهِ أَفْـِٔدَةُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُوا۟ مَا هُم مُّقْتَرِفُونَ﴾ [الأنعام: ١١٢، ١١٣]

إن الأعداء يقيمون في طريق الأنبياء، وإن مهمتهم أن يقتنصوا السالكين أتباع الأنبياء، يتعاونون فيما بينهم على إثارة الشبهات عند كل موقف وكل نازلة، يريدون بذلك زلزلة الإيمان في نفوس الناس، يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول، أي الشبهة المزخرفة المتزينة التي تبدو جميلة ومنطقية ومقنعة، بينما هي تنطوي على السم الزعاف القتّال.

وهذه الشبهة تعمل بقوة وتؤتي غرضها إذا أصابت قلوباً منقطعة عن الآخرة، فهذه القلوب تتشرب هذه الشبهة، فترضاها وتطمئن إليها، ثم تمضي بعد ذلك في طريق الضلال.

وذلك ما يفسر لنا، كيف تكون الحادثة الواحدة نفسها فرقاناً بين الناس، تزيد بعضهم إيماناً، وتزيد بعضهم كفراً.. إن تفسير ذلك كامن في هذا القلب، وفي الإيمان الكامن فيه، وهو مصداق حديث نبينا ﷺ: "ألا وإن في الجسد مُضغة: إذا صلَحت صلَح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب"[٢].

نسأل الله تعالى أن يعافينا وإياكم من زلازل الإيمان، وزلازل البلدان!

٢. متفق عليه من حديث النعمان بن بشير، البخاري (ح٥٢)، مسلم (ح١٥٩٩).



رئيس هيئة علماء فلسطين في الخارج د. نواف التكروري لـ « أنصار النبي ﷺ »:

أكثر من ١٧٠٠ اسم في مدينة القدس والمسجد الأقصى غُيرت وحوُلت إلى أسماء يهودية لقصد تهويد هذا المسجد وجعله معلماً من معالم اليهود

- كان حادث تحويل القبلة ابتلاء للجميع: المسلمين والمنافقين واليهود والمشركين
- الأمـة التي ليست متحققة بالإيمان والولايـة للّه ينزع اللّه عنها بيت المقـدس
- حتى السفير الأردني م ُنِع من دخول المسجد الأقصى لأن الصهاينة في سعي مستمر لنزع إدارة الأقصى

أجرى الحوار: محمد إلهامي (رئيس التحرير)

واحد من ألمع الوجوه والأسماء العربية في اسطنبول، ومن أكثرهم فعالية ونشاطا، لا ينهض من سفر إلا إلى سفر، ولا يقعد من عمل إلا في عمل، يعرفه سائر المهتمين بقضية بيت المقدس، وسائر المهتمين بالعلم الشرعي، ذلك هو د. نواف التكروري رئيس هيئة علماء فلسطين بالخارج، وهو مع كثرة مشاغله وحركاته لا يكاد يقصده قاصد إلا ويخدمه بما استطاع، ولا يكاد يُدعى إلى عمل جديد إلا سارع إليه أو ضرب بسهم فيه. فهو واعظٌ بسمته وهمته قبل أن يكون واعظا بلفظه وكلمته، يستريح الجالس إليه لما يرى من بشاشته وإقباله.



استطعنا بعد انتظار أن نلتقط منه هذا الحوار الذي كان يُعَدُّ له منذ مدة، فما كنا نتفق على موعد إلا وينفتق عليه عمل، فقد كان ضمن عضو وفد العلماء الذين ذهبوا إلى الإمارة الإسلامية في يناير الماضي، ثم كان ضمن وفد العلماء الذين سافروا إلى المنطقة المنكوبة بالزلزال في الجنوب التركي والشمال السوري، وما كاد يعود إلى اسطنبول حتى سافر إلى ماليزيا، فلم نجد بدا إلا أن نجري هذا الحوار عبر الانترنت على يومين، تناولنا فيه ثلاثة محاور؛ الأول: قضية تحويل القبلة من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، والثاني: زيارته إلى الإمارة الإسلامية ضمن وفد العلماء، والثالث: التعريف بهيئة علماء فلسطين.

وفي هذا العدد ننشر الجزء الأول من هذا الحوار، والذي يشمل هذا المحور الأول، ونستكمل في العدد القادم إن شاء الله نشر الجزء الثاني الذي يتناول المحورين الثاني والثالث.

أنصار النبي ﷺ أنصار النبي: مرحبا بكم د. نواف التكروري على صفحات مجلة أنصار النبي ﷺ

د. نواف: أهلا وسهلا بكم، رضي الله عنكم، وشكر لكم جهودكم.

أنصار النبي ﷺ نبدأ من ذكرى تحويل القبلة التي تحل علينا في هذا الشهر الكريم، بداية: كيف نبسط لعموم المسلمين فكرة تحويل القبلة من بيت المقدس إلى مكة المكرمة؟

لا شك أن الراجح من أقوال العلماء أن النبي ﷺ كان في مكة يتوجه في صلاته إلى بيت المقدس، وكانت الصلاة بكرة وعشياً، وكان ﷺ يجعل الكعبة بينه وبين بيت المقدس، فيصلي إلى بيت المقدس والكعبة بين يديه، ولما هاجر ﷺ إلى المدينة بقي يتوجه إلى بيت المقدس فصارت الكعبة في ظهره.

وكان النبي ﷺ يحب أن يُوَجِّهَ وجهه وتكون قبلته الكعبة، فقال لجبريل عليه السلام: وددت أن الله صرفني عن قبلة اليهود إلى غيرها، فقال: ادع ربك، فجعل رسول الله ﷺ يديم النظر إلى السماء رجاء أن يأتيه جبريل بالذي سأله[١].

فأنزل الله سبحانه وتعالى: ﴿قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ [البقرة: ١٤٤]، وهذا بعد أن صلى رسول الله ﷺ ستة عشر شهراً أو سبعة عشر شهراً بعد الهجرة، مع كل ما كان قبل الهجرة إلى بيت المقدس.

فهذا أمر تحول القبلة، والله سبحانه وتعالى يختار من الأماكن والأزمان والأشخاص ما يشاء، لا يُسأل عما يَفعل ونحن نُسأل، فالله يقدر ما يشاء.

أنصار النبي ﷺ نعم، سبحانه، لا يُسأل عما يفعل، ولكن كيف نفهم الحكمة من تحويل القبلة؟

ثمة حِكَمٌ كثيرة لتوجيه القبلة إلى الكعبة، ولعل الأساس في هذا أنه ابتلاء لكل الفئات التي مر عليها الحدث:

١. أخرجه أبو داود في الناسخ والمنسوخ من حديث أبي العالية. (الفتح السماوي ١/١٩١).

فهو ابتلاء للمسلمين الذين نجحوا في الامتحان فقالوا سمعنا وأطعنا، وقالوا آمنا به كل من عند ربنا، وهؤلاء هداهم الله سبحانه وتعالى للإيمان ولم تكن عندهم كبيرة، والله تعالى يقول: ﴿وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ﴾ [البقرة: ١٤٣]، إذ إن المسلمين سألوا تحوطاً عندما حُولت القبلة: ما شأن الصلاة السابقة التي كانت إلى القبلة الأولى؟ فقال الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ﴾ [البقرة: ١٤٣] أي: ما كان الله ليضيع صلاتكم، لأنها كانت بأمره ووفق مراده؛ فهذا الفريق الأول ابتلي ونجح.



وأما المشركون: فقد عدّوا هذا انتصاراً لهم وقالوا: رجع إلى قبلتنا ويوشك أن يرجع إلى ديننا وما رجع إليها إلا لأنها الحق. ولذلك أخذهم الغرور ولم يؤمنوا، بل انتظروا أن يعود الرسول ﷺ عن دينه -وحاشاه-.

وأما اليهود: فجعلوا ذلك حجة لهم، مع أنه حجة عليهم في الحقيقة، قالوا: خالف قِبلة الأنبياء قَبله، ولو كان نبياً لكان يصلي إلى قِبلة الأنبياء.

وأما المنافقون، فقالوا: ما يدري محمد أين يتوجه، إن كانت الأولى حقاً فقد تركها، وإن كانت الثانية هي الحق فقد كان على باطل. ولذلك سماهم الله عز وجل جميعاً «سفهاء»، وكبُرَت عليهم، واختلفوا في شأنها، وأراد الله سبحانه وتعالى أن يمتحن عباده جميعاً في ذلك.

ومن الحِكَم: نيل شرف التوجه إلى الأقصى وإلى الكعبة جميعاً، فالمسلمون هم أصحاب القِبلتين.

وأيضًا من الحكمة: التميز عن غير المسلمين، وإقامة الحجة على يهود حيث كان في كتابهم وفي أوصاف النبي ﷺ تحول القبلة، هذا دليل وحجة عليهم في نبوة محمد ﷺ ودليل من دلائل نبوته، يعرفونه ولكنهم تنكروا له.

ولعل من الحِكَم أيضاً أن العرب كانت تتوجه إلى الكعبة، ولكن ليس عن عقيدة سليمة، بل عنصرية وتمجيد للقومية وللمكان ونحوه، فأراد الله سبحانه وتعالى أن ينزع من المسلمين كل تحيز لفئة العرب وعاداتهم، ليكون تحيزهم لأمر الله سبحانه وتعالى وحده، فأمرهم ابتداءً أن يتوجهوا إلى المسجد الأقصى، ثم حولهم لكي تكون طاعتهم إنما هي لأمر الله وليست لأمر آخر، ولما صَفَتْ نفوسهم ووضحت المفاهيم لديهم أعاد الله تعالى ربطهم بالكعبة ربطاً إيمانياً عقائدياً، منطلقاً من كونها قبلة إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام، فكانت تبعيتهم قد تحولت إلى تبعية الأنبياء، وليس إلى القوم.

وفي ذلك تحريض وحث للمسلمين على ضرورة أن يعودوا إلى البيت الحرام، فمهما ضُيِّق عليهم حتى هاجروا، فلا بد أن يبقى البيت الحرام هدفا لهم، ليعودوا إليه، ويخلصوه، ويطهروه من الأصنام، إذ هي قِبلة.

ومن الحِكَم كذلك لفت الانتباه إلى هذا المسجد المبارك، المقدس، وأن ما كان قِبلةً لا تُنزع عنه قداسته، ما دام بلغ حداً أن يكون قِبلة، فينبغي أن يبقى الاهتمام به، وإلا فقد أراد الله تعالى أن تكون القبلة الدائمة هي الكعبة المشرفة، وهي مقدَّمة، وهي أسبق في الوجود بأربعين سنة من المسجد الأقصى، وأحق بأن تكون قبلة، ولكن هذه القبلة المؤقتة فيها لفت انتباه إلى هذا المسجد المبارك المقدس ألا يُفرَّط به؛ فقد كان قبلتكم يوماً ما، فمن يضيّع تاريخه يضيّع مستقبله، فهذا تاريخ الأمة فلا يجوز إضاعته.

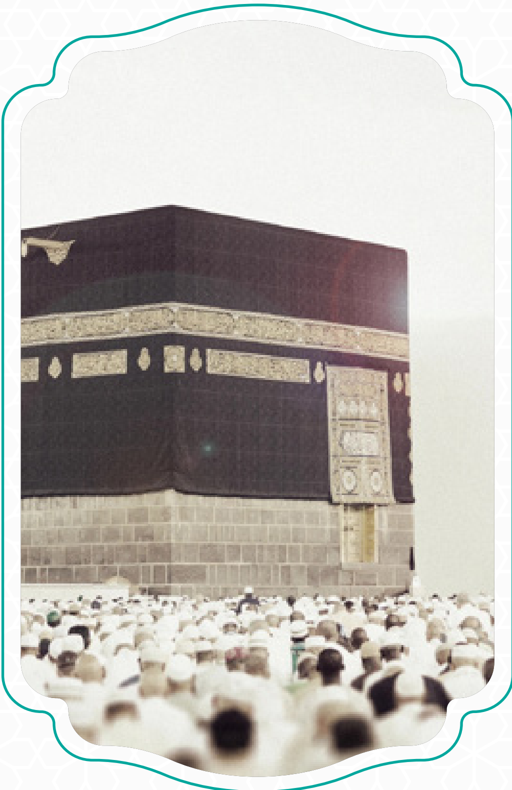


أنصار النبي ﷺ هذا يدخل بنا إلى سؤال آخر، وهو من أشهر الشبهات والمقولات التي تتردد في أوساط الصهيونية بأنهم أولى ببيت المقدس، لأن المسلمين قد حُوِّلت قبلتهم إلى مكة.. فكيف يُردُّ على ذلك؟

الحقيقة أن القِبلة هي مكان التقدير والتقديس والالتزام بأمر الله سبحانه وتعالى، والقدس قبلة أنبياء الله عليهم السلام من قبل، واليهود قد طعنوا في هؤلاء الأنبياء ولم يبقوا على تبعيتهم، وهؤلاء الأنبياء كلهم قد صلوا في الإسراء والمعراج خلف رسول الله ﷺ، وسلموه الراية، وسلموه الولاية على هذه الأرض المقدسة، وبالتالي فإن تحويل القبلة لا يعني تحول الولاية بحال من الأحوال.

أما الذي يعني تحوُّل الولاية: فهو تحوُّل التقدير والاهتمام والتقديس والاتباع للأنبياء الذين تُتبَع قِبلتهم. ما الفائدة لو أن منحرفاً اعتد بقبلة الكعبة لكن خالف النبي ﷺ في منهاجه؟ أيكون هذا متبعاً للنبي ﷺ؟! أو أولى بالكعبة من غيره؟

فكذلك الأمر، أن الذين خالفوا الأنبياء وأساؤوا إليهم ورموهم بأقبح الصفات، واتهموهم بالزنا والظلم وغير ذلك من الصفات، لسيدنا داود ولسيدنا سليمان وللأنبياء جميعاً، بل حاربوهم وقتلوهم وقاتلوهم -لن يجديهم ولن يكونوا أصحاب ولاية على ما قدّسه هؤلاء الأنبياء.



وأما الرسول ﷺ فهو الذي استلم لواء الولاية على هذه البقاع من الأنبياء أنفسهم، وأمته -التي على منهجه وعلى دينه- هي صاحبة الولاية، ولو لم تبقَ القبلة فقد بقي التقديس والاتباع، ولذلك نجد أن الله سبحانه وتعالى قد كشف للمسلمين ابتداءً مبكراً ماذا سيقوله اليهود والمشركون عن تحويل القبلة: ﴿سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ﴾، وسماهم السفهاء، ﴿سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّاهُمْ عَنْ قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا﴾ [البقرة: ١٤٢]، ولم يُعطِهم إجابة تفصيلية في هذ الأمر، ﴿قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ

وَالْمَغْرِبُ﴾ وهم يعلمون أن الله يفعل ما يشاء ويقرر ما يشاء سبحانه وتعالى: ﴿قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [البقرة: ١٤٢]، فلم يجبهم بتفصيل على سؤالهم لأنه عاملهم معاملة السفهاء، والسفهاء لا يُعطَون وقتاً، ولا ينبغي أن يُضيع الإنسان عمره في حوارهم، لأنهم ليسوا باحثين عن الحقيقة، بل يريدون إثارة الشبهات والشكوك، فلا ينبغي أن يعامَلوا كأصحاب وجهة نظر، بل يعاملوا كسفهاء يُعرَض عنهم؛ فالله أعرض عنهم؛ فهو له الخلق والأمر وهو صاحب التقدير سبحانه وتعالى.

وأما أنهم أَولَى: فهذه الأرض المباركة أولى بها الأنبياء وعباد الله الصالحين، ويحتج البعض بقوله تعالى: ﴿يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ﴾ [المائدة: ٢١]، والحق أن الله كتبها لعباده الصالحين والأنبياء ومن يتبعهم.



د. نواف تكروري في مؤتمر إطلاق أكاديمية أنصار النبي ﷺ

ولذلك هي تحتاج في الحفاظ عليها إلى عاملين أساسيين: ١. الإيمان ٢. والشجاعة والإقدام.

ولذلك لما جبُن مَن كانوا مع موسى -رغم أنهم على إيمان به- فقدوا هذه الأرض، وكُتب عليهم التيه.

فلما آمنوا بعد ذلك مع داود، ومع طالوت، وخرجت فئة منهم شجاعة تقاتل في سبيل الله، منحهم الله تعالى إياها، فلما انحرفوا عن شريعة الله عز وجل بعد داود وسليمان عليهما السلام، نُزعت منهم وجُعلت في أيدي قوم آخرين، وأُخرجوا منها مِن قبَل بختنصر، فخسروا هذه الأرض لأنها لا تكون إلا لعباد الله

المؤمنين من جانب، والمضحين لإعادتها من جانب آخر، فقدوها في المرة الأولى لانعدام التضحية في عهد موسى عليه السلام، ثم فقدوها في المرة الثانية بعد سليمان لانحراف المنهج، وفقدان الشجاعة، فهم ليسوا أهلاً لها في أي زمن من الأزمان، فقد فقدوا العنصرين.

أنصار النبي ﷺ ولكن الأمة المسلمة أيضا فقدت بيت المقدس، وجرى احتلالها؟

نعم، وهذا مصداق ما نقول، لقد فقدت أمتنا كذلك هذه الأرض المقدسة، وآلت إلى ظلم اليهود الظالمين المنحرفين عن دين الله عز وجل، والمحرفين له بانحراف الأمة عن دينها، وطريق عودتها هي أن تمتلك الإيمان والاعتصام بالله سبحانه وتعالى، وهذا ما جاء في سورة الإسراء، بعد أن قصّ الله تعالى قصة الاعتداء، ففي طريق الحل قال: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء: ٩]؛ فهو الطريق، مع امتلاك الشجاعة والإقدام، وأمتنا اليوم فيها خير والحمد لله، وفيها توجُّه للجهاد ورفعٌ لرايته، وبذلٌ من أجل تحقيق النصر واستخلاص هذه الأرض وإعادتها إلى موقعها الذي ينبغي أن تكون عليه، تحت سلطان الإسلام والمسلمين.

أنصار النبي ﷺ هنا يبرز سؤال آخر، فحتى تستكمل الأمة طريق نهوضها، الزمن لا ينتظر، والمؤامرات لا تكف، وبصفتكم رئيس هيئة علماء فلسطين في الخارج، لا بد أن السؤال الأوجب الذي يطرح في الحوار عليكم: ما هي الأخطار التي تتهدد بيت المقدس، أو بالجملة: ما هو وضع المسجد الأقصى الآن؟


موشيه ديان

مما لا شك فيه أن المسجد الأقصى المبارك منذ أن احتُل عام ١٩٦٧، وهو يتعرض لمخاطر تتهدد وجوده وإدارته وكونه تحت سلطان المسلمين، واليهود أحرار يصنعون فيه ما يشاؤون،

ومما لاشك فيه أن هذا العدوان قد توسع وتأكد وصار له صور وتسمية في العقد الأخير من الزمن، ومما لا شك فيه أيضاً أنه في ظل هذه الحكومة المجرمة الجديدة تطرفًا -وكل حكومات الصهاينة متطرفة ولكن هذه أوضح تطرف وأكثر إعلاناً له- مُعرَّض لمخاطر كبيرة، وكبيرة جداً، وهي واضحة للعيان يراها المسلمون كل يوم، فالمشاريع التي تتهدد المسجد الأقصى كبيرة، وخطيرة للغاية، فهو معرض للتقسيم إذ يسعى هذا الاحتلال الصهيوني إلى بناء معبد يسميه «الهيكل» مكانه، ويريد هدمه ويعتبر التقسيم الزماني والمكاني مرحلة من مراحل إنهاء وجود هذا المسجد.

من صور الخطورة التي تلحق المسجد الأقصى، والتهديد الذي لحق المسجد الأقصى: بناء مدينة يهودية أسفل الأقصى، وفي محيطه، فالاحتلال منذ أن احتل الأقصى في حزيران ١٩٦٧م القسم الثاني من فلسطين، وهو يمارس الحفر تحت المسجد الأقصى المبارك، ويقيم الأنفاق، ويبني الأبنية الخاصة، يعني مدينة تحت مدينة بيت المقدس، تتهدد وجودها، وبديلاً عنها عند هذا الكيان.



كنيس أسفل المسجد الأقصى

لا شك أيضاً أن من صور الخطورة: تكثيف الاقتحامات، لا سيما في الفترات الأخيرة، هذا المسجد الأقصى كان يقتحمه الصهاينة، ومنذ أن احتلوه وهم يقتحمونه؛ ولكن كانت الاقتحامات تأتي ممن ينسبون أنفسهم للتطرف، ومن شخصيات ومن أحزاب دينية متشددة، وربما لا تلاحقهم الأجهزة الأمنية والشرطة، وتعتقلهم على عيون الناس أحيانا، أما اليوم فهذه الاقتحامات أصبحت قراراتها تؤخذ في الكنيست الصهيوني، وأصبح الذين يمارسونها الحاخامات، ورؤساء الوزراء؛ كما فعل شارون عام ٢٠٠٠م، والوزراء كما يحدث كل يوم الآن، ومن رجال الكنيست، فأصبح الاعتداء على المسجد الأقصى اليوم رسمياً.

أيضاً من أنواع الخطورة التي تلحق المسجد الأقصى: هو نزع الحصرية الإسلامية عن إدارة الأقصى، فلذلك الاحتلال الصهيوني يسعى بكل جهده لكي لا يبقى لإدارة شئون الأقصى أو الأوقاف التي تتبع الحكومة الأردنية أي أثر، ولا أي سيطرة على المسجد الأقصى المبارك، ويصبح هو المشرف والمتحكم وصاحب السيادة على المسجد الأقصى المبارك، ولعل من أبرز مظاهره في الأيام الأخيرة عندما مُنع السفير الأردني من الدخول إلى المسجد الأقصى! والذي يفترض أنه تابع لحكومته وأن الإشراف على هذا المسجد هو من عمل الحكومة الأردنية والأوقاف الأردنية.

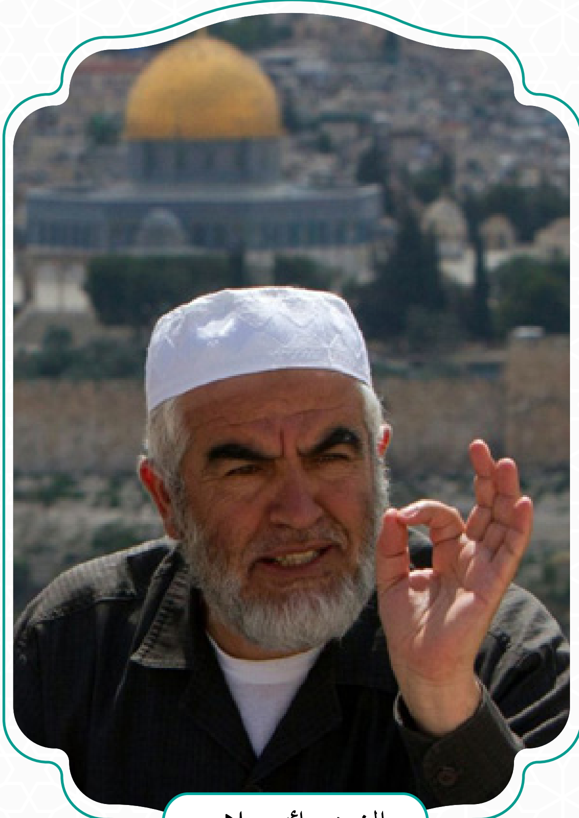
أيضاً بناء الكُنُس في محيط المسجد الأقصى المبارك، بل محاولة اقتطاع أجزاء من محيط المسجد الأقصى المبارك البالغة ١٤٤ ألف متر مربع، اقتطاع أجزاء من الجهات الجنوبية والغربية لإقامة كنس عليها، أو اتخاذ بعض المباني من أجزاء المسجد الأقصى المبارك لتحويلها لمكان عبادة لليهود، كما حصل في باب المغاربة والذي حُول منذ الاحتلال إلى يد الصهاينة وأصبح الدخول منه، كذلك حائط البراق الذي أصبح يطلقون عليه (حائط المبكى).



باب المغاربة

ومن صور الخطر الذي يحدق بالمسجد الأقصى المبارك ذلك التهويد في المفاهيم، أكثر من ١٧٠٠ اسم في مدينة القدس والمسجد الأقصى غُيرت وحُولت إلى أسماء يهودية لقصد تهويد هذا المسجد وجعله معلماً من معالم اليهود، ثم بعد ذلك هدمه وبناء ما يدّعونه من الهيكل ونحوه، طبعاً في فلسطين نحو أربعة آلاف مسمى غُيرت أسماؤها، في القدس منها تقريباً أربعون في المائة منها نحو ألف وسبعمائة اسم منها، حتى المسجد الأقصى الآن بدأوا يحاولون إطلاق اسم مجمع الأقصى عليه، لكي يكون هذا المجمع فيه مسجد وفيه كنيس، وفيه أماكن لعبادتهم وغير ذلك، وأيضاً بناء الكنس اليهودية في محيط الأقصى وخارج أسواره وتحته حيث الحفريات لكي تكون هذه معابد للصهاينة، وهي تهدد المسجد الأقصى.

ومن صور الخطورة إخراج وتفريغ مدينة بيت المقدس من أهلها، وهم في ذلك يهدمون البيوت، ويمنعون البنيان، ووضعوا عدة أسباب للهدم، منها أسباب لعدم الترخيص، وطبعاً الترخيص ليس سهلاً ولا يمكن، فإذا توسعت أسرة وبنت لأبنائها، ذهبوا وهدموا هذا البناء، وهناك الهدم العقابي لمن يقوم بأي لون من ألوان المقاومة، والتهجير لأهل بيت المقدس.


الشيخ رائد صلاح

وكذلك من صور التضييق والخطر الذي يعانيه المسجد الأقصى المبارك ومدينة بيت المقدس، مطاردة المرابطين والمرابطات في المسجد الأقصى المبارك، ومنعهم من الدخول إلى المسجد الأقصى، وإطلاق الأحكام عليهم بمُدد مختلفة ومتفاوتة. يمنعونهم من الاقتراب من المسجد الأقصى، وربما يعتقلونهم، ونرى كثيراً اعتقال الشيخ رائد صلاح لفترة طويلة من الزمن، كما منعوه من المجيء إلى المسجد الأقصى، وكذلك اعتقالات واستدعاءات الشيخ عكرمة صبري شيخ المنبر ومنعه من السفر، ومنعه من الدخول للمسجد الأقصى فترات، ومنع المرابطات اللواتي يقمن في المسجد الأقصى وسحلهن في رحابه الطاهر، وممارسة الجنون وضرب الرجال والنساء، كل هذا من الخطر الذي يتهدد المسجد الأقصى لأنه يعبر عن إرادة هذا المحتل في إبعاد رموز الدفاع عن الأقصى، ومنع القيادات الغيورة، والرموز الشرعية والدينية من الوصول إلى المسجد الأقصى؛ ليتسنى لهم التدرج للوصول به إلى حيث يريدون.

وكذلك أشرنا إلى تهجير المقدسيين ونزع هوياتهم، ومنعهم من البقاء في بيوتهم والتضييق عليهم واعتقالهم، كل هذا يستهدف النيل من المسجد الأقصى.

وأخطر من ذلك ما أصبح وما ظهر في الفترات الأخيرة من استهداف حراس الأقصى والمصلين فيه بالتنكيل والتضييق والاعتقال والإبعاد، في كل عام يبعد الصهاينة المئات عن المسجد الأقصى، ويحكمون

عليهم بعدم الدخول إليه أشهر أو سنة أو أكثر أو أقل، وحتى الموظفين بالأوقاف الأردنية يُضيَّق عليهم ومورس عليهم الإيذاء بصور عدة.

وكذلك من صور الاعتداء على المسجد الأقصى: استهداف المؤسسات والهيئات التي تعمل للأقصى، فقد أغلق الكيان الصهيوني عشرات المؤسسات التي تخدم الفلسطينيين وتعمل لخدمة القدس وأهله، وحتى في الأيام الأخيرة أُعلن قرار بسحب هوية كل من يقوم بلون من ألوان المقاومة، ثم تعدى هذا القرار واتُخذ فيه قانون يشمل كل مَن يرضى عن المقاومة أو من يعلن تأييده أو عدم غضبه، وهذه إرادة لتفريغ مدينة بيت المقدس من أهلها ليتسنى لهذا العدو القيام بجرائمه بتوسُّع، ولا شك أن الحديث عن المخاطر التي تهدد بيت المقدس لا يتسع له مقابلة واحدة، لذلك نكتفي بهذا.

أنصار النبي ﷺ: في ظل هذه التحديات الكبيرة، وهذه الأخطار المخيفة، ومع التخاذل الرسمي العام، كيف يمكن للمسلم البسيط أن يسهم في الانتصار لقبلته الأولى؟

هذا سؤال غاية في الأهمية، الحقيقة أن الكل مسئول عن الدفاع عن المسجد الأقصى، ولا أحد بريء الذمة حتى يؤدي ما يستطيع، والواجبات كثيرة، وعندما يقول الفقهاء إن الجهاد فرض عين للدفاع عن البقعة المغتصبة، فكيف إذا كانت الأقصى، هذا الحكم نافذ وباقٍ في حق المسجد الأقصى.

ولكن الجهاد لابد أن نشير ونؤكد أنه أوسع من المفهوم المحدود الذي هو مباشرة قتال الأعداء، وهو مطلوب وفرض عين على كل مسلم ومسلمة، ولكن يجاهد كلٌّ في الباب الذي يستطيعه ويقدر عليه، والمطلوب من كل مسلم أن يبذل وُسعه.

وربما أُعدّد بعض صور النصرة والدفاع عن المسجد الأقصى، لكي يكتشف الإنسان إمكانياته للدفاع عن المسجد الأقصى (نسأل الله أن يفرج عن الدكتور سلمان العودة! لما أراد أن يضع آليات لنصرة الأقصى جمع تلامذته والتقاهم نحو أربع ساعات، ثم خرج بكتيب وضع فيه مائة وخمسين طريقة لنصرة الأقصى).

أعتقد قبل أن أعدد بعض الأمور -على سبيل المثال لا الحصر- أن أي فئة، طلبة جامعة أو مدرسين أو مزارعين أو نساء أو أطفال في مدرسة أو نحو ذلك، لو أنهم جلسوا جلسة عصف ذهني يبحثون عن الآليات التي يمكنهم من خلالها أن ينصروا المسجد الأقصى المبارك لخرجوا بعشرات الآليات التي تناسبهم، والتي تتناسب مع أوضاعه، والحقيقة أن على كل مسلم أن يبذل غاية وُسعه في نصرة الأقصى، وفي الدفاع عن قبلتنا الأولى، وأن من بذل ما يستطيعه من ألوان الجهاد، ثم دعا الله بما هو عاجز عنه، كتب الله عز وجل له أجر المقدور عليه والمعجوز عنه، ولكن من ترك ما يقدر عليه من ألوان الجهاد باللسان والمال أو بالفكر والإعلام أو التربية والبناء، بالتحفيز والتحريك، مَن ترك المقدور عليه ثم دعا الله عز وجل بما هو عاجز عنه وقال آمل أن أكون مع المقاتلين الذين يحررون الأقصى، كان بذلك مدعياً لا داعياً! لأنه ترك ما يقدر عليه من أسباب نصرته.



ولو أدى كل مسلم ما يستطيعه من ألوان النصرة، وتضافرت الجهود في ذلك، لما تمكن العدو من تطوير عدوانه، بل لانتهى احتلاله، هذا مطلوب من كل مسلم، أن يبذل وُسعه وأن يفكر في الآليات، وأن تجلس كل فئة مع مَن ينتسبون إليها ليخرجوا بآليات، وسيخرجون بآليات كثيرة، وأعتقد أن الشيخ راغب السرجاني كتب كتاباً كبيراً: **(فلسطين .. واجبات الأمة)**، وأعتقد أنه ما ترك فئة إلا ووضع لها عشرات من الآليات والواجبات.

لذلك فربما أقول إن هناك واجبًا إيمانيًا، وواجبًا معرفيًا، وهناك واجب إعلامي، وهناك واجب مالي، وهناك واجبات عملية أيضاً ممكن للإنسان أن يقوم بها:

من الواجب الإيماني: لابد من إحياء الشعور بالمسئولية الفردية تجاه هذه القضية المباركة والمسجد الأقصى، وعموم قضايا الأمة، ولكن التركيز والخصوصية لهذه القضية معلومة لدى كل مسلم.

ثم من الواجب الإيماني: استحضار مكانة فلسطين في كتاب الله عز وجلّ وسُنة رسوله ﷺ، ومعرفة ذلك، لأن هذه المعرفة محرضة ومحركة.

ثم اليقين بأن نصر الله سبحانه وتعالى آتٍ، وبثُّ الأمل في النفوس، لأن الوهن يورث الوهم، والوهم والخوف يورث الوهن، فلابد من الأمل.

وكذلك من الواجبات الشرعية والإيمانية، ربط العمل للقضية بالواجب الشرعي، وأني أفعل ذلك إرضاءً لله سبحانه وتعالى. واستحضار نية الجهاد دائماً، قال رسول الله ﷺ: «من سأل الله الشهادة بصدق، بلغه الله منازل الشهداء، وإن مات على فراشه»[٢].

ب) الواجب المعرفي: فإنه لا يصح للمسلم أن ينصر قضية لا يعرف عنها شيئاً، فلابد من التعرف على هذه القضية كما قلنا: مكانةً وتاريخاً وجغرافياً وحدوداً وظروفاً.

والمعرفة بطبيعة هذا العدو ودوافعه، فلا تكفي العاطفة -وإن كانت العاطفة مهمة- فلا يكفي أن تكون انطلاقتنا تجاه الأقصى منطلقها العاطفة فقط، هذا غير كافٍ والله أعلم.



كذلك لابد من التعرف على جغرافية هذه البلاد، وما مارسه هذا الكيان فيها والجرائم التي تمت بحق الشعب الفلسطيني، ونفي الشبهات التي تثار بأن الفلسطينيين يبيعون أرضهم، وهذا بعيد كل البعد عن الحقيقة، وغير ذلك من الواجبات المعرفية.

ت) وفي الإعلام: هذا زمن التواصل الاجتماعي، كل واحد من المسلمين يستطيع أن يكون بوقاً إعلامياً، وجيشاً إعلامياً في هذه المعركة، وليتحقق بذلك إساءة وجه العدو، فإن الله سبحانه وتعالى وصف هذه المرحلة بأن سلاحها من شقين:

---

٢. أخرجه مسلم، من حديث سهل بن حنيف، (ح١٩٠٩).

- الشق الأول: ﴿لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ﴾، وهو الإعلام.
- والشق الثاني: ﴿وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ [الإسراء: ٧]. قوة السلاح والإمكانات.

فقوة الإعلام هي شطر المعركة، فلابد من القيام بالحملات التعريفية بالقضية الفلسطينية، وحملات التضامن مع فلسطين، والتفاعل مع أحداثها اليومية والساخنة، هذا مهم.. أن يعي الشباب ما يجري يوماً بيوم.

وعلى عاتق الشباب في الحقيقة مهمة كبيرة، فهم الأقدر على مواجهة موجات التطبيع، من خلال النشر المستمر عن مخاطره، والحديث والاعتراض على المطبعين، وبيان خيانتهم لأمتهم ولدينهم، فهذا من الواجب الإعلامي، والواجب الذي يقوم به الشباب على وجه الخصوص، وكذلك الدفاع عن المقاومة، ودفْع الشبهات عنها، وتقديم النصح لها.. كل هذا أعتقد من الواجبات.

ث) والواجبات أيضاً في الميدان العملي: المشاركة بالفعاليات والأنشطة التي تقوم نصرةً لهذه القضية؛ فلا ينبغي أن تقام مسيرة أو وقفة أو نحو ذلك ويبخل الإنسان بخروجه ساعة للتعبير! كذلك الحرص على أن تكون منابر العلماء والدعاة هي شقيقة منبر المسجد الأقصى المبارك، ومدافعة عنهم، مستحضرة له دائماً، ثم تربية الأجيال وبث روح العزة والجهاد في سبيل الله تعالى في أبناء هذه الأمة.

ج) الجهاد بالمال: وبذله بكل الممكن، ولا يستقل إنسان إمكاناته في هذا مهما كانت قليلة، فما البناء الضخم الكبير إلا مجموع حبات رمل تراكمت وتكاملت فصارت حجراً، وحجر على حجر يصير جداراً، وجداراً إلى جدار إلى أن يصبح بناءً عظيماً، ولو بقيت حبُيبيات الرمل هذه متفرقة لبقينا ندوسها في الطرقات، رفع شأنَها اجتماعُها وعدم استقلال شأنها، فالجهاد بالمال أيضاً من ضرورات نصرة هذه القضية.. وبالله التوفيق.

أنصار النبي ﷺ نستكمل الجزء الثاني من الحوار مع د. نواف تكروري -حول زيارته إلى الإمارة الإسلامية في أفغانستان- في العدد القادم إن شاء الله تعالى.

من بين ركام الزلزال المدمِر

هنا شمال سوريا



د. أنس عيروط

عضو مجلس أمناء الهيئة العالمية لنصرة نبي الإسلام ﷺ

عصفت الكوارث بأهل السنة في سوريا، وانهالت علينا جميع أنواع الابتلاءات، واجتمعت قُوى الظلم والبغي حتى حالتها دماراً وخراباً.. ولله الحمد من قبل ومن بعد، إنها مرحلة اصطفاء وتمحيص ولا شك في ذلك.. فكان الزلزال آخر ما حصل، وكأنه الله عز وجل أرسله إلى العالم حتى يتذكروا هذه الأمة المنسية والمغيبة حتى على إخواننا المسلمين، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

هذا الزلزال كان ظاهره العذاب وباطنه الرحمة بالمؤمنين.. قال تعالى: ﴿وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَآءَ﴾ [آل عمران: ١٤٠]، وهذا عزاؤنا فكل منا تعلّم من الزلزال وجعله منعطف التغيير في حياته. ونحن هنا في بلاد رزحت تحت الحرب والظلم والجور كانت لنا مع هذا الزلزال وقفات كثيرة، فقد ارتأيت بعضاً منها مما عاينته واستشعرته وأنا في بلد الزلزال.

الوقفة الأولى: خيرية أهل الشام



رغم كل ما حصل، وكل النكبات والكوارث التي حلت بنا في أرض الشام، ظهرت قوة العلاقات الحميمية بين أهلها، ونعمة التلاحم والتكافل والتعاون عند الشدائد والمحن.. فالكل ساعد الكل، الشباب والنساء والصغار والمدنيون والعسكريون.. والكل شارك وآزر بما يستطيع معنوياً ومادياً.

فحق لأهل الشام الذين زكاهم الله عز وجل أن تكون لهم الخيرية.. فقد ثبتوا في الحرب وعند الفتن وفي الزلازل.. قال تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُوا۟ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ﴾ [البقرة: ٢١٤]

الوقفة الثانية: الإيمان وتد المسلم

فالجبال الراسيات أوتاد الأرض تثبتها وتقويها، والإيمان كذلك هو وتد المسلم عند الشدائد والمحن.. فالزلزال مدمر، زلزل القلوب والأبدان، فلم يثبتهم ويهدئ روعهم إلا الإيمان، وقد تجلى في صبرهم ورضاهم وذكرهم الله عز وجل رغم عظم المحنة.

الوقفة الثالثة: خيرية هذه الأمة

قال ﷺ: «الخير فيّ وفي أمتي إلى قيام الساعة».

نحن لا نعول على الدول، بل على الأمة، فالخير كل الخير في هذه الأمة وشعبها، فقد هبت الأمة بعلمائها وكوادرها لنصرة الشعب المنكوب من جراء هذا الزلزال المدمر، فأرسلوا القافلات والمساعدات حتى بلغت أضعاف ما أرسلته الأمم المتحدة.

كما أرسلوا أموالاً كثيرة دعماً لهذا الشعب المظلوم، الذي يعاني البأساء والضراء منذ اثنتي عشرة سنة وحتى الآن. وهذا مصداق قول النبي ﷺ.

الوقفة الرابعة: تآمر دولي

في خضم هذا الزلزال المدمر الذي أصاب تركيا والشمال السوري المحرر، عمدت كثير من دول العالم ومنها دول عربية إلى إرسال المعونات للنظام المجرم الذي دمر سوريا، وأهلك الحرث والنسل، وقتل أكثر من مليون مسلم، واعتقل أكثر من مليون إنسان من شباب ونساء وأطفال وشيوخ، وحوّل سوريا إلى معتقل.. كما شرد ما يقارب أربعة عشر مليون سوري.. كل هذا والأمم المتحدة ومن معها من الدول تعمل على التطبيع مع هذا النظام المجرم بحجة الكارثة، فأغرقته بالمساعدات مغمضة عينيها عن موقع الكارثة وما خلفه الزلزال في الشمال المحرر بلا إنسانية.. وكأنهم كانوا ينتظرون بفارغ الصبر هذه الكارثة لينتشلوا هذا النظام للمرة المليون وتقويته، متجاهلين أنين من قضوا تحت الأنقاض.

اللهم انصر هذه الأمة، واخذل من خذلها!

الوقفة الخامسة: ضد الزلازل

وفي كل شيء له آية •• تدل على أنه واحد

فقد تبين لنا أن الأبنية التي صممت ضد الكوارث والزلازل لن تقف في وجه آيات الله عز وجل، فمهما أخذنا بأسباب القوة والمادة تبقى قوة الله فوقها، وقدرة الله أعظم.. فليس هناك قانون يحكم ويحاسب إلا قانون رب العالمين.. فقد رأينا أبنية هشة البنية بقيت ثابتة ولم تتأثر، وبالمقابل أبنية متينة وصلبة قد تكسرت وتفتت وصارت أثراً بعد عين.

كل ذلك حتى ترجع الناس إلى الله القوي القادر، وتستيقن أن الأمر بيده، فلا يتلاوم البشر في أمر كوني قدري.

توصيات

إخواني الكرام.. الزلزال هو من أمر الله الكوني، ولا اختيار لنا فيه، وقد حصل.. ومما يتوجب علينا -نحن المسلمين أجمع- في المرحلة المقبلة، وبعد أن نلملم أشتاتنا، ونضمد جراحنا، ونمسح دموع الحزن والألم على من فقدناهم بسبب الزلزال أو بسبب الحرب الدموية السادية.. آن لهذا البلد النازف والمكلوم (المحرر) من أن تتجه جميع الجهود نحو إعادة إعماره وبنائه.

كفى تقليباً في الأحداث، فهي تزيد أوجاعنا، وتجدد المأساة، فالدمار محيط، والتشرد قائم ويزيد!

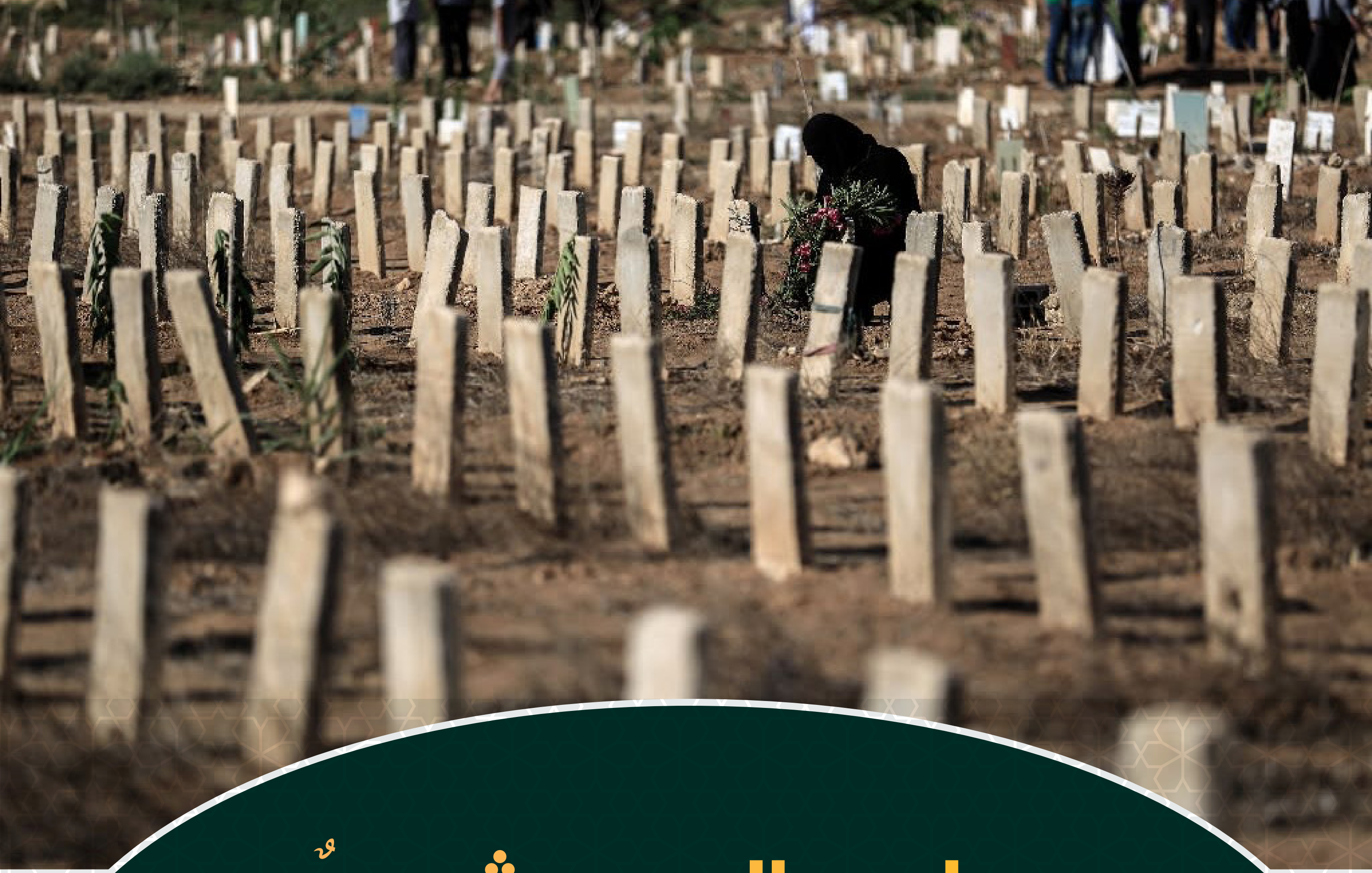
فليس من الإنسانية أن يبقى الناس في الخيم والعراء مشردين.. فلذلك ندعو كل من يحمل ذرة إنسانية ورحمة أن يزور الشمال السوري المحرر؛ ليعاين بنفسه آثار ما خلفته الحرب الشعواء على هؤلاء السوريين العزل، وما خلفه الزلزال مؤخراً، فقد أتى على ما بقي من الحجارة التي هدمها النظام بكل أنواع الأسلحة المحرمة دولياً.



وأيضا ليشارك إخوانه المسلمين السوريين آلامهم وآمالهم.. وينقل ما شاهده إلى العالم من عظمة هذا الشعب وإرادته للحياة وتفانيه رغم ما نزل به.

اللهم تقبل شهداءنا، واشفِ جرحانا، وعافِ مبتلانا، وآمن روعاتنا، وداوِ آلامنا بإخواننا المسلمين، وانصرنا على القوم الكافرين.

سوريا.. مأساة العصر، ووصمة عار في جبين الإنسانية.



«وصاحب الهدم شهيدٌ»

خواطر إيمانية عن وقوع الزلازل

عبد الله الطبلوهي

باحث شرعي

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن تبعه بإحسان إلى يوم الدين.. وبعد؛ فعن البراء بن عازب رضي الله عنه، قال: "مَاتَ عَلَى القِبْلَةِ قَبْلَ أَنْ تُحَوَّلَ رِجَالٌ وَقُتِلُوا، فَلَمْ نَدْرِ مَا نَقُولُ فِيهِمْ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ﴾ [البقرة: ١٤٣]"[١].

---

١. رواه البخاري.

لما تحولت القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة المشرفة تساءل أناس عن الصلوات التي صلوها جهة القبلة المنسوخة أيُثابون عليها أم لا؟ فأخبر الله جل وعلا أن العمل الصالح محفوظ أجره وثوابه عند الرحمن الرحيم ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [البقرة: ١٤٣]، قال الطبري: «أخبر الله جل ثناؤه أنه لم يكن يُبطل عَمل عاملٍ عمل له عملا وهو له طاعة، فلا يُثيبه عليه»[٢].

وقريب من هذا المعنى قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا * أُولَئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ نِعْمَ الثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا﴾ [الكهف: ٣٠ - ٣١].

وقد يتساءل بعض الناس وقد رأوا الزلزال الكبير الذي ضرب قبل أيام ديار المسلمين في أجزاء من شمال الشام وتركيا، وأدى لوفاة عشرات الآلاف من الناس: أين أثر الإيمان في دفع هذه المأساة عن المسلمين؟



والجواب: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [البقرة: ١٤٣]، فأثر الإيمان كبير لا يضيع بفضل الله تعالى، ويبين ذلك:

أن الدنيا دار ابتلاء والآخرة دار الجزاء

الدنيا دار ابتلاء، والمؤمن والمنافق والكافر معرضون للاختبار فيها والامتحان لتتباين مراتبهم في الآخرة، قال تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [المُلك: ٢].

٢. تفسير الطبري.

وقال جل وعلا: ﴿الم * أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ * وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ﴾ [العنكبوت: ١ - ٣].

وقال سبحانه: ﴿مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ﴾ [آل عمران: ١٧٩].

وقال تعالى: ﴿وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ﴾ [آل عمران: ١٥٤].

قال ابن القيم متحدثاً عن بعض حِكم ابتلاء المؤمنين: «لو كانوا دائماً منصورين غالبين قاهرين، لدخل معهم مَن ليس قصده الدين ومتابعة الرسول؛ فإنه إنما ينضاف إلى مَن له الغلبة والعزة، ولو كانوا مقهورين مغلوبين دائماَ لم يدخل معهم أحد، فاقتضت الحكمة الإلهية أن كانت لهم الدولة تارة وعليهم تارة فيتميز بذلك بين مَن يريد الله ورسوله، ومَن ليس له مراد إلا الدنيا والجاه»[٣].



فالآخرة -وليست الدنيا- هي دار الثواب الكامل والجزاء الأتم، فألم المؤمن في الدنيا ليس ضياعاً لثواب الإيمان؛ بل هو تهيئة له للنعيم المقيم الذي ينتظره وجنان الخلد التي أعدت للمتقين، فالحياة الكاملة في الآخرة، قال تعالى: ﴿وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ [العنكبوت: ٦٤].

---

٣. إغاثة اللهفان.

وقال جل وعلا: ﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾ [الكهف: ٤٦].

وقال تعالى: ﴿وَجَزَاهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا * مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا * وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَالُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا * وَيُطَافُ عَلَيْهِمْ بِآنِيَةٍ مِنْ فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا * قَوَارِيرَ مِنْ فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا * وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنْجَبِيلًا * عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّى سَلْسَبِيلًا * وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَنْثُورًا * وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا * عَالِيَهُمْ ثِيَابُ سُنْدُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُّوا أَسَاوِرَ مِنْ فِضَّةٍ وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا * إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعْيُكُمْ مَشْكُورًا﴾ [الإنسان: ١٢ - ٢٢].

أن ما يصيب الكافرين في الدنيا أشد وأكثر مما يصيب المسلمين

قال تعالى: ﴿إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ﴾ [آل عمران: ١٤٠].

وقال جل وعلا: ﴿إِنْ تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [النساء: ١٠٤].



وقال سبحانه: ﴿وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا تُصِيبُهُمْ بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِنْ دَارِهِمْ حَتَّى يَأْتِيَ وَعْدُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾ [الرعد: ٣١].

وقال تعالى: ﴿وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَى دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [السجدة: ٢١].

وقال سبحانه: ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأنعام: ٤٤ - ٤٥].

وقال تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾ [طه: ١٢٤].



وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: "إِنَّ اللهَ لَيُمْلِي لِلظَّالِمِ حَتَّى إِذَا أَخَذَهُ لَمْ يُفْلِتْهُ، ثم قرأ: ﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ [هود: ١٠٢]"[٤].

قال ابن القيم: «ما يصيب المؤمنين من الشرور والمحن والأذى دون ما يصيب الكفار، والواقع شاهد بذلك، وكذلك ما يصيب الأبرار في هذه الدنيا دون ما يصيب الفجار والفساق والظلمة بكثير... ما يصيب المؤمنين في الله تعالى مقرون بالرضا والاحتساب، فإن فاتهم الرضا فمُعوَّلهم على الصبر وعلى الاحتساب، وذلك يخفف عنهم ثقل البلاء ومؤنته، فإنهم كلما شاهدوا العوض هان عليهم تحمل المشاق والبلاء، والكفار لا رضا عندهم ولا احتساب، وإن صبروا فكصبر البهائم.. فاشتركوا في الألم، وامتاز المؤمنون برجاء الأجر والزلفى من الله تعالى... ومن المعلوم أن الخلق كلهم يموتون، وغاية هذا المؤمن أن يستشهد في الله، وتلك أشرف الموتات وأسهلها، فإنه لا يجد الشهيد من الألم إلا مثل ألم القرصة، فليس في قتل الشهيد مصيبة زائدة على ما هو معتاد لبني آدم، فمن عد مصيبة هذا القتل أعظم من مصيبة الموت على الفراش فهو جاهل، بل موت الشهيد من أيسر الميتات وأفضلها وأعلاها"[٥].

---

٤. متفق عليه.

٥. إغاثة اللهفان.

ومن تأمل في واقع الناس اليوم علم أن المصائب والعقوبات التي تقع على الكافرين أشد وأكثر من البلاء الذي يصيب المسلمين؛ فلئن كان زلزال تركيا أدى لوفاة خمسين ألفاً بعد سنين عديدة من حصول زلزال سابق واسع التدمير، فإنه يموت سنوياً سبعمائة ألف منتحر في العالم بسبب إعراضهم وفسوقهم، منهم مثلاً في أمريكا قرابة خمسين ألف منتحر سنوياً.

ويموت سنوياً أكثر من ثلاثة ملايين شخص في العالم بسبب تناول الخمر، منهم مثلاً في أمريكا قرابة سبعين ألف ميت سنوياً.

ويموت سنوياً ستمائة وخمسون ألف شخص بمرض الإيدز في العالم بسبب إعراضهم وفسوقهم، منهم مثلاً في أمريكا قرابة عشرين ألف ميت سنوياً.

وتحدث سنوياً في العالم قرابة ٤٦ مليون حالة إجهاض وقتل للجنين، منهم مثلاً في أمريكا قرابة ستمائة ألف حالة سنوياً.

هذا عن بعض أنواع القتل والموت فقط التي تنتشر بين الكفار، يضاف لذلك أنواع الأمراض وأنواع النكد والضيق والمعيشة الحيوانية التي تحيط بهم من كل جانب؛ كملاجئ اللقطاء التي هي أشبه بمجتمع الحيوانات الذي يأكل العلف ويُنظَّف من الروث لا يعرفون رحمة أمومة ولا تربية والد، ودور العجزة التي يرمى فيها العجائز ينتظرون فيها الموت فيموتون قبل موتهم ميتات.

وكون ما يصيب الكافرين في الدنيا أشد وأكثر مما يصيب المسلمين لا ينفي كون المؤمن أشد الناس بلاء؛ لأن كثيراً مما يصيب الكافرين فيه معنى الانتقام والنكال، والكافرون أكثر الناس عرضة للانتقام، أما بلاء المؤمن ففيه معنى الرحمة والتخفيف، والمؤمنون أكثر الناس بلاء رحمة.

أن العصيان ومخالفة طريق الإيمان سبب لوقوع الزلزال

قال تعالى: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الروم: ٤١].

وقال جل وعلا: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ﴾ [الشورى: ٣٠].

وقال تعالى: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ [النحل: ١٢٢].

وقال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ﴾ [هود: ١١٧].

وفي الحديث القدسي، قال الله تعالى: "يَا عِبَادِي، إِنَّمَا هِيَ أَعْمَالُكُمْ أُحْصِيهَا لَكُمْ، ثُمَّ أُوَفِّيكُمْ إِيَّاهَا، فَمَنْ وَجَدَ خَيْرًا فَلْيَحْمَدِ اللَّهَ، وَمَنْ وَجَدَ غَيْرَ ذَلِكَ فَلَا يَلُومَنَّ إِلَّا نَفْسَهُ"[٦].

وعن زينب بنت جحش رضي الله عنها أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ دَخَلَ عَلَيْهَا فَزِعًا يَقُولُ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَيْلٌ لِلْعَرَبِ مِنْ شَرٍّ قَدِ اقْتَرَبَ، فُتِحَ الْيَوْمَ مِنْ رَدْمِ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مِثْلُ هَذَا، وَحَلَّقَ بِإِصْبَعِهِ، وَبِالَّتِي تَلِيهَا، فَقَالَتْ زَيْنَبُ: فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَنَهْلِكُ وَفِينَا الصَّالِحُونَ؟ قَالَ: نَعَمْ إِذَا كَثُرَ الْخَبَثُ[٧].

---

٦. رواه مسلم.

٧. متفق عليه.



قال ابن تيمية: «ما جاء به الرسول ﷺ ليس سبباً لشيء من المصائب، ولا تكون طاعة الله ورسوله قط سبباً لمصيبة، بل طاعة الله والرسول لا تقتضي إلا جزاء أصحابها بخيري الدنيا والآخرة، ولكن قد تصيب المؤمنين بالله ورسوله مصائب بسبب ذنوبهم، لا بما أطاعوا فيه الله والرسول، كما لحقهم يوم أُحد بسبب ذنوبهم لا بسبب طاعتهم الله ورسوله ﷺ، وكذلك ما ابتُلوا به في السراء والضراء والزلزال ليس هو بسبب نفس إيمانهم وطاعتهم، لكن امتُحنوا به، ليتخلصوا مما فيهم من الشر، وفُتنوا به كما يفتن الذهب بالنار، ليتميز طيبه من خبيثه، والنفوس فيها شر، والامتحان يمحص المؤمن من ذلك الشر الذي في نفسه"[٨].

ومن تأمل حال أرض المسلمين اليوم ومنها التي تعرضت للزلزال رأى كثرة الحكم بغير ما أنزل الله تعالى، وموالاة الكفار، وترك الصلاة، وأكل الربا، وإيذاء الصالحين، وخذلان المستضعفين، وشرب الخمر، والزنا... وغيرها من الموبقات التي هي بلا شك من أهم أسباب نزول البلاء، قال تعالى: ﴿لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ مَن يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾ [النساء: ١٢٣]، وقال جل وعلا: ﴿أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَٰذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [آل عمران: ١٦٥].

أن للمؤمن في البلاء نعمًا ومنحًا عظيمة

من فوائد الإيمان عند البلاء والتي تؤكد عدم ضياع الإيمان أنه تتنزل على المؤمن بسبب البلاء خيرات كثيرة من: تكفير للسيئات، ورفع للدرجات، وتوفيق للتوبة النصوح، وبلوغ منزلة الشهادة، وإدراك منازل

٨. مجموع الفتاوى.

عالية من الاجتهاد في الطاعات كالصبر والشكر والذكر والدعاء والتضرع والصلاة والصدقة والحج..، وهي نعم أعظم مما أصيب به المؤمن في بلائه، قال تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ * الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ * أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾ [البقرة: ١٥٥- ١٥٧].



وقال جل وعلا: ﴿لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ [آل عمران: ١٨٦].

وقال تعالى: ﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ * الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُو رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ [البقرة: ٤٥ - ٤٦].

وقال رسول الله ﷺ: "الشُّهَدَاءُ خَمْسَةٌ: المَطْعُونُ، وَالمَبْطُونُ، وَالغَرِقُ، وَصَاحِبُ الهَدْمِ، وَالشَّهِيدُ فِي سَبِيلِ اللهِ"[٩].

وقال رسول الله ﷺ: "مَنْ يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيْرًا يُصِبْ مِنْهُ"[١٠].

وقال رسول الله ﷺ: "مَا يُصِيبُ المُسْلِمَ مِنْ نَصَبٍ وَلاَ وَصَبٍ وَلاَ هَمٍّ وَلاَ حُزْنٍ وَلاَ أَذًى وَلاَ غَمٍّ، حَتَّى الشَّوْكَةِ يُشَاكُهَا، إِلَّا كَفَّرَ اللهُ بِهَا مِنْ خَطَايَاهُ"[١١].

---

٩. متفق عليه.

١٠. رواه البخاري.

١١. متفق عليه.

وقال ﷺ: "عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ، إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَاكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ، إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ، فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ صَبَرَ، فَكَانَ خَيْرًا لَهُ"[١٢].

وعن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: "قلت: يَا رَسُولَ اللهِ، أَيُّ النَّاسِ أَشَدُّ بَلَاءً؟ قَالَ: الأَنْبِيَاءُ ثُمَّ الأَمْثَلُ فَالأَمْثَلُ، فَيُبْتَلَى الرَّجُلُ عَلَى حَسَبِ دِينِهِ، فَإِنْ كَانَ دِينُهُ صُلْبًا اشْتَدَّ بَلَاؤُهُ، وَإِنْ كَانَ فِي دِينِهِ رِقَّةٌ ابْتُلِيَ عَلَى حَسَبِ دِينِهِ، فَمَا يَبْرَحُ الْبَلَاءُ بِالْعَبْدِ حَتَّى يَتْرُكَهُ يَمْشِي عَلَى الأَرْضِ مَا عَلَيْهِ خَطِيئَةٌ"[١٣].

قال ابن القيم: «إذا تأملت حكمته سبحانه فيما ابتلى به عباده وصفوته بما ساقهم به إلى أجلِّ الغايات وأكمل النِّهايات التي لم يكونوا يعبُرون إليها إلا على جسرٍ من الابتلاء والامتحان... كان ذلك الابتلاء والامتحان عين المنح في حقهم والكرامة، فصورته صورة ابتلاء وامتحان، وباطنه فيه الرحمة والنعمة والمنة، فكم لله من نعمة جسيمة ومنة عظيمة تُجنى من قطوف الابتلاء والامتحان»[١٤]. وقال: «ابتلاء المؤمن كالدواء له يستخرج منه الأدواء التي لو بقيت فيه أهلكته، أو نقصت ثوابه وأنزلت درجته، فيستخرج الابتلاء والامتحان منه تلك الأدواء ويستعد به لتمام الأجر، وعلو المنزلة»[١٥].

قال ابن حجر: «لما كان هبوب الريح الشديدة يوجب التخوف المفضي إلى الخشوع والإنابة، كانت الزلزلة ونحوها من الآيات أولى بذلك، لا سيما وقد نص في الخبر على أن كثرة الزلازل من أشراط الساعة»[١٦].

١٢. رواه مسلم.
١٣. رواه الترمذي وابن ماجه.
١٤. مفتاح دار السعادة.
١٥. إغاثة اللهفان.
١٦. فتح الباري.

بل إن العبودية التي تحصل عند هذا البلاء تتعدى مَن نزل عليهم الزلزال مباشرة، فتكون ذكرى للمؤمنين في مشارق الأرض ومغاربها، تستدعي منهم الذكر والشكر وحسن العمل.

وختاماً: فإن المؤمن يستشعر عند حلول البلاء مزيد حلاوة الإيمان، ويجد أثر تنزل السكينة عليه، ويدرك ألطاف ربه به، فيزداد إيماناً وصبراً ورضا ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ﴾ [الفتح: ٤]، وتلك أحوال لا يفقه حقيقة معناها وأثرها إلا المؤمنون حقاً، خاصة في زمن تغول حضارة مادية جاحدة تتعامل مع الروح تعاملها مع الجماد الميت؛ فخسرت كرامتها وإنسانيتها ودورها في الحياة.

والحمد لله رب العالمين.

فلسطين يا دُرّة في أيدي النخاسة





الشيخ مختار بن العربي مؤمن

عضو مجلس الأمناء بالهيئة العالمية لنصرة نبي الإسلام ﷺ

فلسطين قبلة الإسراء والصلاة، ومعراج الحبيب، ومصلى الأنبياء، أرض مباركة ببركة الرحمن، وقصة سرمدية متجذرة في وجدان كل مسلم عبر التاريخ، فلسطين أرض المعراج، ومهوى أفئدة الموحدين، طهرها النبي محمد ﷺ وأصحابه من رجس الكافرين الملحدين، واستلم مفاتيحها الفاروق ففرق فيها بين الحق والباطل، وسكنها الصّحابة فكانت لهم رباطاً تنطلق منه جحافل الفرسان الفاتحين.

فلسطين فيها المسجد الأقصى قُدْس الأقداس، ضَمَّ ثرى الأنبياء، وصلاة المرسلين، وطهر العاكفين، وإخبات الزاهدين، وآنّات المنقطعين، فلسطين في كلّ قلب نابض بالحبّ والإيمان، حبٌّ صافٍ، ووفاءٌ وافٍ، وجروحٌ دامية، وعبرات هامية.

فلسطين ليست سلعة يساوَم عليها فتُباع وتُشترى، ولا لعبة يتقاذفها شياطين السياسية من أولي البطر والهوى، وبائعو الذمم في سوق النخاسة، فلسطين جوهرة مصونة، لها ولأهلها ضمانات مضمونة، وفتوحات مضنونة.

«فلسطين أُخذت بالسيف، واقتُطعت بالحَيف وكاد لها الاستعمار فورثها شذّاذ الآفاق، وعديمي الأخلاق».

فلسطين لا تُرد بالمفاوضات ولا بالمساومات، فما أُخذ بالقوة لا يُرد إلا بالقوّة، ولا يفل الحديد إلا الحديد، قال تعالى: ﴿وَلَا يَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَبَقُوٓاْۚ إِنَّهُمۡ لَا يُعۡجِزُونَ وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن قُوَّةٖ وَمِن رِّبَاطِ ٱلۡخَيۡلِ تُرۡهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمۡ...﴾ بل ترهبون خونة قد عشّشت في قلوبهم الخيانة، وطُمست من أنفسهم آثار الديانة، ﴿وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمۡ لَا تَعۡلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعۡلَمُهُمۡۚ...﴾. [الأنفال]

إنّ المسلمين عموماً والعرب خصوصاً قد حرّروا فلسطين مرّتين في التّاريخ، ودفعوا عنها الغارات المجتاحة مرّات كثيرة، وملكوها ثلاثة عشر قرناً، وعاش تحت رحمتهم أهل أديان شتّى، فلم يُساموا بظلم، ولم يعرفوا الضّيم، ومنهم اليهود والنّصارى، ولكن أتاح النّصارى لليهود فرصة الاستيطان فناصروهم وأعطوهم السّلاح والضمان، وكانت حلقة الشر من الإنجليز هي مَن عملت على تفكيك الخلافة، وتمليك أرض فلسطين الطاهرة لشرار الخلق، يقول الإبراهيميُّ في هذا:


الشيخ البشير الإبراهيمي

«إنَّ الإسلام والاستعمار ضدَّان لا يلتقيان في مبدأٍ ولا غاية، فالإسلام دينُ الحُرِّيَّة والتَّحرير، والاستعمار دين العبوديَّة والاستعباد، والإسلام شرع الرَّحمة والرِّفق، وأَمَرَ بالعدلِ والإحسان، والاستعمار قوامه على الشِّدَّة والقسوة والطُّغيان، والإسلام يدعو إلى السَّلام والاستقرار، والاستعمار يدعو إلى الحرب والتَّقتيل والتَّدمير».

ويقول أيضاً عن الإنجليز: «إنّهم ينطوون لكم على العظائم، وإنّ في جُعبتهم ما في جعبة الحاوي مِن حيّاتٍ، وإنّ في أيديهم عروق الجسم العربيِّ يضغطون أين شاءوا، ومتى شاءوا».

وقد آن لأهل الإسلام أن يجتمعوا على جهاد دفع الغزاة، بدءاً بإصلاح أنفسهم وأهليهم ليكون النّصر حليفاً، قال تعالى: ﴿وَإِذۡ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبۡعَثَنَّ عَلَيۡهِمۡ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ مَن يَسُومُهُمۡ سُوٓءَ ٱلۡعَذَابِۗ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ ٱلۡعِقَابِ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ [الأعراف: ١٦٧]

إن الانتصار على اليهود وشركائهم هو طريق له مراحل يقطعها المجِدُّون الصّابرون، والمرابطون المعتصمون بحبل الله تعالى.. ولا يكون إلاّ بالتّضحيات بالنّفس والنّفيس، والغالي والرّخيص، والتّخطيط الواعي، والوعي العميق.

يقول الشاعر محمد العيد آل خليفة الجزائري شاعر جمعية علماء المسلمين:



الشاعر محمد العيد آل خليفة

ولا تزعجك آلاف الضحايا •• وما أجراه من دمه الغزير
فتلك شهادة الشهداء فيه •• وذلك أجر مطلبه الكبير

الطّابور الخائن

إنّ أكبر تحدٍ في طريق النّصر هو الطابور المنافق خادم الاستعمار وظهير الاستدمار، مِن المنافقين الذين لا يريدون نصراً مضرجاً بالدماء، ومن غير ألم ولا بأساء، بل ليس لهم عمل إلاّ تثبيط العزائم، وخذلان المرابطين والمجاهدين أولي الهمم العالية، إنّ موالاة الاستعمار عداوةٌ للهِ وخروجٌ عن دينه، فلا توالوه في سلمٍ ولا حربٍ؛ فإنَّ مصلحته في السِّلم هي مصالحكم، وغنيمته في الحرب هي أوطانكم.

قال تعالى: ﴿وَلَوۡ أَرَادُواْ ٱلۡخُرُوجَ لَأَعَدُّواْ لَهُۥ عُدَّةٗ وَلَٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمۡ فَثَبَّطَهُمۡ وَقِيلَ ٱقۡعُدُواْ مَعَ ٱلۡقَٰعِدِينَ * لَوۡ خَرَجُواْ فِيكُم مَّا زَادُوكُمۡ إِلَّا خَبَالٗا وَلَأَوۡضَعُواْ خِلَٰلَكُمۡ يَبۡغُونَكُمُ ٱلۡفِتۡنَةَ وَفِيكُمۡ سَمَّٰعُونَ لَهُمۡۗ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ﴾. [التوبة: ٤٧-٤٨]

ومما زاد الطين بِلّةً، والتّصدع جِلَّة، هو مؤازرة خونة الخارج من بعض الدول العربية والإسلامية زمرة التطبيع والخنوع، والمسارعة في إرضاء شذاذ الآفاق من الصهاينة، والخيانة العالمية، خوفاً على كراسيهم، وتزلفاً لأسيادهم، وما أجمل تعبير القرءان! حينما وصفهم بالمسارعة في غير طهر ولا بِرّ، وإنما في خيانة سينزاح ظلامها قريباً بإذن الله وهي من الضّمانات الإلهية قال الحق سبحانه:



﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوۡلِيَآءَۘ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَإِنَّهُۥ مِنۡهُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ * فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ يُسَٰرِعُونَ فِيهِمۡ يَقُولُونَ نَخۡشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٞۚ﴾. هكذا فهمت قلوبهم المريضة أنّ الدائرة ستقع عليهم، وهي واقعة لا محالة بأيدي الأبرار الأطهار، قوَّامِ الليل وصوام النهار، ﴿فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأۡتِيَ بِٱلۡفَتۡحِ أَوۡ أَمۡرٖ مِّنۡ عِندِهِۦ فَيُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ نَٰدِمِينَ﴾. [المائدة: ٥١، ٥٢]

ولذلك يتعيّن على كل مسلم أن ينبذ هؤلاء الخونة، وأن يكشف للأمة عوارهم، وأن يهدم ضرارهم، ويجلي آثارهم، حتى لا تنطلي على البسطاء الحيلُ المسمومة بعسل علماء السوء وفتاويهم المذمومة، التي يحثّون فيها على السّلم في غير موضعه، والهدنة في غير موطنها.

"وعلى الأمة عامة وأهل فلسطين خاصة أن يجلوا سيوفهم، ويعدوا عدة التحرير فإن النّصر قادم بإذن الله إن حققنا شرطه، وكسبنا شطره قال تعالى: ﴿إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ﴾ [محمد: ٧]"

ولله در لقيط بن يعمر بن خارجة الإيادي، حينما صاح صيحة النذير العريان في قومه فقال:

أبلغ إيّاداً وخَلّل في سَـراتهـمُ •• إني أرى الرأي -إن لم أُعص-قد نصعا

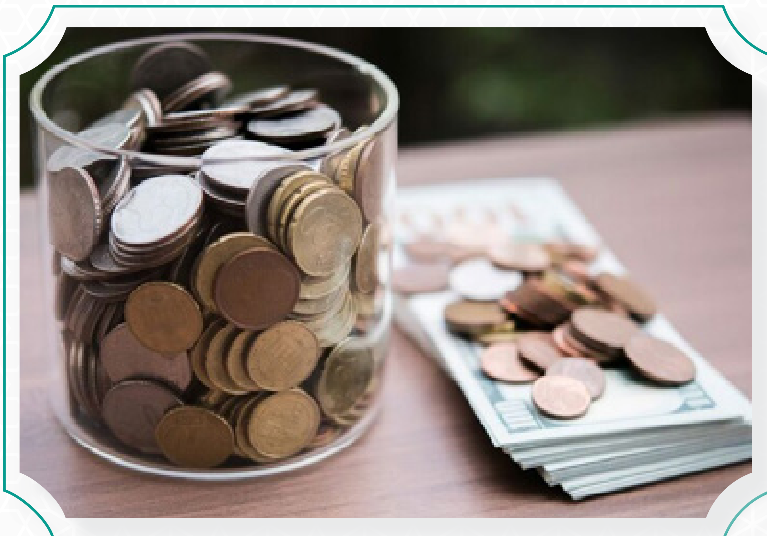
يا لهف نفسي إذا كانت أمــوركمُ •• شتّى، وأُحْكِمَ أمر النـاس فاجتمعا

مـالي أراكم نيامـًا في بلَهْـنيـةٍ •• وقد ترون شهـاب الحرب قد سطعا؟!

فاشفوا غليلي برأيٍ منكمُ حَصِـدٍ •• يصبِحْ فؤادي لـه ريـانَ قـد نقـعا

صونوا جيادكم واجلَوا سيوفكم •• وجـدّدوا للقِسِيِّ النَّـبل والشِّرعـا

نعم، وما فائدة جمع الأموال، وبناء الشركات، إن لم تنفق في مجاهدة العدوّ الرّابض، والعضيد النابض، وجهاد المال لا يقلّ عن جهاد النفس، بل هو العمود الذي تقوم على محوره الأنفس الزكية، والحركة الذكية، وإلّا فلا:



لا تُثْمروا المال للأعداء إنهمُ •• إن يظهروا يحتووكم والتِّلادَ معا
هيهاتَ لا مالَ من زرعٍ ولا إبلٍ •• يرجى لغابركم إنْ أنفكم جدعا
والله ما انفكت الأموال مذ أبد •• لأهلها -إن أصيبوا مرّة- تبعا
قوموا قياماً على أمشاط أرجلكم •• ثم افزعوا، قد ينال الأمنَ مَن فزعا
وقلِّدوا أمركم لله درّكم •• رحب الذّراع بأمر الحرب مضطلعا
لا مترفاً إنْ رخاءُ العيش ساعده •• ولا إذا عضَّ مكروه به خشعا
ما انفك يحلب هذا الدّهر أشطره •• يكون متَّبِعاً طوراً ومتَّبَعا
حتى استمرت على شَزْرٍ مريرته •• مستحكم الرأي لا قحماً ولا ضرعا
وليس يشغله مال يثمره •• عنكم ولا ولد يبغي له الرِّفعا
لقد بذلت لكم نصحي بلا دَخَل •• فاستيقظوا، إنّ خير العلم ما نفعا



فاستيقظي يا أمّةً أمَّتها الأمم فأكلت ما في قصعتها، وتكالبت عليها الأيادي فنخلت نخلتها، وأوكت قربتها، وذهبت نضرة حضارتها، وأما أنت أيّها النّشء المسلم، أنت الرّجاء بعد توفيق الله والأمل في رد الأمة إلى سالف عزها ما تمسكت بالقرءان، واقتديت بنبي آخر الزمان سيد ولد عدنان ﷺ، فأخرج سيفك من غمده، واضرب رؤوس المستدمرين، وثنِّ بالمنافقين، بل أستغفر الله! ابدأ بالثاني قبل الأوّل حتى لا يكون ظهرك مكشوفاً، ونصرك مكتوفاً، واسمع نصيحة إمام المسلمين العلامة عبدالحميد بن باديس يوم نادى بأعلى صوته يحثّ الشباب على كسر قيد الاستدمار الفرنسي والذي ذاق الشعب الجزائري منه الويلات، كما يذوق الشعب الفلسطيني اليوم من حفدة القردة والخنازير النّكال:


العلامة عبدالحميد بن باديس

يَا نَشْءُ أَنْتَ رَجَاؤُنَا •• وَبِكَ الصَّباحُ قَدِ اقْتَرَبْ
خُذْ لِلحَيَاةِ سِلاَحَها •• وَخُضِ الخْطُوبَ وَلاَ تَهَبْ
وَارْفعْ مَنارَ الْعَدْلِ وَالإِ •• حْسانِ وَاصْدُمْ مَن غَصَبْ
وَاقلَعْ جُذورَ الخَائنينَ •• فمنهمُ كُلُّ الْعَطَبْ
وَأَذِقْ نفُوسَ الظَّالِمينَ •• سُمًّا يُمْزَجُ بالرَّهَبْ
وَاهْزُزْ نفوسَ الجَامِدينَ •• فَرُبَّمَا حَيّ الْخَشَبْ
مَنْ كَانَ يَبْغي وُدَّنا •• فَعَلَى الْكَرَامَةِ وَالرّحبْ
أَوْ كَانَ يَبْغي ذُلَّنَا •• فَلَهُ المَهَانَةُ والحَرَبْ

هَذَا نِظَامُ حَيَاتِنَا •• بالنُّورِ خُطَّ وَبِاللَّهَبْ
حتَّى يَعودَ لقَومنَا •• من مَجدِهم مَا قَدْ ذَهَبْ
هَذا لكُمْ عَهْدِي بِهِ •• حَتَّى أُوَسَّدَ في التُّرَبْ
فَإذَا هَلَكْتُ فَصَيْحتي •• تَحيَا الجَزائرُ وَالْعربْ

وأخيراً نقول لفلسطين ما قاله شيخ المجاهدين في الجزائر العلامة البشير الإبراهيمي رحمه الله:

«يا فلسطين! إنَّ في قلبِ كلِّ مسلمٍ جزائريٍّ مِن قضيَّتك جروحًا دامية، وفي جفن كلِّ مسلمٍ جزائريٍّ من محنتك عبراتٌ هاميةٌ».

وأضاف شارحًا مكانة فلسطين والقدس في نفسِ كلِّ مسلمٍ:



«يا فلسطين!.. إذا كان حُبُّ الأوطان مِن أثرِ الهواء والتُّراب، والمآرب التي يقضيها الشَّباب، فإنَّ هوى المسلم لكِ أنَّ فيكِ أولى القبلتَيْن، وأنَّ فيكِ المسجد الأقصى الذي بارك اللهُ حوله، وإنَّكِ كنتِ نِهاية المرحلة الأرضيَّة وبداية المرحلة السَّماويَّة، من تلك الرِّحلة الواصلة ما بين السَّماء والأرض صعودًا بعد رحلة آدم هبوطًا».

وصلى الله وسلم على نبيه الكريم.

بشائر تحرير بيت المقدس



د. يونس الأسطل

عضو رابطة علماء فلسطين، وعضو البرلمان الفلسطيني، وأستاذ الفقه وأصوله

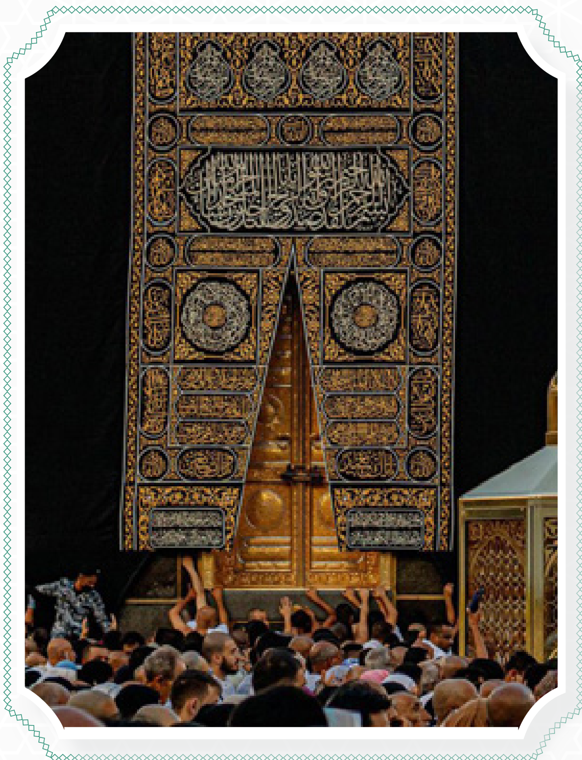
قال تعالى: ﴿سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِي كَانُواْ عَلَيْهَاۚ قُل لِّلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُۚ يَهْدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [البقرة: ١٤٢]

من المرجح أن تحويل القبلة من المسجد الأقصى إلى المسجد الحرام -أولِ بيت وُضع للناس- كان في شعبان من العام الثاني للهجرة، بعد أكثر من ستةَ عشرَ شهراً من الهجرة إلى المدينة المنورة.

وقد كان التوجه إلى المسجد الأقصى لِحِكَمٍ عديدة، منها اختبار إيمانِ المسلمين الأولين، فمن قَوِيَ إيمانُه توجَّه حيثُ يوجِّهه ربُّه، ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡمَشۡرِقُ وَٱلۡمَغۡرِبُۚ فَأَيۡنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجۡهُ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ١١٥] ومَنْ ضَعُفَ يقينه، وكان مرتبطاً بالأرض والحَرَم انقلب على عقبيه، سواء كان هذا بالرِدة عن الدِين، أو بالعزوف عن واجب الهجرة، وأمثال هؤلاء لا يصلحون أن يكونوا ممن ينصرون الله ورسوله، إذْ لو خرجوا فيكم ﴿لَوۡ خَرَجُواْ فِيكُم مَّا زَادُوكُمۡ إِلَّا خَبَالًا﴾ [التوبة: ٤٧]، فأراد الله العليم الحكيم بالتوجه إلى بيت المقدس أن يحول بينهم وبين الهجرة، وقد أكَّد هذا قوله سبحانه: ﴿وَمَا جَعَلۡنَا ٱلۡقِبۡلَةَ ٱلَّتِي كُنتَ عَلَيۡهَآ إِلَّا لِنَعۡلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيۡهِۚ وَإِن كَانَتۡ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ﴾ [البقرة: ١٤٣]

ومن تلك الحكم أيضاً أن يتألف به قلوب طوائف اليهود في المدينة المنورة، حين يتجه إلى قبلتهم لإشعارهم بأن شريعة الإسلام تعظِّم بالمسجد الأقصى؛ لعلهم يُقْبِلون على هذا الدِين، ويقْبَلون أن يكونوا أتباعاً لخاتم النبيين، فقد عرفوا في التوراة أنه النبيُّ الأميُّ ﴿وَيَضَعُ عَنۡهُمۡ إِصۡرَهُمۡ وَٱلۡأَغۡلَٰلَ ٱلَّتِي كَانَتۡ عَلَيۡهِمۡ﴾ كما بشَّرهم به سيدنا عيسى عليه السلام، وأن الرسَول الذي يأتي من بعده اسمه أحمد.

غير أن اليهود قد غلبت عليهم عنصريتهم، فكفروا به بغياً وحسداً أن يُنزل الله عزّ وجلّ من فضله على من يشاء من عباده، وقالوا: هاهو محمد قد اتَّبع قبلتنا، ويوشك أن يتبع ديننا، فضاقت نفس النبي ﷺ بهم ذرعاً، وطفق يقلِّب وجهه في السماء مؤملاً أن ينزل الوحي بالتوجه إلى البيت العتيق، وقد كان، وجاء هذا في شهر شعبان في العام الثاني من الهجرة.



ومن الجدير بالذكر أن الله عز وجل قد ربط قلوب السابقين الأولين من المهاجرين بالمسجد الأقصى

من تاريخ الإسراء إليه، والعروج منه إلى السموات العُلا، ثم بأئتمام جميع الأنبياء والمرسلين بخاتم النبيين فيه؛ لتقوم الحجة على جميع الأقوام بأنهم إن كانوا صادقين في الإيمان بأنبيائهم فما عليهم إلا أن يقتدوا بهم في اتباع هذا الدين، وبَيعة سيد المرسلين، ومن يأتي بعده من الخلفاء الراشدين، والأئمة المهديِّين.

فتح الشام وتحرير الأقصى

وقد حرص النبيُّ ﷺ من ذلك اليوم الذي رأى في ليلته من آيات ربِّه الكبرى أن يبحث عن قاعدة يقيم فيها سلطان الإسلام ودولة الخلافة، ويكون أهلها أنصار الله ورسوله، حيث قيَّضَ الله له أهل يثرب، فهاجر إليهم، ومكث خمس سنين حتى استيأس المشركون بعد غزوة الأحزاب أن يغلبوا هذا الدين، وأولياءَه الميامين.

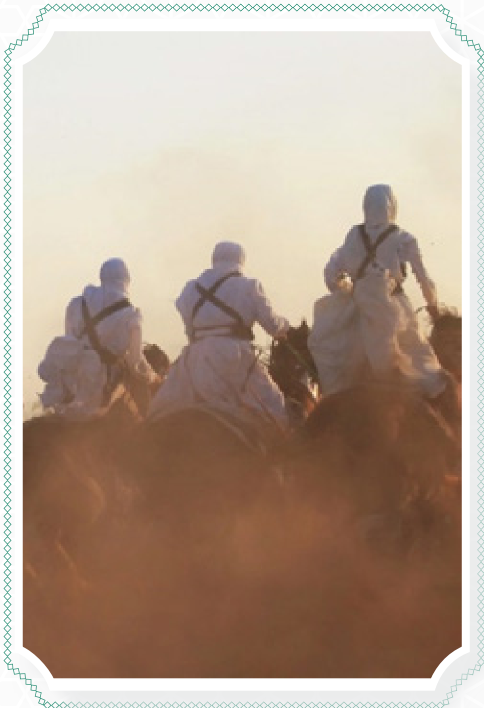
وما كاد النبي ﷺ يُخرج قريشاً من الصدام المسلح معه بصلح الحديبية حتى تطلَّع لفتح الشام، وتحرير الأقصى، فأزاح يهود خيبر من طريقه بعد أربعة أشهر من تاريخ ذلك الصلح.



وحاول فتح الشام دعوياً بكتابه الذي بعثه إلى (هِرَقْل)، غير أن عامله على (بُصرى) قبض على حامل الكتاب الحارث بن عمير الأزدي، وضرب عنقه على غير ما جرى عليه العُرف الدولي بعدم التعرض للسفراء؛ بل بإجارتهم، ثم بتبليغهم مأمنهم، وكان ذلك سبباً في غزوة مؤتة.

ثم قاد النبيُّ ﷺ معركة تبوك، فنصره الله عزوجل على الروم بالرعب مسيرة شهر في ساعة العُسرة، ثم عقد اللواء لأسامة بن زيد لغزو فلسطين والنيل من الروم، لكنَّ النبيَّ ﷺ لم تَقَرَّ عينه برؤية ذلك النصر وهو في الأرض، فقد قبضه الله تعالى إليه في مقعد صدق عند مليك مقتدر، وأمضى هذه الغزوة من بعده خليفته أبو بكر رضي الله عنه رغم التحديات التي استجدَّتْ، وهي ردة أكثر القبائل العربية الذين دخلوا في دين الله أفواجاً بعد فرار الروم بني الأصفر من وجوهنا في غزوة تبوك، على الرغم من كونهم القوة العظمى في الأرض، بعد أن غلبوا قوة فارس في بضع سنين.

وما كاد أبو بكر رضي الله عنه يفرغ من حروب الردة حتى وَجَّهَ الجيوش لفتح الشام، وقد عاجلته الـمَنِيّة، فلم تكتحل عيناه برؤية الأقصى محرراً، وقد أكمل هذه الفريضة من بعده الخليفة الثاني الفاروق عمر رضي الله عنه، واستطاع في معركة اليرموك أن يقوِّضَ الإمبراطورية الرومانية بعد سبعة قرون من الإجرام في الشام وما حولها، ثم إنه رضي الله عنه قد جاء بنفسه بعد أربعة أشهر؛ ليتسلَّم مفاتيح بيت المقدس، وليعيد تطهير المسجد الأقصى للعاكفين والبادين، والرُّكَّع السُّجود.



والعجيب أن ذلك قد تحقَّقَ في العام الخامسَ عشرَ، أو السادس عشر للهجرة؛ أيْ أن المدة الزمنية بينه وبين ليلة الإسراء والمعراج كانت دون ثماني عشرة سنة، ولا غرابة فإن الله عزَّوجلَّ ينشئ الإنسان خَلْقاً آخر بالإيمان والقرآن؛ فيصبح المؤمنون بذلك عباداً لله أُولي بأسٍ شديد، ويصيرون جنوداً لله لا قِبَلَ لعدوِّهم بهم؛ بل يخرجونه منها أذلة وهم صاغرون.

الصليبيون يعودون والمسلمون بالمرصاد

وقد ظلَّ المسلمون خمسة قرون وهم مستمسكون بالمسجد الأقصى، ومستمرون في الفتوحات، حتى بلغوا مشارق الأرض ومغاربها، ثم أصابهم الوَهْنُ، وكَثُرَ الخبث، فزحف الصليبيون ورثة الروم

من جديد، وانتزعوا الأقصى من أيدينا، وأراقوا دماء سبعين ألفاً من إخواننا الذين سبقونا بالإيمان في ساحاته، وجعلوه إصطبلاً لخيولهم، وعلى رأس تسعة عقود كان آل زنكي، ثم الأيوبيون، قد أحيوا هذا الدين تارة أخرى، وصنعوا به عباداً لله أُولي بأس شديد، فكسروا شوكة الصليبيين في معركة (حطين) ثم دخلوا المسجد الأقصى كما دخله الفاتحون أول مرة، وعاد مطهراً للركع السجود.

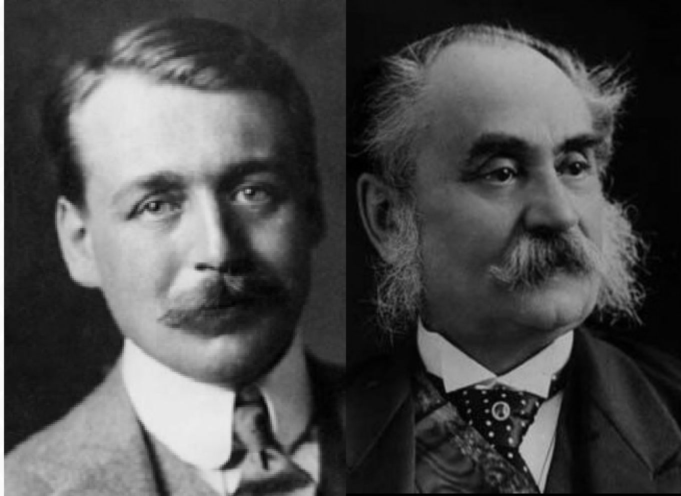
زحف التتار وتصدي المماليك



وحين زحف المغول والتتر على العالم الإسلامي، ووصلوا بغداد عام ٦٥٦هـ، وذبحوا معظم أهلها، ودمَّروا حضارتها، ثم زحفوا إلى الشام، وقتلوا فيها مئاتِ الألوف ولم يبق إلا أن يسيطروا على فلسطين في طريقهم إلى مصر، وكان ذلك في زمن هيمنة المماليك عليها، وقد استقرَّ رأي أولئك المماليك أن يخرجوا لملاقاة المغول على أرض فلسطين، وقد هزموهم بإذن الله في معركة (عين جالوت) عام ٦٥٨ هـ؛ أي أن الاحتلال التتري لم يزد على ثلاث سنين، وهذه من معجزات الإسلام حين نأخذ الكتاب بقوة، ونذكر ما فيه، فإنكم إن تنصروا الله ينصركم، ويثبت أقدامكم، ولينصرَنَّ الله من ينصره.

وإذا كان المغول قد هُزِموا على أرض فلسطين في ثلاث سنين؛ فإن الفرنسيين قد أُخِذوا بهذه السُّنَّة الربانية في ثلاث سنين، ذلك أن نابليون الملعون، كـ(ماكرون) اليوم، ومعظم زعماء فرنسا والغرب، كان قد غزا مصر في عام ١٧٩٨م، ثم دفن أحلامه تحت أسوار عكا حين عجز عن فتحها عام ١٨٠١م، فقعد مذموماً مخذولاً، ثم رجع عنها مذؤوماً مدحوراً، أو ملوماً مدحوراً كحاله وحال أمثاله حين يلْقى في جهنم، والعياذ بالله تعالى.

مؤامرة الإنجليز والصهاينة على فلسطين


فرانسوا جورج بيكو، (1951 - 1870). François Georges-Picot
سير مارك تاتون سايكس، (1919 – 1879). Sir Mark Tatton Sykes

وبعد أكثر من قرن، وفي عام ١٩١٧م بالتحديد كان الإنجليز قد تواطأوا مع الفرنسيين لاقتسام العالم الإسلامي، وتمزيقه إلى أكثر من عشرين كيانًا، حيث رسموا حدود تلك الممالك المسماة بالدول العربية بمكر كبير، وكان من نتيجة خطة (سايكس بيكو) أن انقسمت الأمة إلى شعوب بلا ثروات، وثروات بلا شعوب، مع إبقاء الحدود هلامية بين أكثر هذه الكيانات، لتكون مغرية بالنزاعات على المناطق التي تركت عمداً برزخاً بينها.

قد كانت فلسطين من نصيب الإنجليز، فأرادوا أن يستريحوا من الفساد اليهودي داخل أوروبا، وأن يجندوهم في الصراع مع الأمة الإسلامية، وقد انتهزوا أسطورة أرض الميعاد عندهم، فكان وعد (بلفور) الذي منحهم الإنجليز بموجبه وطناً قومياً في فلسطين، وقد احتاج تنفيذ هذه الجريمة ثلاثة عقود، غير أنهم لم يتمكنوا من اغتصاب المسجد الأقصى إلا بعد عشرين سنة من تاريخ قرار تقسيم فلسطين، وإعلان قيام كيان يهودي على أرض فلسطين، أيْ بعد نصف قرن من تاريخ وعد بلفور، وما درى اليهود أنهم يجيئون لحتفهم المسمى في القرآن بوعد الآخرة، حيثُ يصنعنا الله جلَّ جلاله على عينه، لنكون عباداً له أُولي بأس شديد، ولِيحقّقَ بنا سُنَّته في المفسدين، ولكنْ عبر ثلاث مراحل، حيثُ يمكننا أولاً من إساءة وجوههم، وقد تحقق هذا في هروبهم من غزة هم وإخوانهم أذناب الفوضى والفلتان، حيثُ لحقت بهم المعرة والخزي، واسوداد الوجوه، وهم يهربون من جنوب فلسطين، كما فَرُّوا من جنوب لبنان من قبل عام ٢٠٠٠م، ثم عجزوا عن الرجوع إلى القطاع في ثلاث معارك متلاحقة في أقلَّ من ست سنين، حيث معركة الفرقان آخر عام ٢٠٠٨م، وأول عام ٢٠٠٩م في عدوان ناف عن ثلاثة أسابيع، ثم كانت حجارة

السجيل عام ٢٠١٢م، وقد سخَّرها ربُّنا عليهم سبع ليالٍ وثمانية أيام حسوماً، وقَصفتِ المقاومة لأول مرة عاصمة الكيان، والمستوطنات الصهيونية في غربي القدس، وفي عام ٢٠١٤م وقعت معركة العصف المأكول، وقد زادت عن سبعة أسابيع، ومن الجدير بالذكر أنهم حاولوا الرجوع إلى جنوب لبنان عام ٢٠٠٦م، فانقلبوا خاسرين بعد ثلاثة وثلاثين يوماً من العدوان.



وأما المرحلة الثانية فهي التي يمكننا القوي العزيز فيها من دخول المسجد الأقصى، وتحريره، وقد بدأت هذه الحقبة بمعركة سيف القدس عام ٢٠٢١م، واستمرت أحدَ عشر يوماً، وكانت رشقة الصواريخ فيها تزيد على مائة صاروخ، وقد طالت معظم أنحاء فلسطين، لا سيما صاروخ العياش الذي قصف مطار ريمون، ومداه يصل إلى مسافة ٢٥٠ كيلومتر.

انتفاضة الضفة والقدس

إن انتفاضة الضفة الغربية والقدس في هذه الأيام، لا سيما العمليات الفردية بإطلاق النار، أو بالطعن، والدهس، تستنسخ تجربة غزة، ويوشك أن يولِّيَ الاحتلال مدبراً، ولا يعقب، ولعل عنجهية اليمين المتعصب المشارك في الحكومة الصهيونية يعجل بهذا المصير المحتوم عبر السياسات الخرقاء التي ينتهجها في حق الأسرى والمسرى، وعموم الضفة أرضاً وشعباً، ولم يسلم منها إخواننا في مناطق (٤٨) كذلك.

إنني جدُّ متفائل؛ بل متيقن أن دخولنا المسجد الأقصى آمنين أصبح قاب قوسين أو أدنى، ولن تتراخى المرحلة الثالثة والأخيرة التي نُتَبِّرُ فيها كل مظاهر العلوِّ الصهيوني تتبيراً، وأراه قريباً في بضع سنين إن شاء الله ربُّ العالمين.



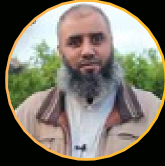
ومتى كنسنا هذا الاحتلال فقد اجْتُثَّتْ شجرته الخبيثة من فوق أرض فلسطين، ولا عودة له إليها، باستثناء السبعين ألفاً الذين يجيئون مع الدجَّال من يهود أصفهان؛ لتُبادَ شأفتهم، حتى لو اختبؤوا خلف الشجر والحجر، فإن الله الذي أنطق كلَّ شيء سوف ينطق ذاك الشجر، وذلك الحجر، فيقول: يا مسلم، يا عبد الله: هذا يهودي خلفي تعالَ فاقتله، إلا ما كان من الغرقد، فإنه يتستر على من يختبئ فيه؛ لأنه من شجر اليهود.

ولا تحسبن الله غافلاً عما يعمل الظالمون، ولا تحسبن الله مخلف وعده رسله، ولا يحسبن الذين كفروا سبقوا، كما لا تحسبن الذين كفروا معجزين في الأرض؛ فإن حزب الله هم الغالبون، وكان حقاً عليه نصرُ المؤمنين.

والله وحده أعلى وأعلم

وصلى الله على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه وسلم

لماذا تحولت القِبلة؟



الشيخ محمد بن محمد الأسطل

باحث في العلوم الشرعية



لماذا حُولت القبلة؟ مع ما يُقترَن بذلك من المفاسد على الدعوة ومصلحتها كما يظهر بادي الرأي؟

حِكَم تحويل القبلة

أولًا: الاختبار والغربلة

وهذه سُنَّة من سنن الله تعالى كما لا يخفى، فالحق لا يستجدي الناس أن يتبعوه، بل هم الذين يتشرفون بالانتساب إليه. وقد جاء بيان هذه الحكمة صريحًا في قوله سبحانه: ﴿... وَمَا جَعَلۡنَا ٱلۡقِبۡلَةَ ٱلَّتِي كُنتَ عَلَيۡهَآ إِلَّا لِنَعۡلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيۡهِۚ وَإِن كَانَتۡ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ﴾ [البقرة: ١٤٣]

فقررت الآية أنَّ أجرَ الصلاة محفوظٌ فلا خوف عليه، وأنَّ التحويل وقع لمصلحة الاختبار والغربلة، بما يشمل الصف الإسلامي وغيره من أهل الكتاب والمشركين؛ ليمضي أمر الله كما هو؛ ليحيي من حيَّ عن بينة ويهلك من هلك عن بينة.



لكن استهداف الصف الإسلامي كان هو الأهم؛ فإننا ما زلنا في جيل التأسيس، وإذا كنا في مكة في جيل التأسيس للإسلام نفسه.. فإننا هنا في المدينة في جيل التأسيس لدولة الإسلام، وسريان هذا المنهج في الناس، فلا بد أن يخضع الجيل المسلم الجديد لهزَّاتٍ تربويةٍ كما حصل مع المهاجرين من قبلُ في مكة من مثل العذاب البدني والعذاب النفسي والهجرة للحبشة وحصار الشِّعب وفتنة التصديق بمعجزة الإسراء كما قال الله عنها: ﴿... وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ...﴾ [الإسراء: ٦٠] وغير ذلك.

فكذلك هنا يمضي الاختبار على وجهه، دون اكتراثٍ بكمية اللغط التي يمكن أن تحصل، أو بكمية المتساقطين على إثر هذا التشكيك ممن كان يرجو أن يدخل في الإسلام لكن هذه الحملات صدَّته، حتى لو كنا في مرحلةٍ تشتد الحاجةُ فيها للرجال؛ إذ العبرة في بداية تأسيس الدول بنوعية الرجال لا بعددهم.

وذلك كطالوت حين كان أحوج شيءٍ للرجال، لكن المتساقطين كانوا هم الكثرة الكاثرة في مجتمع بني إسرائيل، إذ بمجرد فَرْضِ القتالِ عليهم تولوا مع أنهم الذين طلبوا القتال واستعدوا أن يدفعوا ضريبته، كما قال سبحانه: ﴿فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ﴾ [البقرة: ٢٤٦].

ومع اللغط الذي حصل عند ولاية طالوت، وعدم قبولهم به إلا أنه راح يغربل النخبة الثابتة التي خرجت معه، وقصَّ القرآن علينا خبر هذا الاختبار في قوله سبحانه: ﴿فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ﴾ [البقرة: ٢٤٩].

فتساقطت الكثرة الكاثرة، ولم يبق معه إلا مئاتٌ قليلة، ومع ذلك مضى بهم وانتصروا بفضل الله تعالى.

ومما كان يزيد من تأثير الغربلة هنا في مشهد تحويل القبلة أنَّ النفس تهتز للحسيات أكثر من اهتزازها للمعنويات، فالأمر هنا بتحويل للقبلة وهو شعار الأمة، ثم إنَّ هذا النسخ هو أولُ نسخٍ في الشريعة، ومن ثم أخذ هذه المساحة الضخمة في المعالجة.

ثانيًا: الاستقلال بهوية الأمة عبر التخلص من رواسب الجاهلية

يقول سيد قطب رحمه الله: «لقد كان العرب يُعظِّمون البيت الحرام في جاهليتهم، ويعدونه عنوان مجدهم القومي، ولما كان الإسلام يريد استخلاص القلوب لله، وتجريدها من التعلُّقِ بغيره وتخليصها من كلِّ نعرةٍ وكل عصبيةٍ لغير المنهج الإسلامي المجرد من كلِّ ملابسةٍ تاريخية أو عنصريةٍ.. فقد نزعهم نزعًا من الاتجاه للبيت الحرام واختار لهم الاتجاه مدةً إلى المسجد الأقصى».



سيد قطب

وذلك ليُخلِّصَ نفوسهم من رواسب الجاهلية، ومن كل ما تعلقت به في الجاهلية وإن كان الكعبة نفسها؛ لئلا يُظنَّ أنَّ اعتماد نفس القبلة ليس إلا امتدادًا لما كان عليه أهل الجاهلية، وليظهر بذلك من يتَّبع الرسول اتباعًا مجردًا من كل إيحاءٍ آخر ممن ينقلب على عقبيه اعتزازًا بنعرةٍ جاهليةٍ تتعلق بالجنس والقوم والأرض والتاريخ.

حتى إذا استسلم المسلمون واتجهوا إلى بيت المقدس قبلة اليهود الذين نُكفِّرهم.. صدر الأمر بالعودة للكعبة، ولكن هذه المرة ليس لأننا عربٌ ولأنَّ الكعبةَ مجدنا القومي وأننا امتدادٌ للجاهلية؛ بل خضوعًا لحقيقة الإسلام، وامتدادًا لإبراهيم الذي رفع القواعد من البيت وإسماعيل ليكون خالصًا لله كما قال سبحانه:

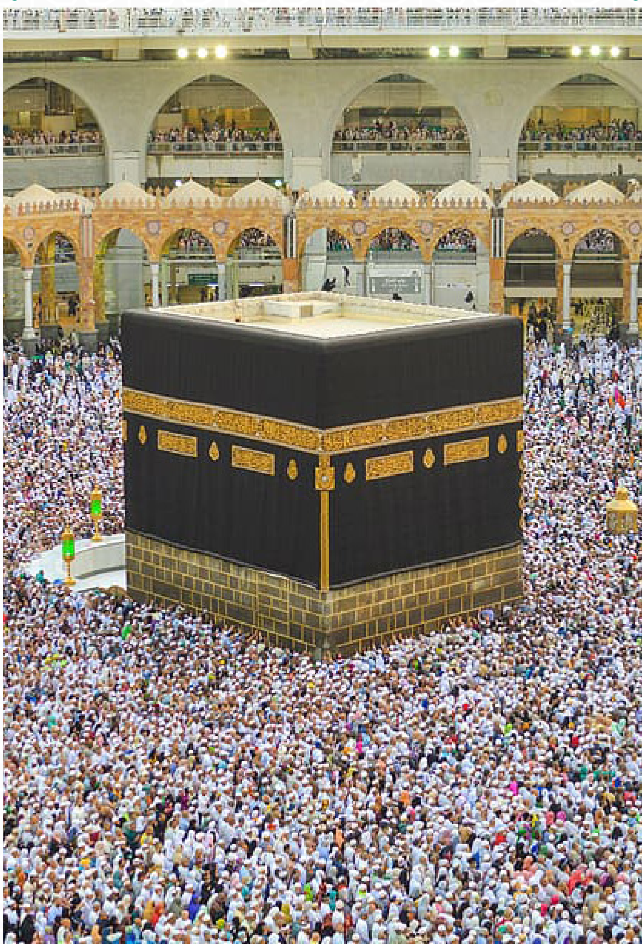
﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ * رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ *رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ * وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ﴾ [البقرة: ١٢٧ - ١٣٠].

والثمرة العظيمة التي ورثناها من هذا الدرس العظيم تتمثل في استقلال الأمة وتمايزها عن غيرها، فالتميز والاختصاص أمران ضروريان لحفظ أي أمة من الانصهار والتذويب والانحراف. وهذا الاستقلال شاملٌ للعقيدة والعبادة والتصور، لكنَّ وضوحه في الحس من خلال القبلة المشاهدة أشد.



وأحسب أنَّ مسألةَ تحويلِ القبلة لو انفكَّت عن السياق الذي جاءت فيه لتوهم متوهمٌ أنَّ هناك حرصًا شرعيًّا على المظاهر والشكليات لكنَّ القضيَّةَ أعمق. وإذا أردنا التوغل داخل النفس البشرية وجدنا أنها ذات ميلٍ فطريٍّ إلى اتخاذ أشكال ظاهرة للتعبير عن المشاعر المضمرة، ولا عجب؛ فالإنسانُ نفسه مكونٌ من جسدٍ ظاهر وروح أمرها مغيب. فالمشاعر المضمرة لا تهدأ ولا تستقر حتى تتخذ لها شكلًا ظاهرًا تدركه الحواس، تفرغ من خلاله الشحنات الشعورية الكامنة فيها؛ ليكتمل بذلك التناسق بين الظاهر والباطن.

ومن هنا لزم التوجه لقبلةٍ حسيةٍ تمثل في الكعبة، فالطواف حولها لكن الخطاب والمناجاة إنما هو مع الله تعالى، فهي أحجارٌ لا تضرُّ ولا تنفع، وهذا بعكس الجاهلية التي عبدت الأصنام نفسها وخاطبتها واعتقدت أنَّها تضر وتنفع وأنَّ لها تأثيرًا في الأحداث. أما الإسلام فراعى الظاهر ولكنه جعل الأمر منوطًا بالباطن، في اتِّساقٍ عجيبٍ بين ما يقع في النفس وما يقع في الحس. وعلى هذا الأساس الفطريّ أقام الإسلام شعائرَه كلَّها؛ فهي لا تؤدى بمجرد التوجه الروحي ولا بمجرد النية وإن كان المدار فيها على النية.



فالصلاةُ مثلًا حركاتٌ من ركوعٍ وسجودٍ وقيام، والصيام امتناعٌ عن الطعام والشراب ويبدأ من وقتٍ معين وينتهي في وقتٍ معين، والحج له إحرامٌ وتلبيةٌ وميقاتٌ زمانيٌّ وميقاتٌ مكانيٌّ ولباسٌ معينٌ على هيئةٍ معينة ونُسُكٌ من طوافٍ وسعيٍ ووقوفٍ بعرفة ورميٍ للجمار وحلقٍ للشعر وغير ذلك، فثمة أشكالٌ ظاهرة لكن الباطن هو المقصود.

وصفوة القول: إنَّ قوة الأمة إنما هي في تمايزها ووجود فجوةٍ بينها وبين غيرها، ومن هنا كثرة النصوص التي تنهي عن مشابهة الكفار بل وتأمر بمخالفتهم أمرًا بالغ الصراحة يتضح لكلِّ ذي عينين أنه مقصودٌ تمام القصد.

روى البخاريُّ ومسلمٌ من حديث ابن عُمَرَ رضي الله عنهما عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «خَالِفُوا الْمُشْرِكِينَ..»[١]. ولما وجد النبي ﷺ اليهود في المدينة يصومون يوم عاشوراء -وهو العاشر من محرم- قرَّر إضافةَ يومٍ إبرازًا للمخالفة وقال: «لَئِنْ بَقِيتُ إِلَى قَابِلٍ لأَصُومَنَّ التَّاسِعَ»[٢].

ولمركزية هذه القضية صارت أصلًا من أصول الدين، وأفرد شيخ الإسلام ابن تيمية كتابًا ضخمًا لطرح هذه القضية وحدها سمَّاه: «اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم»، وأحسب أنه أعظم الكتب في تقرير هذه المسألة وبسطها.



فلماذا كل ذلك؟

> إنَّ الأمة التي لا تميز بمنهجها ومشروعها لا بد وأن تأكلها الذئاب بالضرورة، وحين تأتي النواهي الشرعية عن مجرد المشابهة فهي إنما تنهى عن الهزيمة الداخلية أمام أي قومٍ آخرين، ومهما حصل من تقاربٍ على صعيد الاستفادة الدنيوية.. فلا بد أن تبقى فجوةٌ تحافظ على الاستقلال المطلوب والتمايز المنشود.

ويقوي هذا المقصد أنَّ الجماعةَ المسلمة أريد لها أن تكون في مكان قيادة البشرية، فلا بد أن يكون استمداد تصوراتها من الله فقط، ليكون الإسلام هو الذي يضمن للبشرية أعلى أفق في التصور، وأقوم منهجٍ في الحياة كما قال سبحانه: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء: ٩].

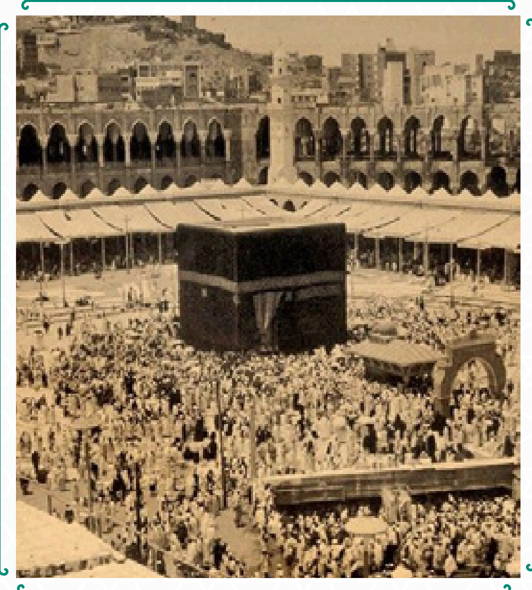
١. صحيح البخاري، رقم الحديث: (٥٨٩٢)، صحيح مسلم، رقم الحديث: (٦٢٥).
٢. صحيح مسلم، رقم الحديث: (٢٧٢٣).

فتحصَّل أنَّ الناس محتاجون إلى الإسلام وهو مستغنٍ عنهم، وأقفل القرآن باب الاستفادة في الدين من أي قومٍ وأمةٍ إلى الأبد بقوله سبحانه: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].

إذن ليس حادث تحويل القبلة واردًا من تمسكٍ بالشكليات، إنما هو نظر أعمق لما وراء الشكليات، هو نظرٌ إلى البواعث الكامنة وراء الأشكال الظاهرة، وهذه البواعث هي التي تصنع هذه الأمة لتكون مكتملةَ المنهج متمايزةَ الهوية مستقلةَ الثقافة، فتستعصي على التذويب والتآكل مهما ورد عليها من مكائد وحروبٍ ومؤامراتٍ.

ولذلك نحن اليوم في غنيةٍ تامَّةٍ عن المنهج الليبرالي الغربي الذي تتخذ منه الولايات المتحدة تسويقًا لمآربها السياسية، بل الإسلام والليبرالية خطَّان متصادمان لا يلتقيان.

وليس هذا الوقت هو المناسب لمناقشة ما يمكن استفادته من نُظُمِ الأمم الأخرى على الصعيد الدنيوي؛ لأنَّ هذه المناهج والنظم إنما هي آلةٌ مسخَّرة بيد النظام الدولي لتقرير الهيمنة، وبث الهزيمة في الآخرين، بما يجعلهم أساتذة علينا والواحد منا إمَّعة فقط لا تلميذ.



وخلاصة هذه الحكمة: إنَّ القرآن جاء يَفْصِلُ المسلمين على صعيد الشعور عن الإرث الجاهلي، وما يُعتمد منه فلأنه أمر الله لا أنه امتدادٌ للجاهلية، وأنَّ جهة القبلة هي رمز التميز والاختصاص واستقلال المنهج، وهي بغير هذا المنهج ضائعةٌ في الغمار مبهمةُ الملامح مجهولةُ السمات مهما اتخذت لها من أزياء ودعوات وأعلام[٣].

٣. انظر كثيرًا مما ورد في هذه الحكمة في الظلال (١/٩٤-٩٩) مع التنبيه على التصرف والزيادة والحذف.

•• ثالثًا: رسم خارطة المقدسات ولفت الأنظار لتحرير المسجد الأقصى

وذلك أنَّ اعتماد بيت المقدس قبلةً كان إبَّان سيطرة الرومان عليه، فلم يكن في حيازةِ المسلمين يومئذٍ، والعناية به باعتماده قبلةً يشي بأنَّ قضية هذا الدين ليست قضيةً وطنية، تنحصر في أنَّ النبيَّ ﷺ وُلِد في مكة وهو معتنٍ بالمقدسات في البقعة التي وُلِد فيها، بل الأمر أكبر من ذلك وأشمل.



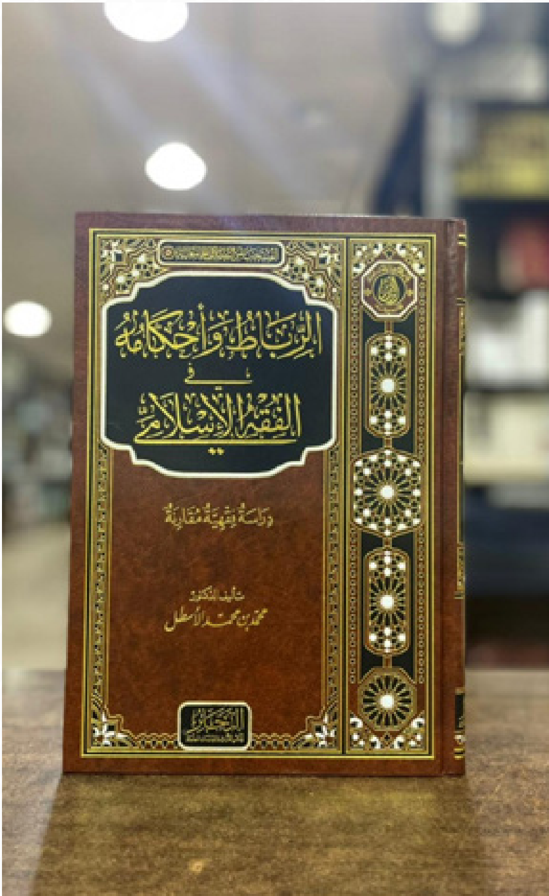
فالتوجه لبيت المقدس فيه ربطٌ بين الأماكن المقدسة، كما أنَّه يمكن أن يُنزَّل منزلة التكليف الإشاري بضرورة العمل يومًا ما على تحريره. والتقط المسلمون التكليف الخفي، فإنهم إذا كانوا مشغولين بفتح مكة حتى تحقق لهم ذلك بعد ثماني سنين من الهجرة.. فقد فتحوا المسجد الأقصى بعد ثماني سنين من الفتح، ليكون عمر بن الخطاب سنة ١٦ هـ ببيت المقدس يتسلَّم مفاتيح المدينة.

ولم يكن هذا هو الحدث الأول الذي يُبرِزُ العنايةَ الإسلامية بالمسجد الأقصى؛ بل قد حدث هذا من قبل في رحلة الإسراء والمعراج؛ إذ كان الإسراء إليه والمعراج إلى السماء منه.

والذي يُظهر أنه مقصودٌ تمام القصد أنَّ الرحلة كانت تحولًا من مكانٍ فاضلٍ إلى مكانٍ مفضول، فلو حصلت الرحلة من مصر مثلًا إلى المسجد الأقصى.. لكان الأمر في سياق الذهاب لمكان ذي فضل، أما أن نكون في أفضل بقعةٍ على وجه الأرض وهي مكة، ثم نتحول إلى مكانٍ دونها في الفضل.. فهذا يفتح باب التماس الحِكَم العظيمة من هذا التحول اللافت على مصراعيه. وحين ذهب النبيُّ ﷺ إلى المسجد الأقصى جُمع له الأنبياء، وتقدَّم بهم إمامًا في الصلاة، وكثيرٌ منهم من أهل بيت المقدس وأكنافه؛ كداود وسليمان

وعيسى وزكريا ويحيى عليهم السلام، وبهذه الإمامة ورث ﷺ أمانة الدين والمقدسات والأرض، وكان سيدهم في دارهم، فضلًا عما في هذا الحدث من إشارةٍ إلى اتحاد الدين وإن تعددت الشرائع، وبيان أنَّ نسب المؤمنين واحدٌ ممتدٌّ من أول البشرية إلى آخرها.

والمقصود أنَّ هناك عنايةً شرعيَّةً بحراسة المقدسات وكونها بيد الأمة، وأنَّها إذا لم تكن بيد المسلمين فإنَّ من أوجب الأعمال أن تُحرر. وخطر ببالي مركزية هذه القضية حين تكلم الفقهاء عن كراهة استدبار بيت المقدس أو استقباله أثناء قضاء الحاجة حين كانوا يتكلمون عن حرمة الاستقبال والاستدبار للكعبة. وبغض النظر عن الرأي الفقهي الراجح في المسألة إلا أن الإنسان يتعجب كيف لأدبٍ يسير يجعل المسلم في عامة الأمصار شرقًا وغربًا يستحضر كلما قضى الحاجة في فضاءٍ المسجدَ الحرام والمسجد الأقصى، فهي تربيةٌ عقديةٌ جهاديةٌ على العناية بالمقدسات، وحينئذٍ لا يقر للمسلم قرارٌ ولا يرتاح له بالٌ إلا وكلٌّ من المسجدين يؤدي رسالته وقد تحرر من الاحتلال.



ومما قلته في كتاب «الرباط وأحكامه في الفقه الإسلامي» عند الحديث عن «فضائل الشام»:

جعل الله تعالى علامةً في الأرض تدل على قوة الإسلام، تمثلت في المسجد الحرام، فإذا رأيناه بخيرٍ فإنَّ إسلامَنَا بخيرٍ، وإلا فلا. وجعل الله تعالى علامةً في الأرض تدل على قوة المسلمين، تمثلت في المسجد الأقصى المبارك، فإذا رأيناه بخيرٍ فإنَّ المسلمين بخيرٍ، وإلا فلا. والمبصر اليوم يرى أنَّ إسلامَنا بخيرٍ؛ فالناس تحج وتعتمر وتسعى وتطوف بفضل الله، لكنَّ المسلمين ليسوا بخيرٍ؛ فالمسجد الأقصى ما زال تحت

هيمنة الصهاينة أعداء الله الذين باءوا بغضبٍ على غضب. إلا أنَّ عَوْدَ الخيرية قد بدأ، فأهل بيت المقدس وأكناف بيت المقدس أخذوا يتسنَّمون معارج الشرف والعز، وإمامة الجهاد والرباط، وقد أذاقوا العدوَّ ويلاتٍ، وجرَّعوه غُصَصًا في السنوات الأخيرة، مصحوبًا بعلمٍ وتعبدٍ؛ ليكون الجهادُ على بصيرةٍ، والله غالبٌ على أمره، ولكن أكثرَ الناسِ لا يعلمون[٤].



وأختم بالتنبيه على أنَّ ما يجري من صراعٍ دوليٍّ اليوم إزاء القضية الفلسطينية فمن أهم مفاتيحه أنَّ القدس هي ملتقى العقائد الثلاث: الإسلام واليهودية والنصرانية.

أما بالنسبة للمسلمين.. فالأمر واضح. وأما بالنسبة للنصارى.. فإنَّهم يعتقدون أنَّ المسيح المنتظر سيظهر في بيت المقدس، وتشير نصوصهم المُحرَّفة أنَّ بني إسرائيل سيكونون موجودين في تلك اللحظة، ولهذا فالغرب هو الذي تولى مهمة تجميع اليهود في فلسطين، وما صدر وعد بلفور إلا من بريطانيا كما لا يخفى.

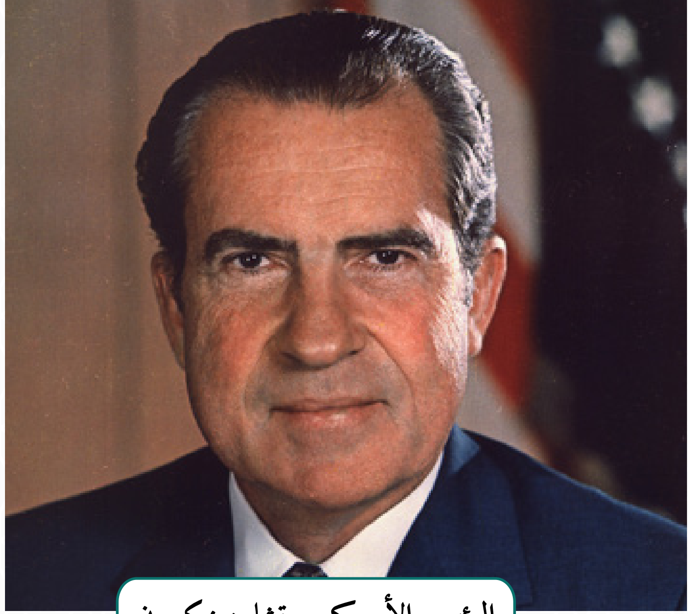
وأما بالنسبة لليهود.. فإنَّهم يعتقدون بعودتهم إلى بيت المقدس، وأنهم سيقيمون مملكةً لهم على جبل صهيون، لكنَّهم يعتقدون أنَّ ظهور المسيح المنتظر شرطٌ في عودتهم، على عكس عقيدة النصارى تمامًا.

وبناءً عليه؛ فإنَّ تجميع اليهود في فلسطين هو مشروع الغرب الذي رغب فيه هرتزل وإن مات قبل أن يكتمل مشروع الدولة المرتقبة، ولكن الغرب سبقوه بالتنظير للفكرة منذ أكثر من ثلاثة قرون ونصف من ولادته. ولهذا فلا غرابة إذا علمنا أنَّ كثيرا من اليهود يخالفون الحركة الصهيونية ويكنون لها العداء؛

٤. الرباط وأحكامه في الفقه الإسلامي ص (٢٨٤).

لأنَّها تعجَّلت التدبير الإلهي بالذهاب إلى فلسطين؛ إذ لا يجوز ذلك في معتقدهم إلا بظهور المسيح المنتظر، والرجوع قبل ذلك مخالفٌ للعقيدة، وهو ليس إلا تماشيًا مع الرغبة الغربية ليس إلا.

وهذا المدخل العقدي تم توظيفه جيدًا لصالح المآرب السياسية والاقتصادية في أروقة صناع القرار في الغرب، وذلك من خلال إيجاد دولةٍ وظيفية لهم في الشرق تجلب لهم المصالح، وتحافظ على إخضاع المنطقة على الوجه الذي يريدون. وبهذا تدرك كيف تم اختيار المنطقة المناسبة والأمة المناسبة؛ فالعقد بين اليهود والنصارى وقع على احتلال بقعةٍ إسلامية لغرضٍ سياسيّ اقتصادي ولكن من مدخلٍ عقدي.


الرئيس الأمريكي ريتشارد نيكسون

وقد لخَّص الرئيس الأمريكي نيكسون مطلع السبعينات حين سُئل: ماذا تريدون من الشرق؟ قال: ثلاثة أشياء: الهيمنة والنفط وأمن إسرائيل.

وأخيرًا: إنَّ حادث تحويل القبلة يُوجِبُ على الأمة المحافظة على الاكتفاء المنهجي والاستقلال القيمي، وبذل الوسع في إنتاج نُظُمٍ لتدبير أمر حياتنا كما ننتج قُوْتَنَا وطعامنا، مع العمل الجاد على تحرير المسجد الأقصى المبارك، ولن تستقر الأمة إلا والقدس بحوزتها، وإذا كانت الأيام دولًا.. فإنَّ الدور لنا لا علينا.

هذا والله أعلم، وصلِّ اللهم وسلم على سيدنا محمد، والحمد لله رب العالمين.

حادثة تحويل القبلة

وصياغتها للشخصيّة المسلمة



د. علي محمد الصلابي

المؤرخ الإسلامي

ثبت أنّ النبيّ ﷺ والمسلمين حين قدموا المدينة كانوا يتوجهون في صلاتهم إلى بيت المقدس، ستة عشر أو سبعة عشر شهراً، ثم جاء الأمر الإلهي بعد ذلك بالصلاة قِبلَ الكعبة المشرفة، ونزلت في ذلك آيات كريمة كما سيأتي.

كان رسول الله ﷺ حريصاً على أن يتوجَّه في صلاته إلى قبلة أبيه إبراهيم عليه السلام، فهو أولى النَّاس به؛ لأنَّه من ثمرة دعوة أبيه إبراهيم عليه السلام، وحامل لواء التَّوحيد بحقٍّ كما حملها إبراهيم عليه السلام، وهو ﷺ كان يحرص على أن يكون مستقلاً، ومتميِّزاً عن أهل الدِّيانات السَّابقة؛ الَّذين حرَّفوا، وبدَّلوا، وغيَّروا؛ كاليهود، والنَّصارى؛ ولهذا كان ينهى عن تقليدهم والتَّشبُّه بهم؛ بل يأمر بمخالفتهم، ويحذِّر من الوقوع فيما وقعوا فيه من الزَّلل والخطل والانحراف، ومقتضى هذا الحرص أن يتوجَّه في صلاته بشكل دائم إلى قبلة أبي الأنبياء، وهو أول بيت وُضع للناس.

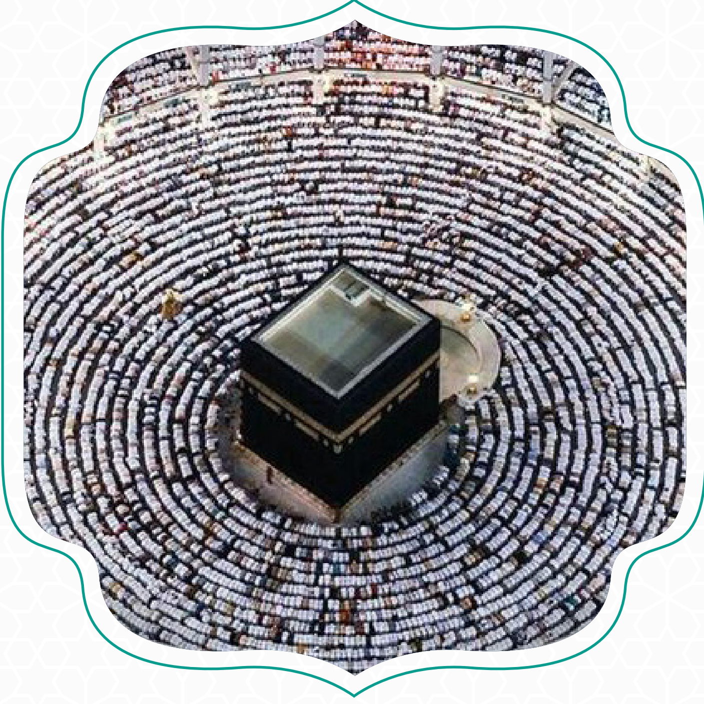


تكاد تكون حادثة تحويل القبلة، من بيت المقدس إلى الكعبة المشرَّفة هي الفاصل بين الحرب الكلاميَّة، وحرب المناوشات، والتدخُّل الفعلي من جانب اليهود، لزعزعة الدَّولة الإسلاميَّة الناشئة[1].

فعن البَرَاء بن عازبٍ رضي الله عنه:
أنَّ النَّبيَّ ﷺ كان أولَ ما قَدِمَ المدينة نزل على أجداده -أو قال: أخواله- من الأنصار، وأنَّه ﷺ صلَّى قِبَلَ بيت المقدس ستةَ عَشَرَ شهراً، أو سبعةَ عَشَرَ شهراً، وكان يُعجبه أن تكون قبلتُه قِبَلَ البيت، وأنَّه ﷺ صلَّى أوَّل صلاةٍ صلاها، صلاةَ العصر، وصلَّى معه قومٌ، فخرج رجلٌ ممَّن صلَّى معه، فمرَّ على أهل مسجدٍ، وهم راكعون، فقال: أشهد بالله! لقد صليت مع رسول الله ﷺ قِبَلَ مكَّة، فداروا كما هم قِبَلَ البيت، وكانت اليهود قد أعجبهم أنَّه كان يُصلِّي قِبَلَ بيت المقدس، وأهلُ الكتاب، فلمَّا ولَّى وجهه قِبَلَ البيت؛ أنكروا ذلك[2].

---

١. اليهود في السُّنَّة المطهَّرة، ١/٢٥٨.
٢. البخاري (٤٠) ومسلم (٥٢٥).



وقد نزلت في هذه الحادثة آيات عظيمة، فيها عِبَرٌ، وحكمٌ ودروسٌ للصفِّ المسلم:

قال تعالى: ﴿وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِنَّهُ لَلْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ * وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ * كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ * فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ﴾ [البقرة: ١٤٩ - ١٥٢].

إن لحادثة تحويل القبلة أبعاداً كثيرة: منها السِّياسيُّ، ومنها العسكريُّ، ومنها الدِّينيُّ البحت، ومنها التاريخيُّ.

فبُعدها السياسيُّ: أنها جعلت الجزيرة العربية محور الأحداث، وبُعدها التَّاريخيُّ: أنها ربطت هذا العالم بالإرث العربيِّ لإبراهيم -عليه الصَّلاة والسَّلام- وبعدها العسكريُّ: أنَّها مهَّدت لفتح مكة، وإنهاء الوضع الشَّاذِّ في المسجد الحرام، حيث أصبح مركز التَّوحيد مركزاً لعبادة الأصنام، وبُعدها الدينيُّ: أنها ربطت القلب بالحنيفيَّة، وميَّزت الأمة الإسلامية عن غيرها، والعبادة في الإسلام في بقية الأديان.

إنَّ نعمة توجيهكم إلى قبلتكم، وتمييزكم بشخصيَّتكم من نعم الله عليكم، وقد سبقتها آلاء من الله عزّ وجلّ كثيرةُ عليكم، منها:

•• ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولاً مِّنكُمْ﴾: فوجود شخص رسول الله ﷺ -إمام المربّين والدُّعاة- هو من خصيصة هذه النخبة القيَّاديَّة، الَّتي شرَّفها الله تعالى بأن يكون هو المسؤول عن تربيتها؛ فقيه النُّفوس، وطبيب القلوب، ونور الأفئدة، فهو النُّور، والبرهان، والحجَّة.

•• ﴿يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا﴾: فالمادة الأساسيَّة للبناء والتَّربية كلام الله تعالى، وكان يرافقهُ شحنةٌ عظيمةٌ لنزوله أوَّل الأمر غضّاً طريَّاً، فكان جيلاً متميّزاً في تاريخ الإنسانيَّة.

•• ﴿وَيُزَكِّيكُمْ﴾: فالمعلِّم المربِّي رسول الله ﷺ، فهو المسؤول عن عمليَّة التربيَّة، وهو الَّذي بَلَغَ من الخُلُق، والتَّطبيق لأحكام القرآن الكريم ما وصفه الله تعالى به من هذا الوصف الجامع المانع، الذي تفرَّد به ﷺ من دون البشريَّة كافَّةً، قال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤]، وهو الَّذي وصفته عائشة رضي الله عنها، بأعظم ما يملك بشرٌ أن يصف به نبيَّاً، فقالت: «كان خُلُق نبيِّ الله القرآن»[٣]. فكان الصَّحابة يسمعون القرآن الَّذي يُتلى من فم رسول الله ﷺ، ويرون القرآن الَّذي يمشي على الأرض، متجسِّداً في خلقه الكريم ﷺ.

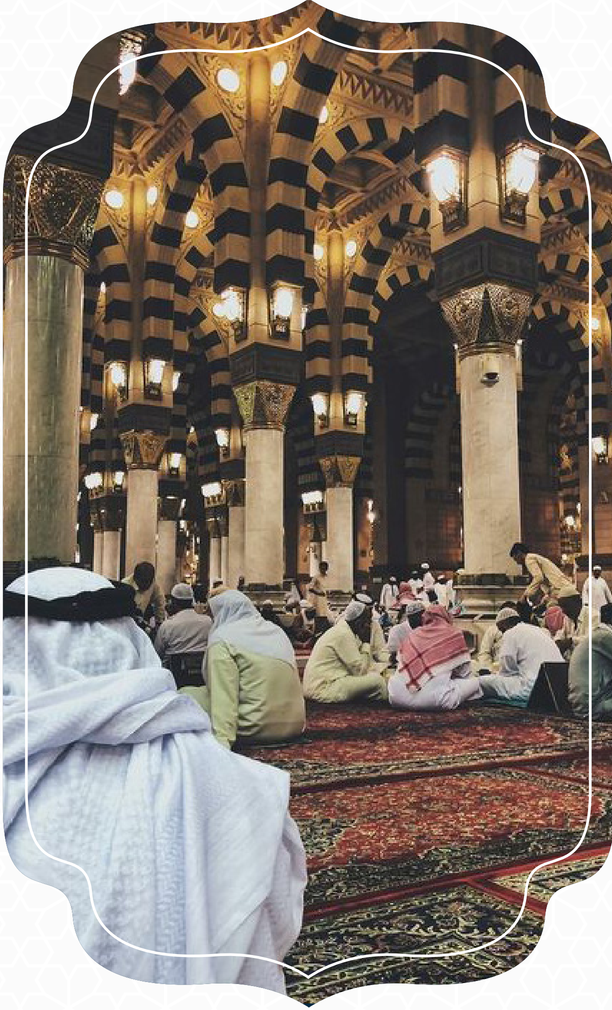


فهذه هي المهمَّة ﴿وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾، تعليم الصَّحابة الكرام الكتاب، والحكمة، فالقرآن الكريم لكي يكون مؤثراً في الأمَّة لا بدَّ من المربِّي الرَّبَّانيِّ الَّذي يزكِّي النُّفوس، ويطهِّر القلوب، ويعلّمها شرع الله تعالى من خلال القرآن الكريم، وسنَّة سيِّد المرسلين ﷺ؛ فيشرح للمسلمين غامضَه، ويبيِّن محُكَمَهُ، ويفصِّل مجمله، ويسأل عن تطبيقه،

---

٣. البخاري في الأدب المفرد (٣٠٨)، وأحمد (٦/٩١)، والنسائي في السنن الكبرى (١١٢٨٧).

ويصحّح خطأ الفهم لهم؛ إن وجد. كان الرَّسول ﷺ، يعلِّم، ويربِّي أصحابه؛ لكي يُعلِّموا، ويربُّوا النَّاس على المنهج الرَّبَّانِيّ، فتعلَّم الصَّحابة من رسول الله ﷺ منهج التَّعليم، ومنهج التَّربية، ومنهج الدَّعوة، ومنهج القيادة للأمَّة من خلال ما تسمع، وما تبصر، ومن خلال ما تعاني وتجاهد، فاستطاع ﷺ أن يعدَّ الجيل إعداداً كاملاً، ومؤهِّلاً لقيادة البشريَّة، وانطلق أصحابه من بعده يحملون التَّربية القرآنيَّة، والتَّربية النَّبويَّة إلى كل صُقْعٍ، وأصبحوا شهداء على النَّاس.



•• ﴿وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾ كيف كانوا قبل الوحي والرِّسالة؟ وكيف أصبحوا بعدهما؟ كانوا في حروبٍ، وصراعٍ، وجاهليَّةٍ عمياء، وأصبحوا بفضل الله سبحانه وتعالَى ومَنِّهِ وكرمه أمةً عظيمةً، لها رسالةٌ وهدفٌ في الحياة، لا هَم لها إلا العمل ابتغاء مرضاته سبحانه وتعالى، وحقَّقوا العبوديَّة لله عزّ وجلّ وحده، والطاعة للهِ وحده ولرسوله ﷺ، وانتقلوا من نزعة الفردية والأنانيَّة والهوى، إلى البناء الجماعيّ، بناء الأمَّة وبناء الدَّولة وصناعة الحضارة، واستحقَّت بفضل الله تبارك وتعالى ومَنّه أعظمَ وسَامَيْنِ في الوجود، قال تعالى:

۞ ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عمران: ١١٠]، وقال أيضاً: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾[٤] [البقرة: ١٤٣].

٤. التَّربية القياديَّة، ٢/٤٣٨-٤٤٢.

﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلاَ تَكْفُرُونِ﴾: فهذه المنن، وهذه العطايا، وهذه الخيرات تحتاج لذكر الله في الغدوِّ، والآصال، وشكره عليها، وحثَّهم المولى -عزَّ وجلَّ- على ذكره، وبكرمه يُذكرون في الملأ الأعلى، بعدما كانوا تائهين في الصَّحاري، ضائعين في الفيافي، وحُقَّ لهذه النعم جميعاً أن تُشْكَرَ!



وهكذا الآيات الكريمة تربِّي الصَّحابة -من خلال الأحداث العظيمة كحادثة تغيير القبلة- وتصوغ الشَّخصيَّة المسلمة القويَّة، الَّتي لا ترضى إلا بالإسلام ديناً، والتَّي تعرَّفت على طبيعة اليهود من خلال القرآن الكريم، وبدأت تتعمَّق في ثنايا طبيعتهم الحقيقيَّة، وانتهت إلى الصُّورة الكلِّيَّة النِّهائيَّة، الَّتي تربوا عليها من خلال القرآن الكريم، والتَّربيَة النَّبويَّة. قال تعالى:

﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۗ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ [البقرة ١٢٠]

الإعداد المعرفي
لتحرير القبلة الأولى



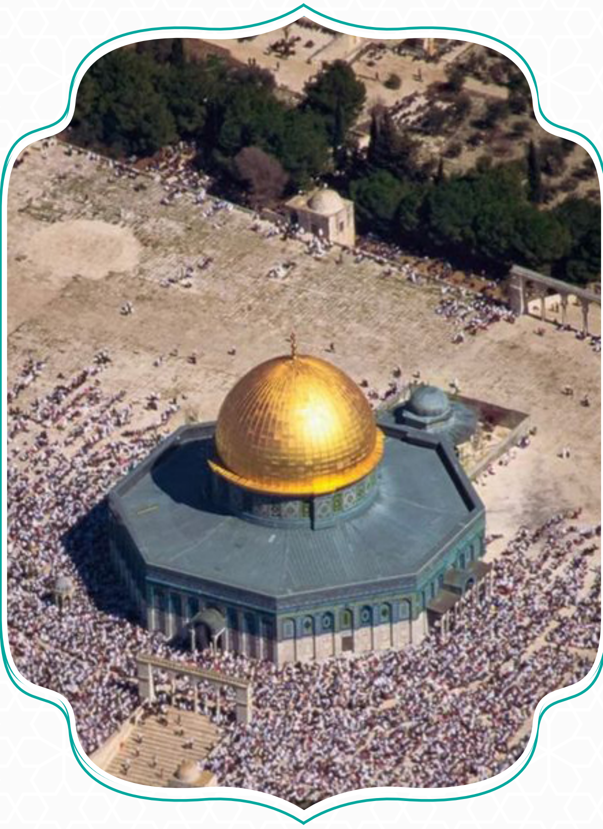


البروفيسور/ عبد الفتاح العويسي المقدسي

عضو مجلس أمناء الهيئة العالمية لنصرة نبي الإسلام ﷺ

ضمن التفكير الاستراتيجي في مكة المكرمة منذ بداية البعثة النبوية الشريفة إلى رحلة معجزة الإسراء والمعراج، جرى إرساء أسس البناء المعرفي لمركزية الأرض المقدسة (بيت المقدس) وأهميتها، وبناء المنطلقات والمفاهيم والمصطلحات، التي أسست ومهدت للتخطيط الاستراتيجي المستقبلي نحو بيت المقدس. فمنذ تلك الفترة المبكرة، ربطت أرواح وقلوب وعقول الصحابة ببيت المقدس ومسجده الأقصى المبارك (القبلة الأولى) روحياً ومعرفياً برباط متين من خلال ثلاثة أواصر قوية، كما يحاجج الدكتور/خالد عبد الفتاح العويسي -رئيس قسم التاريخ الإسلامي بجامعة أنقرة للعلوم الاجتماعية- في محاضراته.

١ **الرابط الروحي (القبلة):** من خلال التوجه في صلاة الغداة وصلاة العشي، وصلاة قيام الليل (كما ورد في سورة المزمل وسورة المدثر) نحو المسجد الأقصى المبارك القبلة الأولى للمسلمين طوال الفترة المكية، أي ثلاثة عشر عاماً، وستة عشر أو سبعة عشر شهراً في المدينة، والذي جعل الصحابي الأرقم بن أبي الأرقم وغيره من الصحابة يتوقون لرؤية بيت المقدس ومسجده الأقصى (القبلة الأولى).



٢ **معرفياً في جانبه الديني (العقائدي):** من خلال ما ورد في سور القرآن الكريم التي نزلت في الفترة المكية من قصص الأنبياء الذين ولدوا أو عاشوا أو هاجروا أو حكموا أو ماتوا في بيت المقدس -كسورة يوسف التي نزلت في عام الحزن، وسورة مريم التي تتكلم عن مريم وزكريا ويحيى عليهم السلام، وسورة طه التي بسببها أسلم عمر بن الخطاب رضى الله عنه، وسورة التين وسورة الإسراء. بل لم تذكر أرض في القرآن الكريم كما ذكر بيت المقدس، فثلث القرآن على الأقل جغرافيته هي أرض بيت المقدس.

٣ **معرفياً في جانبه السياسي والدولي:** من خلال إبراز البُعد المحلي والإقليمي الذي أبرزته سورة التين التي نزلت في السنة الخامسة للبعثة، أو إبراز البعد الدولي لبيت المقدس من خلال متابعة الحروب التي دارت في بيت المقدس بين الروم والفرس، كما ورد في سورة الروم التي نزلت في السنة السادسة للبعثة، أو من خلال الحديث عن الفساد والعلو لبني إسرائيل كما ورد في سورة الإسراء.

وإذا كان هذا التفكير الاستراتيجي للتأسيس المعرفي لمكانة بيت المقدس قد بدأ في مراحله المبكرة بمكة المكرمة، فإنه امتد بعد الهجرة النبوية إلى المدينة المنورة. فاعتاد المسلمون -على سبيل المثال- على

التوجه إلى البيت المقدس (القبلة الأولى) في صلاتهم لفترة طويلة، واستمر ذلك طوال ١٦ أو ١٧ شهراً بعد الهجرة النبوية إلى المدينة قبل أن تحول قبلتهم إلى الكعبة. ويمكن القول إنه في أثناء الفترة النبوية اعتاد النبي محمد ﷺ أن يتوجه في صلاته نحو المسجد الأقصى مدة أطول من توجهه نحو مكة، والتي يمكن تقديرها بأربعة عشر عاماً وأربعة أو خمسة أشهر.



ولقد توجت هذه الروابط للتفكير الاستراتيجي برحلة معجزة الإسراء والمعراج -من المسجد الحرام بمكة المكرمة إلى المسجد الأقصى ببيت المقدس المحتل- التي جمعت بين تلك الأواصر، وكانت نقطة التغيير الجذري التي عمقت هذا البناء المعرفي ووسعته وبنت عليه، وزادت من هذا الارتباط المعرفي والروحي بحياة المسلم. فأضحى بيت المقدس مقر الأمل والأمان الدائم للمسلمين ومصدره، ويمثل صورة حية في أذهانهم وتصورهم، كما أنه عبأ نفوس المسلمين ومشاعرهم وعواطفهم حوله، وعلق قلوبهم وعقولهم به، وجعلها تحن شوقاً إليه. ومنذ ذلك الحين، أضحى بيت المقدس يمثل الأمل والأمان في عقل المسلم وتطلعاته للتغيير. وإذا كان التغيير هو الشكل العملي للأمل، فإن الأمل والتغيير هما من دلائل البركة، ومن ثم فإن الأمل والتغيير والبركة يتلازمان، مما يعني أن بيت المقدس هو مركز البركة والأمل والتغيير العالمي[١].

فبعد رحلة معجزة الإسراء والمعراج، وما أعطته من أمل للمسلمين المستضعفين في مكة المكرمة، وجعلت من بيت المقدس مقراً ملهماً للمسلمين الأوائل المضطهدين في مكة المكرمة، ومصدراً للتغيير الجذري وبدايته وصولاً للعالمية من بيت المقدس، خرج إلى الوجود تصور جديد للتغيير الجذري أدى

---

١. حول رحلة الإسراء والمعراج كنموذج للتغيير الجذري، انظر: عبد الفتاح العويسي (٢٠٢٢)، التخطيط الاستراتيجي للتحرير القادم للمسجد الأقصى المبارك، (اسطنبول: دار الأصول العلمية)، ص٣٤٣-٣٥١.

إلى تأسيس خطة استراتيجية لفتح بيت المقدس في زمن الرسول ﷺ. مما يعني أن حادثة الإسراء والمعراج -وما بثته من أمل- أدخلت عوامل مركزية جديدة للتخطيط للمستقبل، نقلت قضية بيت المقدس ومسجده الأقصى المبارك (القبلة الأولى) من التفكير الاستراتيجي إلى التخطيط الاستراتيجي للتحرير، وأعادت ترتيب الأولويات لرسم خارطة سياسية وجيوبولتيكية جديدة للمنطقة، جعلت فتح بيت المقدس وتحرير القبلة الأولى هدفاً استراتيجياً مركزياً نحو العالمية.

فالدراسة المعمقة للسيرة النبوية الشريفة، تكشف لنا عن خطة نبوية استراتيجية لتحرير القبلة الأولى (المسجد الأقصى المبارك) بالأرض المقدسة المباركة (بيت المقدس)، وضعها بنفسه ﷺ ورسم خارطتها السياسية والجيوبولتيكية، والتي تقوم على ثلاثة أعمدة/مرتكزات/معالم رئيسة أو ثلاث مراحل عملية تنفيذية:

الإعداد المعرفي والإعداد السياسي والإعداد العسكري (الغزوات والسرايا)[٢].

ويهدف هذا المقال إلى التركيز فقط على أحد أركان هذه الخطة، ألا وهو الإعداد/البناء المعرفي في هذه الخطة النبوية الاستراتيجية، الذي تركز من خلال عدة خطوات، منها:



- تأسيس المفهوم والمصطلح النبوي «بيت المقدس»، وبث الأمل في نفوس الصحابة والتركيز على البشارات بفتح بيت المقدس، وتحول بيت المقدس إلى مادة حوارية بين الصحابة، وقراءة المصطفى ﷺ لسورة الإسراء كل ليلة وسورة الكهف كل يوم جمعة.

---

٢. حول تفاصيل الخطة النبوية الاستراتيجية وخارطتها السياسية والجيوبولتيكية لفتح بيت المقدس بأركانها الثلاثة، انظر: عبد الفتاح العويسي (٢٠٢٢)، التخطيط الاستراتيجي للتحرير القادم للمسجد الأقصى المبارك، ص٣٥٢-٣٨٤.

أولاً: تأسيس مفهوم ومصطلح جديد «بيت المقدس»

مصطلح «بيت المقدس»، هو مصطلح نبوي شريف أصيل ومحوري، استخدم في الماضي -بعد ظهور الإسلام- في المصادر والروايات العربية الإسلامية المبكرة للإشارة بشكل خاص إلى الإقليم الذي كان يعرف في ذلك الوقت بـ«إيلياء»[٣]. ولم تتوفر أية أدلة أو شواهد معتبرة ووازنة تشير إلى أن العرب يمكن أن يكونوا قد استخدموا مصطلح «بيت المقدس» للإشارة إلى الإقليم قبل ظهور الإسلام، بل يبدو أن رسول الله ﷺ كان أول من استخدم مصطلح «بيت المقدس» ليشير إلى إقليم «إيلياء»، وبرز هذا المصطلح بشكل واضح في صدر الإسلام.

ومن الملاحظ أن رسول الله ﷺ استخدم كلا من «إيلياء» و«بيت المقدس» في كثير من أقواله، ولكنه لم يستخدم «القدس» قط ولو حتى لمرة واحدة يتيمة. وبعد البحث والتدقيق، وجد أن عدد الروايات التي ورد بها الاسم الروماني البيزنطي «إيلياء» في الأحاديث النبوية الشريفة كان قليلاً جداً، مقارنة بمصطلح «بيت المقدس» الذي تجده شائعاً في الأحاديث النبوية الشريفة.

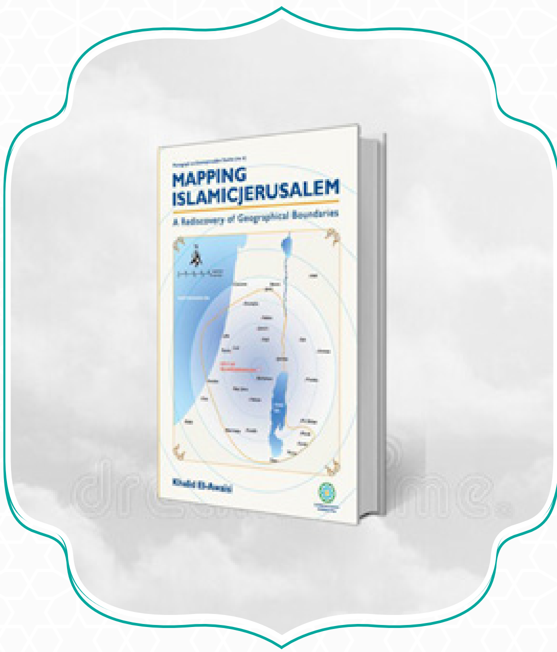
ولقد أكد الدكتور/خالد عبد الفتاح العويسي -الأستاذ في دراسات بيت المقدس، المتخصص في التاريخ الإسلامي والجغرافية المقدسة- أن «أغلب الأحاديث إن لم يكن كلها على لسان رسول الله ﷺ استخدمت اسم بيت المقدس، وهناك حديث واحد في الصحاح (صحيح مسلم) يذكر مسجد إيلياء وربما كان أيضاً روي بالمعنى.



٣. عثمان الطل (٢٠٠٣)، الفتح الإسلامي الأول لإيلياء (بيت المقدس): دراسة نقدية تحليلية للروايات والمصادر التاريخية الأولى (اسكتلندا)، ص٢٩١.

لكن هناك عدد من الروايات التي يذكرها الصحابة والتابعون يذكرون بها مسجد إيلياء. وقد نهى بعض التابعين عن استخدام اسم إيلياء واستخدام بيت المقدس مكانه. هذا النهي -الذي أشار إليه الدكتور خالد العويسي -عن تسمية بيت المقدس بإيلياء- ورد على سبيل المثال عن التابعي الإمام الحافظ معاوية بن صالح (توفي ١٥٨ هـ/٧٧٥م) -وُلد في زمن عبد الملك بن مروان في حدود الثمانين من الهجرة، وكان من أوعية العلم وحدث عنه سفيان الثوري وغيره- قوله: «لا تَدْعُ المدينة يثرب ولا بيت المقدس إيلياء»[٤].

وكما كره كعب الأحبار (توفي ٦٢ هـ/٦٨٢م) أن يُسمى بيت المقدس بإيلياء، وحث على أن يسمى «بيت المقدس»، فلقد روى الواسطي في فضائله والزركشي في كتابه (إعلام الساجد بأحكام المساجد) عن كعب الأحبار قوله: «لا تقولا إيلياء ولكن قولا بيت الله المقدس... ما تدرون ما مثل بيت المقدس عند الله...». وفي رواية أخرى للحموي في (معجم البلدان) (١٩٤/٥): «لا تسموا بيت المقدس إيلياء ولكن سموه باسمه (بيت المقدس)»[٥].



وهنا يمكن المحاجة بأن الخطوة المعرفية التأسيسية الأولى لرسول الله ﷺ ضمن خطته النبوية الاستراتيجية لفتح الأرض المقدسة، كانت إعطاء مفهوم ومصطلح نبوي جديد لهذه الأرض المقدسة المباركة[٦]،

---

٤. (خالد العويسي، ٢٠٠٧)، إعادة اكتشاف الحدود الجغرافية لبيت المقدس (اسكتلندا)، ص١٥٥.

٥. (خالد العويسي، ٢٠٠٧)، إعادة اكتشاف الحدود الجغرافية لبيت المقدس، ص١٣٦. ومن المفيد هنا، التذكير أنه عندما فتح ثاني خلفاء المسلمين عمر بن الخطاب رضي الله عنه بيت المقدس، استخدم في وثيقته التاريخية المعروفة بالعهدة العمرية المصطلح الذي كان شائعاً لدى الناس في ذلك الحين وهو «إيلياء»، التي كانت عبارة عن إقليم جغرافي، مركزه مدينة إيلياء «إيلياء كابيتولينا». فمن ناحية إدارية، لم يغير العرب المسلمون اسمها على الفور، بل استخدموه «إيلياء» مع «بيت المقدس» حتى السنوات الأولى من العصر الأموي عندما كانت هناك عملات معدنية تحمل الاسم نفسه.

٦. لمزيد من النقاش حول التأصيل للمصطلح والمفهوم النبوي "بيت المقدس"، انظر: عبدالفتاح العويسي (٢٠٢٢)، التخطيط الاستراتيجي للتحرير القادم للمسجد الأقصى المبارك، ص١٦٩-٢١٦.

يؤسس بهما (المفهوم والمصطلح الجديد) حجر الأساس للبناء المعرفي ونواته الأولى والخطوة المعرفية التأسيسية الأولى لتأسيس تصور ورؤية ومرجعية، وهوية وثقافة وروح جديدة للأرض المقدسة، تؤصل لتشكيل الرواية الإسلامية المتكاملة والمتميزة والخاصة بالأمة المسلمة، كخطوة مركزية في الإعداد ولاسيما الإعداد المعرفي لفتح هذه البقعة المقدسة المباركة وتحريرها. وهكذا، أضحى مصطلح «بيت المقدس» مصطلحاً نبوياً شريفاً أصيلاً ومحورياً في التخطيط للتاريخ المستقبلي للأمة المسلمة.



بث الأمل والبشارات بفتح بيت المقدس

كانت البداية أو أول الخطوات المعرفية لرسول الله ﷺ بث الأمل في نفوس الصحابة، بإعطاء البشائر الطيبة المتتالية وفي مناسبات متعددة بأن المسلمين سيفتحون بيت المقدس. فمثلاً أخبر النبيُّ شدادَ بن أوس -الذي تُوفي ودفن في مقبرة الرحمة في مدينة بيت المقدس عام ٥٨ هـ /٦٧٧ -٦٧٨م- أن: «الشام ستفتح، وبيت المقدس سيفتح، وتكون أنت وولدك أئمة بها إن شاء الله».

وفي هذه البشارة تأكيد واضح على نجاح فتح بيت المقدس، حيث سيصبح شداد وولده أئمة في بيت المقدس. وفي أثناء غزوة تبوك عام ٩ هجري/ ٦٣٠ م استمر النبي محمد ﷺ في إبلاغ الرسالة نفسها لصحابته. ففي الحديث الصحيح الذي رواه الإمام أحمد عن عوف بن مالك الأشجعي (تُوفي عام ٧٣هـ)، قال:

أتيت النبي ﷺ فقال: «عوف؟»، فقلت: نعم! فقال: «ادخل». قال: قلت: كلي أو بعضي؟ قال: «بل كلك». قال: «اعدد يا عوف ستاً بين يدي الساعة أولهن موتي»، قال: فاستبكيت حتى جعل رسول الله ﷺ يسكتني. قال قلت: إحدى، والثانية؟ «فتح بيت المقدس». قلت: اثنتين، والثالثة؟ «مُوتان يكون في أمتي

يأخذهم مثل قُعَاص الغنم» قلت: ثلاثاً، والرابعة؟ «فتنة تكون في أمتي وعَظَّمها». قلت: أربعاً، والخامسة؟ «يفيض المال فيكم حتى إن الرجل ليُعطَى المائة دينار فيتسخطها». قلت: خمساً والسادسة؟ «هدنة تكون بينكم وبين بني الأصفر فيسيرون إليكم على ثمانين غاية». قلت وما الغاية؟ قال: «الراية، تحت كل راية اثنا عشر ألفا، فسطاط المسلمين يومئذ في أرض يقال لها الغوطة في مدينة يقال لها دمشق».

وفي هذا تأكيد واضح أن بيت المقدس لن تفتح في حياة النبي محمد ﷺ ولكن بعد وفاته.

مادة حوارية للصحابة

كما إن بيت المقدس أضحى مادة حوارية بين الصحابة، كما حدث في مقارنتهم بين المسجد النبوي والمسجد الأقصى من ناحية الأفضلية بحضور النبي محمد ﷺ، كما في الحديث الذي يرويه أبو ذر الغفاري رضي الله عنه أو توجيه أسئلة إيضاحية للنبي محمد ﷺ عن بيت المقدس ومسجده، كما حدث مع ميمونة بنت سعد مولاة رسول الله ﷺ عندما سألته قائلة: «أفتنا في بيت المقدس»، أو سؤال أبي ذر عن أول وثاني مسجد وضع على الأرض.



كان المصطفى ﷺ لا ينام كل ليلة حتى يقرأ سورة الإسراء. فلقد روى الترمذي (٣٤٠٥) عن أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها، قالت: «كان النبي ﷺ لا ينام حتى يقرأ الزمر، وبني إسرائيل (الإسراء)». ولقد صححه الألباني في صحيح سنن الترمذي.

أما سورة الكهف، فمن المستحب قراءتها كل يوم جمعة، وتعد من سنن يوم الجمعة. كما روى البراء بن عازب رضى الله عنهما قال: سمعت النبي ﷺ قرأ في (صلاة) العشاء بالتين والزيتون، فما سمعت أحداً أحسن صوتاً منه». (متفق عليه). وهنالك علاقة بين سورة التين وسورة الإسراء وسورة الكهف بالأرض المقدسة[٧]. ولكن لاشك أن هذا الهدى النبوي الشريف في قراءة سورة الإسراء كل ليلة قبل النوم ومواظبته عليها ﷺ، وقراءة سورة الكهف كل يوم جمعة، لحكمة نبوية بالغة ضمن إعداد الأمة معرفياً وربطها بالأرض المقدسة (بيت المقدس) في ماضيها وحاضرها ومستقبلها.



فلا شك أن سورة الإسراء «قلب القرآن» والتي تختم ببشارة عظيمة ﴿وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ ۖ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًۢا﴾ [الإسراء: ١١١] منهاج متكامل لحياة المسلم الذي يستعد لتحرير الأرض المقدسة المباركة، سواء كان هذا في زمن الرسول ﷺ أو في زماننا الحالي. فالسورة تبث في المسلم الأمل وتبشره بالنصر والتمكين، وتزيد من يقينه بتحقيق وعد الله «الفتاح العليم» الذي لا مراء فيه ولا جدال، وهو واقع لا محالة، طال الوقت أم قصر. فالسورة تتحدث وتربط بين الماضي والحاضر والمستقبل بل وتستشرف المستقبل، وترسم -كذلك- معالم الانبعاث الإسلامي العالمي، وطريق الوصول للعالمية، وتوضح آثار الموقع الفريد للأرض المقدسة (بيت المقدس) على بقية أنحاء العالم في الإطارين التاريخي والمعاصر وكذلك في الإطار المستقبلي، من حيث كونه مركز البركة والأمل والتغيير العالمي ليس في الأرض المقدسة (بيت المقدس) فحسب بل في العالم بأسره.

---

٧. حول النظرية الجديدة للجيوبولتكس «نظرية دوائر البركة لبيت المقدس»، انظر: عبد الفتاح العويسي (٢٠٢٢)، التخطيط الاستراتيجي للتحرير القادم للمسجد الأقصى المبارك، ص٢٦٧-٣٤٢.

ويحاجج أستاذ التفسير العلامة الدكتور/أحمد نوفل بأن سورة الإسراء «هي دستور النصر لأمة الإسراء على عدوها الأول أمة إسرائيل، ويشمل هذا الدستور التربية العقدية أو المنهج العقدي والعبادي والأخلاقي (النظام الأخلاقي والتوجهات الأخلاقية) والاجتماعي والتوجيه المالي، والمنهج السياسي والتعبوي لهذه الأمة»[٨]. ويضيف في موضع آخر، أن «سورة الإسراء هي منهاج تحقيق النصر لأمة الإسراء على أمة إسرائيل، ودستور تحقيق النصر»[٩].



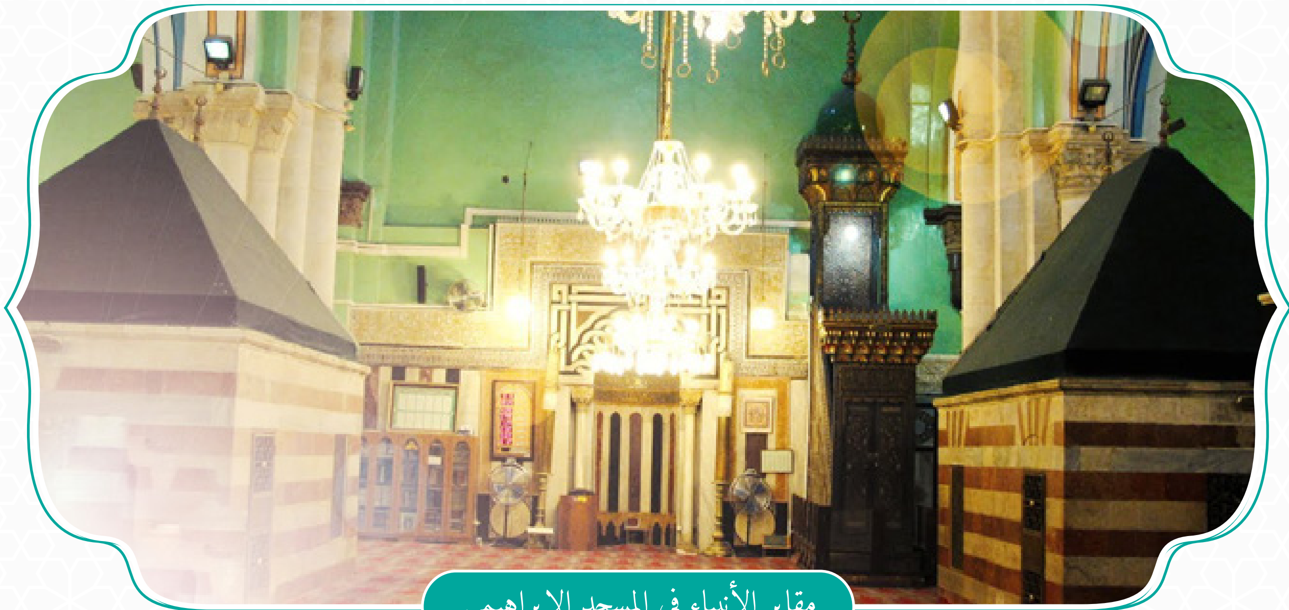
أما سورة الكهف -السورة المكية مثل سورة الإسراء- والتي تختم بتوجيه مهم ﴿... فَمَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلۡيَعۡمَلۡ عَمَلٗا صَٰلِحٗا وَلَا يُشۡرِكۡ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا﴾ [الكهف: ١١٠] ، فهي تبث في المسلم الأمل وتعطيه البشارات وتمده بالنور الذي يضيء له الطريق، وتنبهه إلى أهمية الثقة بقدرة الله عزّ وجلّ في صناعة المستقبل وتسيير حركة التاريخ. فالسورة تتضمن تحديات هائلة كانت تبدو للعقل البشري من العجائب غير المفهومة أو غير المنطقية في إطار من القصص التاريخية لاستشراف المستقبل من خلال وصف وتوضيح وفهم وتفسير وإدراك وتوجيه الأحداث، حيث تناولت السورة أربع قصص تاريخية تتعلق بأمور مستقبلية أو دورات تاريخية مكتملة توضح وتبين سنن وقوانين الله التي تحكم في هذا الكون والحياة، لنأخذ منها الدروس والعبر والمواعظ واستشراف المستقبل.

هذه القصص الأربع -التي تغطي ٧١ آية من أصل ١١٠ آية- هي: الكهف والرقيم، والجنتين، وموسى (النبي التابع) والخضر (المتبوع الذي جاء من عالم الغيب ولديه علم فوق قدرات العقل البشري)، والملك الصالح صاحب السلطة العالمية ذو القرنين.

---

٨. أحمد نوفل (٢٠١٤)، تفسير سورة الإسراء: دراسة تحليلية موضوعية، (عمان: جمعية المحافظة على القرآن الكريم)، ص١٠.
٩. أحمد نوفل (٢٠١٤)، تفسير سورة الإسراء: دراسة تحليلية موضوعية، ص١٢٢.

وبإيجاز، فإن الإعداد المعرفي المستمر للصحابة سواء في مكة المكرمة أو المدينة المنورة، والذي لم ينقطع حتى بعد الانتقال إلى العمل السياسي والعسكري في السنة السادسة للهجرة، جعل من بيت المقدس صورة حية في الأذهان والتصورات، وتعلقت به المشاعر والعواطف والقلوب والعقول، وأضحى مادة حوارية بين الصحابة، وأبدى بعضهم الرغبة الشديدة لزيارة المسجد الأقصى. كما رسخت الآيات القرآنية، والأحاديث النبوية الشريفة التي كانت تحدث عن بيت المقدس ومسجده الأقصى المبارك (القبلة الأولى)، البناء المعرفي لبيت المقدس ومكانته كمصدر للأمل والأمان والتغيير الجذري وبدايته، ومقراً ملهماً للمسلمين. كما كانت البشارات النبوية تؤكد للمسلمين بأنهم سيفتحون بيت المقدس، وتوضح لهم أن بيت المقدس لن يفتح في حياة النبي محمد ﷺ ولكن بعد وفاته. حتى إن بعض الصحابة فكروا في دفن الرسول ﷺ في بيت المقدس، حيث مدفن الأنبياء.


مقابر الأنبياء في المسجد الإبراهيمي

وبالتالي، كانت التهيئة المعرفية والتدرج في التهيئة، من أهم الأسس التي بُنيت عليها الخطة الاستراتيجية، وأضحت الخطوات التالية: السياسية والعسكرية التي بنيت عليها خطوات قوية ومثمرة.

ومن النتائج المهمة التي من المفيد أن يختم بها هذا النقاش حول الإعداد المعرفي، التأكيد على أن التمهيد المعرفي (التفكير الاستراتيجي في مكة المكرمة قبل رحلة معجزة الإسراء والمعراج) والإعداد

المعرفي (التخطيط الاستراتيجي بعد رحلة معجزة الإسراء والمعراج)، استغرق المدة الأطول في الخطة الاستراتيجية للمصطفى ﷺ. فالتمهيد للإعداد المعرفي قبل الخطة استغرق أحد عشر عاماً ونصف (منذ البعثة إلى حادثة معجزة الإسراء والمعراج)، تبعه الإعداد المعرفي منذ حادثة معجزة الإسراء والمعراج والذي لم يتوقف حتى عندما بدأ الإعداد السياسي والعسكري (تقريباً في السنة الخامسة والسادسة للهجرة) وحتى وفاته ﷺ. وبذلك، أضحت المعرفة -بمعنى الإدراك -هي البداية والنهاية، والقاعدة الأساسية لمثلث أو هرم الخطة الاستراتيجية لرسول الله ﷺ لفتح بيت المقدس، والتي بنى عليها العمل السياسي والعسكري في حياته ﷺ، أو في الجدية التي أبداها أبو بكر الصديق رضى الله عنه، وحزمه في إكمال تنفيذ الخطة، التي قطف ثمرتها عمر بن الخطاب رضى الله عنه.



فالجهود المعرفية لعبت -بلا أدنى شك- دوراً محورياً في الإعداد لتحرير القبلة الأولى. فما كان لأمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن يحرر بيت المقدس لو لم يسبقه إعداد، بما في ذلك الإعداد والتهيئة المعرفية المنظمة والممنهجة، ضمن الخطة النبوية الاستراتيجية التي وضعها بنفسه ﷺ في حياته، واستمر عليه الخليفة الأول أبو بكر رضي الله عنه. فلقد جاء الفتح الأول لبيت المقدس بعد وفاة النبي محمد ﷺ (١٢ ربيع الأول ١١هـ/ ٦ يونيو ٦٣٢م) بخمس سنوات تطوراً طبيعياً لذلك، حيث ساعدت الخطوات العملية الأولى التي اتخذها النبي محمد ﷺ ولاسيما الإعداد المعرفي ضمن خطته النبوية الاستراتيجية لبيت المقدس، على إيجاد الجو المناسب الذي هيَّأ بشكل مباشر إلى أحداث المستقبل. إذ كانت في واقع الأمر

خطوات مبدئية في الطريق إلى الحملة الكبرى التي أطلقها أول الخلفاء الراشدين أبو بكر رضي الله عنه ووجهها إلى الشام، ثم توِّجت بفتح ثاني الخلفاء الراشدين عمر بن الخطاب رضي الله عنه لبيت المقدس في ٤ جمادى الثانية ١٦هـ/ ٤ يوليو ٦٣٧م.



وإذا كانت رحلة معجزة الإسراء والمعراج هي بداية العالمية الأولى لرسالة الإسلام، ونقطة التحول الفاصلة نحو التغيير العالمي والانبعاث الإسلامي العالمي الأول، وانطلاق الفتح الإسلامي العالمي، بعد الهجرة النبوية من مكة المكرمة، وإقامة الدولة الإسلامية في المدينة المنورة وفتح مكة المكرمة، فإن الإعداد للعالمية الثانية القادمة وأستاذية العالم من بيت المقدس، لابد له من نقلة نوعية تقوم على التفكير الاستراتيجي والتخطيط الاستراتيجي، ووضع خطة استراتيجية ورسم خارطتها السياسية والجيوبولتيكية، تتضمن الإعداد بجميع مستوياته المعرفية والسياسية والعسكرية، والذي يبدأ بربط أرواح مسلمي العالم وقلوبهم وعقولهم ببيت المقدس وبيته المقدس (القبلة الأولى) من خلال الإعداد المعرفي. وهذه من الدروس المهمة التي يجب على الأمة المسلمة أن تفقهها، وهي تسعى في زماننا الحالي إلى تحرير القبلة الأولى، والذي يمكن تلخيصه بأن:

الإعداد المعرفي يمثل الأساس الذي يجب أن تبنى عليه جميع الإعدادات الأخرى. فالفتح المعرفي يجب أن يسبق الفتح والتحرير السياسي والعسكري.

تحويل القبلة وفقه التمايز



د. عبد السلام البسيوني

عضو مجلس أمناء الهيئة العالمية لنصرة نبي الإسلام ﷺ



لا شك أن مما بعث الله تعالى به محمدًا ﷺ أن يميز الخبيث من الطيب، والحق من الباطل، والمؤمن من الكافر؛ حتى لا تختلط النسب، وتميع الأحكام، ويخفى الحلال من الحرام؛ فيكون كل قسم من ذلك جليًا بينًا لا لبس فيه، كما نرى في زماننا هذا -الذي مهر فيه أبالسة البشر- من مرج الحق والباطل، حتى خفيا عن جمهرة الناس؛ بل صار الحق باطلًا، والباطل حقًا، وصارت الدمامة بأنواعها جمالًا، والجمال دمامة وقبحًا.

لذا جاء محمد ﷺ بمنهج ثابت جلي لا خفاء فيه: ﴿لِيَمِيزَ ٱللَّهُ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ ٱلْخَبِيثَ بَعْضَهُۥ عَلَىٰ بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُۥ جَمِيعًا فَيَجْعَلَهُۥ فِى جَهَنَّمَ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ [الأنفال ٣٧]

- «إن الحلال بيّن، وإن الحرام بين، وبينهما مشتبهات لا يعلمهن كثير من الناس، فَمَن اتقى الشبهات استبرأ لدينه، وعِرضه، ومَن وقع في الشبهات وقع في الحرام»[١].

- ولقد أمرنا أن نخالف أهل الكفر والشرك في عقائدهم، وعوائدهم، وأزيائهم:



- «ليس منا مَن تشبه بغيرنا، لا تشبهوا باليهود ولا بالنصارى...»[٢].

- «خالفوا المشركين، وفّروا اللحى، وأحفوا الشوارب»[٣].

- «جزوا الشوارب وأرخوا اللحى، خالفوا المجوس»[٤].

- «خالفوا اليهود والنصارى، فإنهم لا يصلون في خفافهم ولا في نعالهم»[٥].

- «.. فنظفوا أفنيتكم، ولا تشبهوا باليهود»[٦].

---

١. أخرجه مسلم: ١٥٩٩.
٢. هداية الرواة: ٤/٣١٥.
٣. أخرجه البخاري: ٥٨٩٢، ومسلم: ٢٥٩.
٤. مسلم: ٢٦٠.
٥. صحيح ابن حبان: ٢١٨٦.
٦. الجامع الصغير: ١٧٤٢.



- «صوموا يوم عاشوراء، وخالفوا فيه اليهود، صوموا قَبله يومًا، وبعده يومًا»[٧].
- «وإياكم والتنعم، وزي أهل الشرك، ولبوس الحرير..»[٨].
- «غيروا الشيب، ولا تشبهوا باليهود»[٩].
- إذا صليتم فاتزروا، وارتدوا، ولا تشبهوا باليهود»[١٠].
- وحتى على مستوى الفطرة: «لعن المتشبهين من الرجال بالنساء، ولعن المتشبهات من النساء بالرجال»[١١].

وسيكون التمايز حتمًا قبل يوم القيامة: «... يصبح الرجل فيها مؤمنًا، ويمسي كافرًا، حتى يصير الناس إلى فسطاطين: فسطاط إيمان لا نفاق فيه، وفسطاط نفاق لا إيمان فيه..»[١٢].

وسيكون قطعًا يوم القيامة:

﴿وَٱمۡتَٰزُواْ ٱلۡيَوۡمَ أَيُّهَا ٱلۡمُجۡرِمُونَ﴾ [يس: ٥٩].

﴿يُعۡرَفُ ٱلۡمُجۡرِمُونَ بِسِيمَٰهُمۡ فَيُؤۡخَذُ بِٱلنَّوَٰصِي وَٱلۡأَقۡدَامِ﴾ [الرحمن: ٤١].

﴿يَوۡمَ تَبۡيَضُّ وُجُوهٞ وَتَسۡوَدُّ وُجُوهٞۚ﴾ [آل عمران: ١٠٦].

﴿وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَى ٱللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسۡوَدَّةٌۚ﴾ [الزمر: ٦٠]

٧. أحمد: ٢١٥٤.
٨. مسلم من كلام عمر: ٢٠٦٩.
٩. الجامع الصغير: ٥٧٦٦.
١٠. الجامع: ٦٧١.
١١. البخاري: ٥٨٨٥.
١٢. أبو داود: ٤٢٤٢.

- «لكل غادر لواء يوم القيامة يُعرف به»[١٣].
- «لكل غادر لواء عند استه يوم القيامة»[١٤].



تمايُز أهل الإيمان

إذا تَقرر ذلك وجب أن ننتبه إلى أن قضية تحويل الأقصى وقعت في إطار مخالفة المشركين، وتمايز أهل الإيمان عن غيرهم. رغم أن الأقصى بذاته يتميز عن الحرمين الشريفين بجملة خصائص يفضلهما بها:

١. فهو مقدس من جميع الديانات التي سبقت الإسلام، وكذا المدينة ذاتها.

٢. وهو قبلة الأنبياء جميعًا قبل سيدي محمد ﷺ.

٣. وهو القبلة الأولى التي صلى إليها النبي ﷺ قبل أن تغير القبلة إلى مكة.

٤. ولم يجتمع كل الأنبياء والمرسلين في أي مكان بالدنيا في وقت واحد إلا فيه؛ فقد صلى النبي صلى الله عليه وآله فيه إمامًا بالأنبياء، إشارة إلى إمامته، وختمه النبوة، ومسؤوليته، ومسؤولية أمته عن بيت المقدس وما حوله وما حول المدينة والمنطقة كلها.

٥. ومنه عرج بالنبي ﷺ إلى السماء، ولو لم يحدث في زمن النبوة إلا ذلك الحدث لكفى بيت المقدس تشريفًا وتقديسًا.

---

١٣. البخاري: ٦٩٦٦.

١٤. مسلم: ١٧٣٧.

٦ وحوله الأرض المباركة التي وُلد، ونشأ، ونُبئ، ودُفن فيها أكبر عدد من الأنبياء، وإن لم نعين قبورهم على القطع. وممن بناه بعد آدم وإبراهيم عليهما السلام: داود عليه السلام، وأكمل عمارته سيدنا سليمان عليه السلام.

٧ وعلى أرضه خاطب سيدنا يعقوب ربه فوق الصخرة المقدسة التي أطلق عليها «باب السماء».

٨ وفيه كان المحراب الذي تعبدت فيه السيدة العذراء مريم ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا﴾ [آل عمران: ٣٧]

٩ وعلى أرضه دعا سيدنا المسيح عليه السلام على معذبيه بالخراب.

١٠ ويشمل قبة الصخرة والمسجد الأقصى، ومعالم أخرى يصل عددها إلى ٢٠٠ معلم.

" وأما حكاية تحويل القبلة فقد وردت تفاصيلها في كتاب الله تعالى في الآيات ١٤٢-١٥٠ من سورة البقرة، وتحكي تعلق رسول الله ﷺ وتمنيه أن تُحول القبلة إلى مكة، وتقليبه وجهه في السماء، وكيف أرضاه ربه في ذلك تكرمة وإعلاء قدره له، وكيف تقول اليهود وأثاروا اللغط حول ذلك. "

ثم إن القصة مستفيضة مشهورة في الصحاح، وفيها ورد أنه: «كان رسول الله ﷺ قد صلى نحو بيت المقدس، ستة عشر أو سبعة عشر شهرًا، وكان يحب أن يوجه نحو الكعبة، فأنزل الله تعالى: ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِى ٱلسَّمَآءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ...﴾ [البقرة: ١٤٤] فوجّه نحو الكعبة.

وقال السفهاء من الناس -وهم اليهود-: ﴿مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِى كَانُوا۟ عَلَيْهَا﴾ فأنزل الله تعالى: ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [البقرة: ١٤٢]».[١٥]

١٥. البخاري ٣٩٩، ومسلم ٥٢٥.

وقد أشار حبر الأمة سيدي ابن عباس رضي الله تعالى عنهما، أنه فعل ذلك تدرجًا وتألفًا للعرب، قال: «أول ما نُسخ من القرآن القبلة، وذلك أن محمدًا ﷺ كان يستقبل صخرة بيت المقدس، وهي قبلة اليهود، فاستقبلها محمدﷺ سبعة عشر شهرًا ليؤمنوا به وليتبعوه، وليدعوا بذلك الأميين من العرب، فقال الله عز وجل: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ﴾ [البقرة ١١٥]... إلى آخر الآية، وقال: ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِى ٱلسَّمَآءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ...﴾»[١٦].

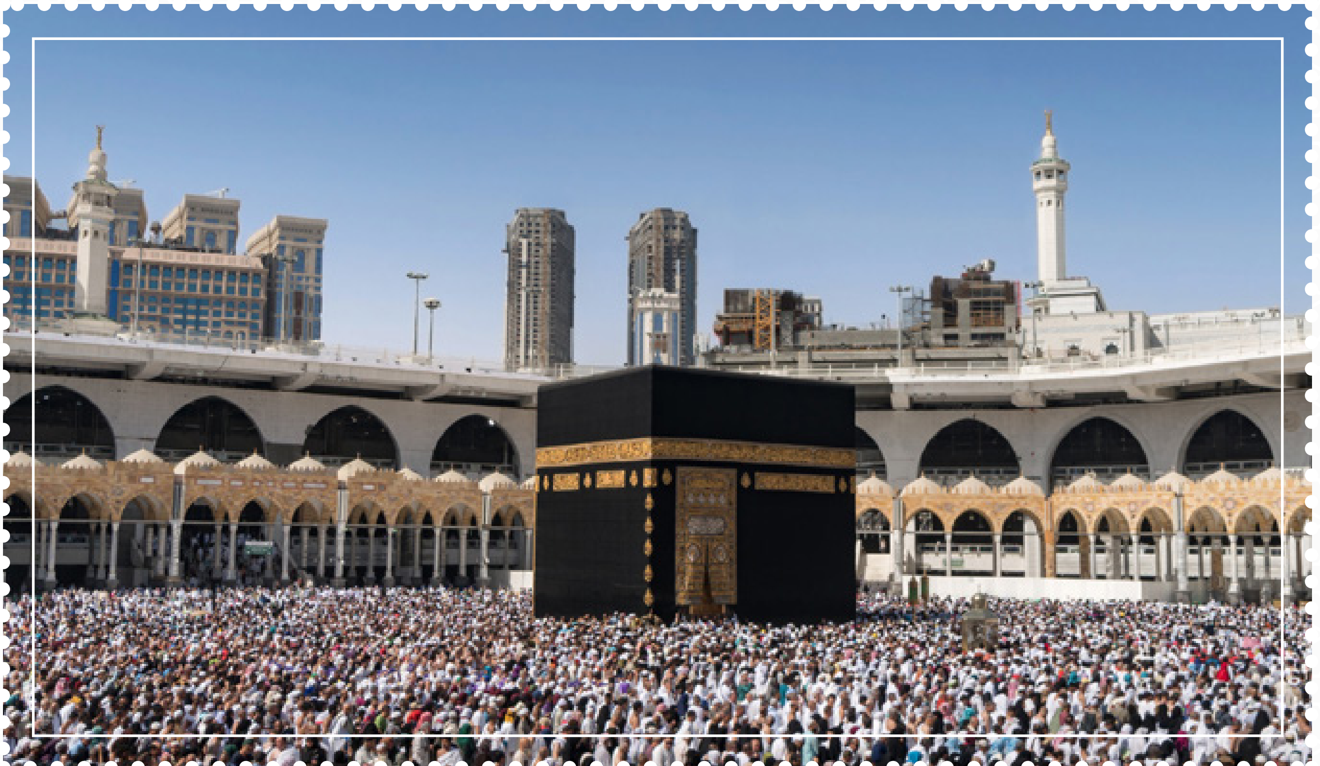


وفي (ابن ماجه) وغيره: «صلينا مع رسول الله ﷺ نحو بيت المقدس ثمانية عشر شهرًا، وصُرفت القبلة إلى الكعبة بعد دخوله إلى المدينة بشهرين، وكان رسول الله ﷺ إذا صلى إلى بيت المقدس أكثر تقلب وجهه في السماء، وعلم الله من قلب نبيه ﷺ أنه يهوى الكعبة، فصعد جبريل فجعل رسول الله ﷺ يتبعه بصره وهو يصعد بين السماء والأرض، ينظر ما يأتيه به، فأنزل الله: ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِى ٱلسَّمَآءِ...﴾ الآية. فأتانا آتٍ فقال: إن القبلة قد صرفت إلى الكعبة! وقد صلينا ركعتين إلى بيت المقدس ونحن ركوع، فتحولنا، فبنينا على ما مضى من صلاتنا. فقال رسول الله ﷺ: يا جبريل كيف حالنا في صلاتنا إلى بيت المقدس؟ فأنزل الله عز وجل: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَـٰنَكُمْ﴾ [البقرة: ١٤٣]»[١٧].

١٦. الضياء المقدسي، الأحاديث المختارة: ٣١٣/١٢.

١٧. ابن ماجه: ١٠١٠، وغيره.

ولقد عدّت اليهود صلاة محمد ﷺ إلى بيت القدس نوعًا من الاعتراف بهم، لذا انزعجوا أيما انزعاج، وزاد طعنهم في الدين الحنيف، لما غُيرت القبلة إلى مكة شرفها الله عز وجل؛ ففي (عمدة التفسير) عن سيدي حبر الأمة قال: كان أول ما نسخ من القرآن القبلة، وذلك أن رسول الله ﷺ لما هاجر إلى المدينة -وكان أكثر أهلها اليهود- فأمره الله أن يستقبل بيت المقدس؛ ففرحت اليهود، فاستقبلها رسول الله ﷺ بضعة عشر شهرًا. وكان يحب قبلة إبراهيم، فكان يدعو إلى الله، وينظر إلى السماء. فأنزل الله تبارك وتعالى: ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِى ٱلسَّمَآءِ...﴾ إلى قوله: ﴿فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ﴾؛ فارتاب من ذلك اليهود، وقالوا: ﴿مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِى كَانُوا۟ عَلَيْهَا﴾؟ فأنزل الله: ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ﴾ وقال تعالى: ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ١١٥].



ولأن أمر القبلة متعلق بالعبادة، فقد كان هديه ﷺ مخالفتهم الشديدة فيما يتعلق بالعبادة، خصوصًا بعد أن نزلت سورة (الكافرون): «وهي سورة تصدح بالحقيقة، وترفض أنصاف الحلول، وتعلن أن الإسلام إسلام، وأن الكفر كفر، ولن يلتقيا».



جاء في (أسباب النزول) للواحدي: أن الوليد بن المغيرة، والعاص بن وائل السهمي، والأسود بن عبد المطلب، وأمية بن خلف في جماعة آخرين من صناديد قريش وساداتهم، أتوا النبي ﷺ فقالوا له: هلم يا محمد فاتبع ديننا، ونتبع دينك، ونشركك في أمرنا كله، تعبد آلهتنا سنة ونعبد إلهك سنة، فإن كان الذي جئت به خيرًا كنا قد شاركناك فيه، وأخذنا حظًا منه، وإن كان الذي بأيدينا خيرًا كنت قد شاركتنا في أمرنا، وأخذت حظك منه. فقال: «معاذ الله أن نشرك به غيره». وأنزل الله ردًا على هؤلاء هذه السورة، فغدا رسول الله ﷺ إلى المسجد الحرام، وفيه الملأ من قريش، فقام على رؤوسهم، ثم قرأ عليهم حتى فرغ من السورة فيئسوا منه، وآذوه وصحبه، حتى اضطر إلى الهجرة إلى المدينة.

ولم تكن الكعبة قبلة نقية، خالصة عند بعثة النبي ﷺ، ثم عند فرضية الصلاة، فقد كانت محوطة بالأوثان التي كانت أكثر من عدد أيام السنة، واستولت محبتها وهيبتها على قلوب العرب، فعبدوها لتُقربهم إلى الله زلفى، لذا فلم يكن بد من تطهير القبلة الجديدة، والتهيئة لتدمير الأصنام حول الكعبة، والأصنام الكبيرة خارج مكة، كَمَناة وسُواع والعُزى واللات.

وقبل ذلك كان ﷺ قد كسر هذه الأوثان في نفوس أصحابه، وعابها وشكك فيها المؤمنين بها، لذا فإنها هُدمت بعد ست سنين فقط من تحويل القبلة؛ بمجرد إشارات من محجنه. ويرى العلامة سيد قطب -عليه الرحمات تهطل تترى- أن التحويل جاء تنقيةً لعقائد أهل مكة من أوشاب الجاهلية، وأوساخ الشرك، وأدران العصبية، والدخل البشري الكنود، فيقول رحمه الله:

«ولما كان الاتجاه إلى البيت الحرام قد تلبّست به في نفوس العرب فكرة أخرى غير فكرة العقيدة، وشابت عقيدة جدهم إبراهيم شوائب من الشرك، ومن عصبية الجنس، إذ كان البيت يعتبر في ذلك الحين بيت العرب المقدس، والله يريده أن يكون بيت الله المقدس، لا يضاف إليه شعار آخر غير شعاره، ولا يتلبس بسمة أخرى غير سمته. لما كان الاتجاه إلى البيت الحرام قد تلبست به هذه السمة الأخرى، فقد صرف الله المسلمين عنه فترة، ووجههم إلى بيت المقدس، ليخلص مشاعرهم من ذلك التلبس القديم أولاً، ثم ليختبر طاعتهم وتسليمهم للرسول ﷺ ثانيًا، ويفرز الذين يتبعونه لأنه رسول الله، والذين يتبعونه لأنه أبقى على البيت الحرام قبلة، فاستراحت نفوسهم إلى هذا الإبقاء، تحت تأثير شعورهم بجنسهم وقومهم ومقدساتهم القديمة.

إنها لفتة دقيقة شديدة الدقة، إن العقيدة الإسلامية لا تطيق لها في القلب شريكًا، ولا تقبل شعارًا غير شعارها المفرد الصريح، إنها لا تقبل راسبًا من رواسب الجاهلية في أية صورة من الصور -جل أم صغر- وهذا هو إيحاء ذلك النص القرآني: ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ۚ﴾ [البقرة: ١٤٣] والله -سبحانه- يعلم كل ما يكون، قبل أن يكون، ولكنه يريد أن يظهر المكنون من الناس، حتى يحاسبهم عليه، ويأخذهم به. فهو تعالى -لرحمته بهم- لا يحاسبهم على ما يعلمه من أمرهم، بل على ما يصدر عنهم، ويقع بالفعل منهم. ولقد علم الله جل وعلا أن الانسلاخ من الرواسب الشعورية، والتجرد من كل سمة وكل شعار له بالنفس علقة، أمر شاق، ومحاولة عسيرة، إلا أن يبلغ الإيمان من القلب مبلغ الاستيلاء المطلق، وإلا أن يعين الله هذا القلب في محاولته فيصله به ويهديه إليه ﴿وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۗ﴾. فإذا كان الهدى فلا مشقة ولا عسر في أن تخلع النفس عنها تلك الشعارات، وأن تنفض عنها تلك الرواسب، وأن تتجرد لله تسمع منه وتطيع، حيثما وجهها الله تتجه، وحيثما قادها رسول الله تقاد».

وبالله التوفيق والاستعانة.

﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَـٰنَكُمْ﴾



الشيخ حسين عبد العال

عضو الأمانة العامة للهيئة العالمية لنصرة نبي الإسلام ﷺ

لقد خلق الله الكون كله لحكمة عظيمة، علِمها مَن علمها وجهلها من جهلها، وتصرف سبحانه في كونه وَفق حكمته، وحكم بين عباده في كل شيء وصرف وجوههم لعبادته وفق هذه الحكمة العظيمة، قال تعالى: ﴿ذَٰلِكُمْ حُكْمُ ٱللَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [الممتحنة: ١٠]

فكما أنه يأمرهم بعبادة ما، في زمن ما، مع رسول ما، ثم ينسخ تلك العبادة مع رسول آخر ويغير سبحانه في شكل العبادة كيفما يريد، فهو سبحانه أيضًا يوجه عباده للجهة التي يريدها ويحبها سبحانه، وليس على العباد إلا التسليم الكامل والرضا بما قضاه وأراده سبحانه، فنحن نعبده كما يريد هو وكما يحب هو، لا كما نريد ونهوى نحن، قال تعالى: ﴿فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا۟ ۚ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [هود: ١١٢]

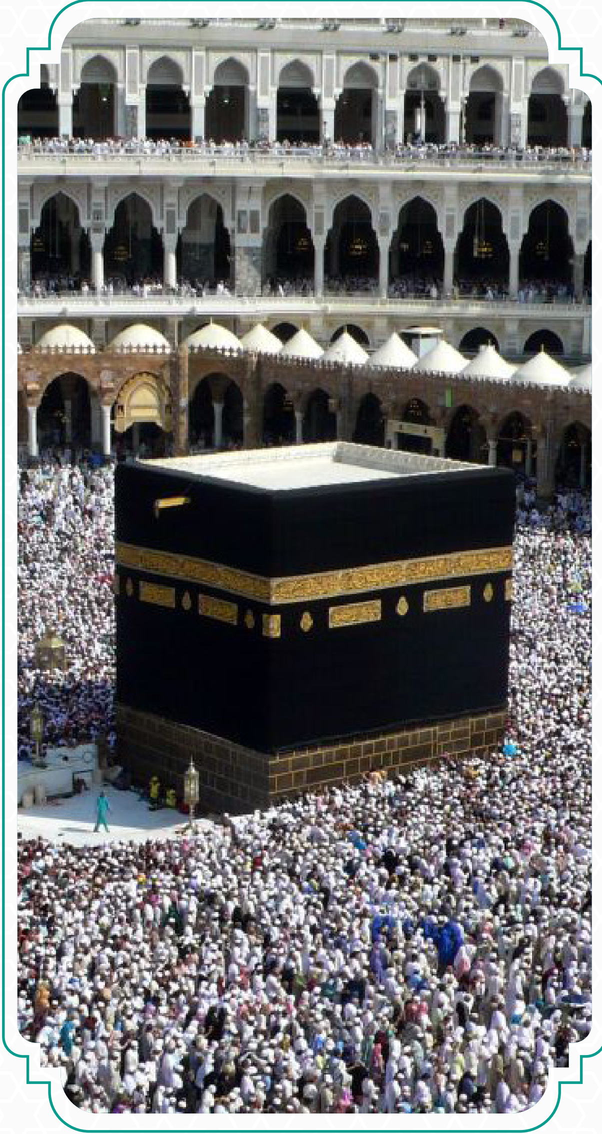
ومن ذلك أن الله عز وجل قد ينسخ حكمًا ويأتي بغيره، وفق حكمته سبحانه، ولِعلة يعلمها هو، بيّنها لعباده أو لم يُبينها لهم، إلا أنه عند إبدالها يأتي بخير منها لعباده أو يأتي بمثلها فيما يكون خيرًا لعباده أيضًا، قال تعالى: ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ ۗ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: ١٠٦]، ومن هذا القبيل كان حدث تغيير القبلة.

تحويل القبلة

ظل المسلمون مع النبي ﷺ يصلون إلى بيت المقدس بعد الهجرة ستةَ عشرَ أو سبعةَ عشرَ شهرًا، وكان النبي ﷺ يحب أن يتوجه شطرَ البيت الحرام، قبلة أبيه إبراهيم عليه السلام، وكان كثيرًا ما يقلب وجهه في السماء رجاء أن يمنّ الله عزّ وجلّ عليه بتحويل القبلة للوجهة التي يحبها، قال تعالى: ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِى ٱلسَّمَآءِ ۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا ۚ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ [البقرة: ١٤٤]



وعن البراء بن عازب رضي الله عنه: «كان أول ما قدِم المدينة نزل على أجداده، [أو قال: أخواله من الأنصار] وأنه صلَّى قِبل بيت المقدس ستة عشر شهراً، أو سبعة عشر شهراً، وكان يعجبه أن تكون قبلته قِبل البيت....»[١].



فجاء الأمر من الله تعالى بتحويل القبلة، وهذا في النصف من شعبان من العام الثاني للهجرة.

آيات وعبر

١. التحويل كان ابتلاء وتمحيصًا للمؤمنين

كان الله قادرًا سبحانه على أن يجعل الكعبة قبلة للمسلمين من بادئ الأمر، لكن الله سبحانه يبين أن ذلك كان ابتلاء للمؤمنين لمعرفة الصادق منهم في اتباع الرسول من الشاك في أمره، قال تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ۚ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ﴾ [البقرة: ١٤٣]

وهنا ظهرت معادن أهل الإيمان حقًّا في سرعة تصديقهم وسرعة استجابتهم لله عز وجل ولرسوله ﷺ، عن البراء رضي الله عنه: «صليت مع النبي ﷺ إلى بيت المقدس ستة عشر شهراً حتى نزلت الآية التي في البقرة: ﴿وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ﴾ [البقرة: ١٤٤] فنزلت بعد ما صلى النبي ﷺ، فانطلق رجل من القوم فمرّ بناس من الأنصار وهم يصلون، فحدَّثهم، فولَّوا وجوههم قِبل البيت.

---

١. البخاري ومسلم.

حتى أنهم لم ينتظروا حتى ينتهوا من صلاتهم ويتأكدوا بعدها، لكن استجابتهم جاءت في منتصف صلاتهم، فصلوا نصفها نحو بيت المقدس، ونصفها الآخر نحو البيت الحرام.

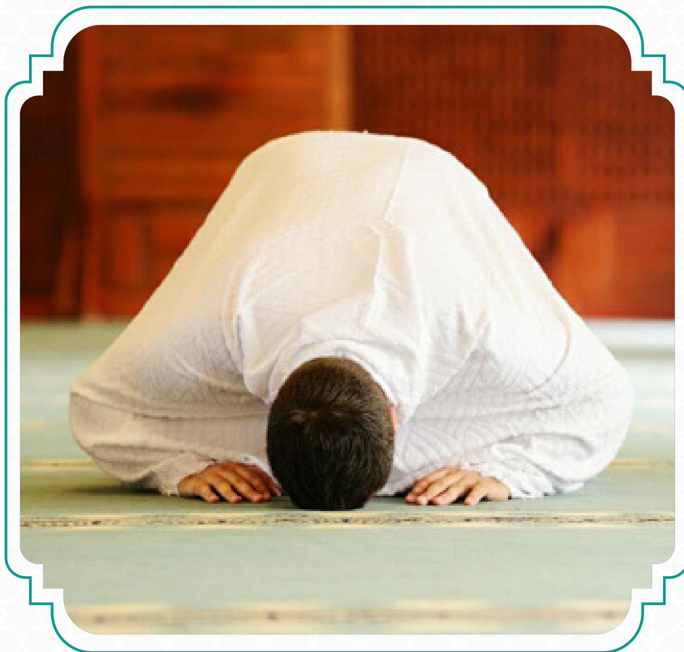
٢. بيان موقف السفهاء من الناس

والسفهاء من الناس ليسوا صنفًا واحدًا بل عدة أصناف، وصدق الله سبحانه وتعالى في وصفهم بالسفهاء، ورغم أسبقية الوصف إلا أنهم من سفاهتهم قالوا بما أخبر الله عز وجل به، ونطقوا متسائلين ﴿مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِى كَانُوا۟ عَلَيْهَا﴾ [البقرة: ٤٢]، وهؤلاء ثلاثة أصناف:

أولهم اليهود قالوا: إن محمدًا لو كان على حق لما ترك قبلة الأنبياء من قبله. وقال بعضهم: لو رجع لقبلتنا لاتبعناه على دينه. محاولةً منهم لزعزعة ضعاف النفوس من المسلمين.

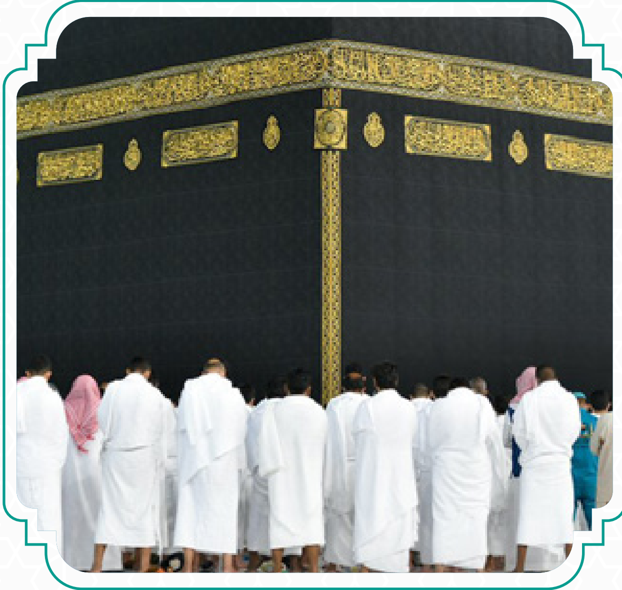
ثانيهم: أهل مكة من المشركين، وهؤلاء قالوا: اليوم رجع لقبلتنا وغداً يرجع لديننا. وما علموا أنها ليست قبلتهم بل هي قبلة إبراهيم عليه السلام الذي حرّفوا دينه وأشركوا مِن بعده.

ثالثهم: المنافقون، وقد قالوا: ما يدري محمد إلى أين يتجه في صلاته، ولو كانوا مؤمنين لعلموا أن القضية ليست في تولية الوجه شرقًا أو غربًا، بل القضية هي اتباع أمر الله تعالى متى وأين وكيفما أمر، قال تعالى: ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ...﴾ الآية [البقرة: ١٧٧]



٠٣. المفاصلة التامة مع اليهود والنصارى

أي بيان استقلالية الأمة الإسلامية ومفارقتها لليهود والنصارى، فلا نستقبل قِبلتهم ولا هم يستقبلون قبلتنا، قال تعالى: ﴿وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَّا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ وَمَا أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ وَمَا بَعْضُهُم بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم مِّن بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة: ١٤٥]



وقِبلة النبي ﷺ هي الحق المبين، وأمر من رب العالمين، وقيل إنها كانت قبلة جميع الرسل وأن موسى عليه السلام كان يصلي للبيت الحرام، عن مجاهد في قوله تعالى: ﴿بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً﴾، قال: نحو الكعبة، حين خاف موسى ومَن معه من فرعون أن يصلُّوا في الكنائس الجامعة، فأمروا أن يجعلوا في بيوتهم مساجد مستقبلةً الكعبة يصلون فيها سرًّا[٢].

ولكن اليهود بدلوها من بعد موسى عليه السلام من عند أنفسهم، ولذلك هم يحسدوننا على أن هدانا الله تبارك وتعالى لها بعد ضلالهم عنها، عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: بينا أنا عند النبي ﷺ، إذ استأذن رجل من اليهود، فأذن له، فقال: السَّام عليك، فقال النبي ﷺ: وعليك، قالت: فهممت أن أتكلم، قالت: ثم دخل الثانية، فقال مثل ذلك، فقال النبي ﷺ: وعليك، قالت: ثم دخل الثالثة، فقال: السام عليك، قالت: فقلت: بل السام عليكم، وغضب الله، إخوان القردة والخنازير، أتحيون رسول الله ﷺ بما لم يحيه به الله؟ قالت: فنظر إليَّ، فقال: مَهْ، إن الله لا يحب الفحش ولا التفحش، قالوا قولاً، فرددناه عليهم، فلم يضرنا شيء، ولزمهم إلى يوم القيامة، إنهم لا يحسدونا على شيء كما يحسدونا على يوم الجمعة التي هدانا الله لها، وضلوا عنها، وعلى القبلة التي هدانا الله لها، وضلوا عنها، وعلى قولنا خلف الإمام: آمين[٣].

---

٠٢. الطبري، تفسير قوله تعالى: (واجعلوا بيوتكم قبلة).

٠٣. مسند أحمد ٢٥٠٢٩.

٤. رباط الإيمان وخوف الصحابة على إخوانهم



وذلك أنهم لما تحولت القبلة ظن بعض الصحابة رضي الله عنهم بطلان الصلوات الماضية، وأن إخوانهم الذين ماتوا قبل تحويل القبلة لم تُقبل صلاتهم، فسارعوا يسألون رسول الله ﷺ عن مصير إخوانهم؛ فعن ابن عباس رضي الله عنهما: لما وجه النبي ﷺ إلى الكعبة قالوا : يا رسول الله كيف بإخواننا الذين ماتوا وهم يصلون إلى بيت المقدس؟ فأنزل الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَـٰنَكُمْ﴾[٤].

٥. مسارعة الله سبحانه في إرضاء نبيه ﷺ

وذلك من قول الله عز وجل: ﴿فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا﴾ فانظر لقوله تعالى ﴿تَرْضاها﴾، أي: تحبها وكنت تتمناها، والحق سبحانه كان قادرًا على صياغتها بأي لفظ آخر، لكنه أخبرنا أنه ولّاه قِبلةً يرضاها لأنه يسارع في إرضاء حبيبه، فعن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، قالت: كنت أغار على اللاتي وهبن أنفسهن لرسول الله ﷺ وأقول: أتهب المرأة نفسها؟! فلما أنزل الله تعالى: ﴿تُرْجِى مَن تَشَآءُ مِنْهُنَّ وَتُـْٔوِىٓ إِلَيْكَ مَن تَشَآءُ ۖ وَمَنِ ٱبْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ ۚ﴾ [الأحزاب: ٥١]، قلت: ما أرى ربك إلا يسارع في هواك[٥]!

٦. وجوب فتح مكة وتحرير الأقصى

كان من الإشارة الواضحة للصحابة رضوان الله عليهم في تحويل القبلة، أن الله تبارك وتعالى يحثهم على فتح مكة وتطهير قبلتهم من الأصنام والأوثان والشرك، ولذا كانوا يتشوقون لهذا اليوم حتى أكرمهم الله عز

٤. سنن الترمذي ٢٩٦٤.

وجل به في العام الثامن من الهجرة، وكان من صلاة المسلمين نحو بيت المقدس بعد إسراء النبي ﷺ إليه إشارة أيضًا إلى فتحه وتحريره، ولذا سارع أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه إلى فتحه وتطهيره من الشرك أيضًا، ثم حرره صلاح الدين بعد ذلك بعد انتصاره في معركة حطين، وما زالت الإشارة واضحة للمسلمين اليوم على وجوب تحريره، بل هي اليوم أوجب، لأنه اغتُصب من المسلمين بعد فتحه وتحريره، فصار تحريره لازمًا وواجبًا على كل المسلمين.

٧. من الوعي اللازم لأمتنا معرفة طبيعة اليهود

فاليهود لم يرضو عن رسول الله ﷺ الذي لا يختلف عليه اثنان في حسن خلقه وجميل معاملته، بل ومع علمهم بأنه رسول من الله تعالى ومعرفتهم الثابتة بذلك، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَعۡرِفُونَهُۥ كَمَا يَعۡرِفُونَ أَبۡنَآءَهُمۡۖ وَإِنَّ فَرِيقٗا مِّنۡهُمۡ لَيَكۡتُمُونَ ٱلۡحَقَّ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٤٦]

ومع هذا ما رضوا عنه بل تآمروا على قتله، وأثاروا الشبهات حول دعوته، وحاولوا بشتى الطرق صد الناس عنه، قال تعالى: ﴿وَلَن تَرۡضَىٰ عَنكَ ٱلۡيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمۡۗ﴾ [البقرة: ١٢٠] فقوم لم يرضوا عن رسول الله ﷺ هل سيرضون عنا اليوم؟! لا شك أن مَن يظن ذلك لا يكون عنده دراية ولا فهم للواقع ولا لطبيعة هؤلاء اليهود.

من هنا نرى أنه ما من حدث يحدث في كون الله تعالى إلا لحكمة يعلمها ربنا، ظهرت لنا عِلتها أم لم تظهر لنا، وليس علينا إلا التسليم لأمر الله تعالى، وبهذا سبقنا أصحاب رسول الله ﷺ رضي الله عنهم أجمعين.

اللهم احفظ لنا البيت الحرام قبلة طاهرة إلى يوم الدين، وأعنا اللهم على تحرير المسجد الأقصى قريبًا عاجلًا غير آجل برحمتك يا أرحم الراحمين!

---

٥. البخاري ٤٧٨٨.

الأسرة الكتانية وخدمتها للسُّنة (٤)

د. الحسن بن علي الكتاني



عضو مجلس أمناء الهيئة العالمية لنصرة نبي الإسلام ﷺ

٩. ومنهم أبو العباس أحمد بن جعفر الكتاني[١]:

أبو العباس أحمد بن جعفر بن إدريس بن الطائع بن إدريس بن محمد الزمزمي الكتاني، يكنى بأبي العباس، ولد بمدينة فاس في شهر ذي القعدة الحرام عام ١٢٩١هـ، أخذ العلم عن والده العلامة جعفر بن إدريس الكتاني (١٣٢٣هـ)، وأخيه الأكبر محمد بن جعفر الكتاني (١٣٤٥هـ)، وعبد السلام بن محمد الهواري (١٣٢٨هـ)، وغيرهم من علماء القرويين في عهدها الزاهر. وسافر للحج عام ١٣٢٣، والتقى بكبار أعلام المشرق، فاهتبلوا به، وأخذوا عنه وأخذ عنهم، واستجازهم واستجازوه.

---

١. النبذة اليسيرة النافعة لمحمد بن جعفر الكتاني (ص: ٣١٢-٣١٧)، سل النصال للنضال (ص: ٢٣-٢٤)، إتحاف المطالع (٢/ ٤٣٠)، «معلمة المغرب» - المجلد ٢٠» بقلم الدكتور حمزة بن علي الكتاني. وهي نفسها في «منطق الأواني» (ص ٧٢).

ارتقى أحمد بن جعفر إلى علماء الدرجة الأولى من رجال القرويين عام ١٣٣٧، ولازم التدريس والإفادة منذ صغره، وكان له كرسي للتدريس بجامع القرويين الأعظم، كما كان له تلامذة وأشياع يلازمونه ويتبعونه، أصبح بعضهم من رواد الحركة الوطنية فيما بعد.

كما تميز الشيخ أحمد الكتاني بعدائه للاحتلال الفرنسي، كما شارك في التوقيع على عدة نوازل وفتاوى مصيرية لكبار علماء المغرب، كان لها الدور في الحركة الإصلاحية قبيل الاحتلال. ثم تجهز للجهاد بالسلاح والتدريب، ورفض تعليق علم فرنسا على منزله رغم ما يمكن أن يؤدي إليه ذلك الرفض من مخاطر لا تحمد عقباها حينه. ولازم منزله مدة طويلة، بحيث لم يتعامل مع الوضع الجديد، ولم يقابل وجهه وجه فرنسي قط. وأخبرنا ابنه شيخنا إبراهيم بن أحمد بن جعفر، رحمه الله، أنه كان يتعمد أخذ دواء استطلاق البطن ليعتذر عن حضور لقاءات المقيم العام الفرنسي بعلماء فاس. وأنه كان إذا دخل عامل يهودي لإصلاح أثاث البيت يصعد للطابق العلوي يصلي ويبكي مخافة سقوط البيت من دخول اليهودي للبيت. وقد حاول الهجرة للحجاز واللحاق بأخيه الأكبر فلم يتمكن من ذلك.

ومن أهم ما يميز سيرته: أن الحركة الوطنية المغربية تأسست في مكتبه بمنزله، ومنه خرجت، حين اجتمع نجله العلامة محمد إبراهيم بن أحمد الكتاني رفقة أصدقائه؛ ومنهم: المجاهد الزعيم علال بن عبد الواحد الفاسي، والفقيه محمد غازي، وأقسموا على المصحف الشريف على تحرير البلاد من نير الاستعمار، والدفاع عن الشريعة الإسلامية والأسس الوطنية به.



أثنى عليه جمع من العلماء الأعلام ووصفوه بجميل الأوصاف والألقاب، وممن أثنى عليه أخوه محمد بن جعفر الكتاني (١٣٤٥هـ) قال: "فقيه صوفي كبير، وعلامة رباني شهير، محب عاشق بالثناء على صاحب الرسالة، ناطق مدرس نفاع»، وقال عبد السلام ابن سودة (ت ١٤٠٠هـ) قال: «الشيخ العلامة المشارك المدرس النفاعة المطلع المؤلف الشهير المحب الصادق الخير الصالح المتبرك به».

توفي رحمه الله صبيحة يوم الأحد ثالث وعشرين من شهر جمادى الأولى عام أربعين وثلاثمائة وألف، وصلي عليه صلاة الزوال بضريح الإمام إدريس بن إدريس، ودفن خارج باب الفتوح بفاس.

وقد كان لأبي العباس أحمد بن جعفر بن إدريس اعتناء واضح بعلم السيرة النبوية، تبين لنا ذلك من خلال ولوعه ومحبته للجناب النبوي ﷺ، وأكثر في ذلك من القصائد والأمداح المصطفوية كما قال محمد بن جعفر الكتاني (١٣٤٥هـ) في النبذة اليسيرة، قال: «محب عاشق بالثناء على صاحب الرسالة»، وقال: «وصحب كثيراً من أهل الفضل والكمال والاستغراق في شهود الجلال والجمال، واستمد منهم واستفاد، ونال البغية والمراد، واكتسى منهم بالعشق في الجناب النبوي، والهيام فيه وزاد، بما أربى به على كل متعشق نبيه، وتربى وتأدب، وتكمل وتهذب، زاد الله في معناه، ومنّ علينا وعليه برضاه».



وقال أيضاً: «وله قصائد وأمداح أُخر نبوية عظيمة، وصلوات فخيمة مصطفوية، ومرائي جليلة محمدية، وأخرى متنوعة هادية مهدية، ونسك وتهجد وعبادة، وإكثار من الصلاة على خير الخلائق وسيد السادات».

كما له اليد الطولى في التأليف والتصنيف، وكان لعلم السيرة النبوية النصيب الأكبر من مؤلفاته النفيسة الدالة على مكانته العلمية في هذا الباب.

ومؤلفاته في السيرة تزيد على العشرين مؤلفاً، وهي موجودة في مكتبة ابنه الإمام محمد إبراهيم بن أحمد الكتاني، وهي كالآتي:

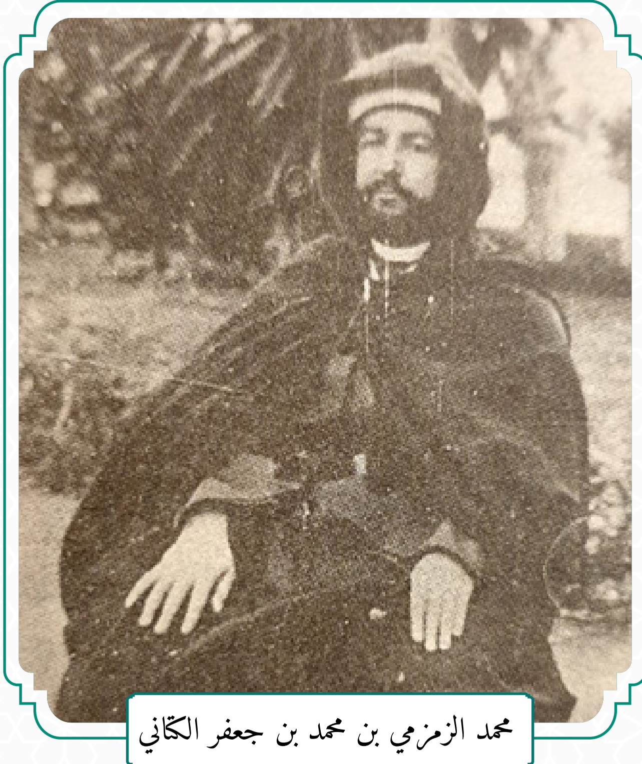
١- أعذب المناهل على الشمائل. ٢- حر الزاخر في أسماء سيد الأوائل والأواخر. ٣- تنبيه الأواه فيما لي من التكرم بأكرم خلق الله. ٤- حديقة الأسرار الفاخرة المهداة لسيد أهل الدنيا والآخرة. ٥- الدرة الغرا في قصة الإسرا. ٦- الدرر السنية عند ختم الهمزية. ٧- السر الأبهر في ولادة النبي الأطهر. ٨- السر المصون في أن الله أطلع نبيه على ما كان ويكون. ٩- سند الأصفياء في القيام عند ذكر سيد الأنبياء. ١٠- عقد الدر النفيس على شرح الهمزية للشيخ بنيس. ١١- عنوان السعادة في الصلاة على من قرن الله اسمه باسمه في كلمة الشهادة. ١٢- الفتح المبين في الكلام على آية «وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين». ١٣- فجر السعادة الباسق وقمر السيادة الشارق على إسعاف الراغب الشائق بخبر ولادة خير الأنبياء وسيد الخلائق. ١٤- الفيوضات الإلهية على الهمزية البوصيرية. ١٥- قرع أبواب كرم الله بالصلاة على أكرم خلق الله. ١٦-مسك الجيوب في الصلاة على الحبيب المحبوب. ١٧- المفاخر العلية في الكمالات المحمدية. ١٨- المنازل العلية في المثول بين يدي خير البرية ١٩- منتهى المنى والسول في شمائل الرسول ٢٠- منهاج الحق الواضح الأبلج في ولادة صاحب الطرف الأدعج والحاجب الأزج ٢١- المنهل الفسيح على بردة المديح ٢٢- النظم العجيب في الفرح بولادة الحبيب ٢٣- الهمزية البهية في مدح خير البرية ٢٤- الوتريات في الأمداح النبويات

خلاصة القول يعد العلامة أحمد بن جعفر الكتاني من العلماء البارزين المعتنين بسيرة الرسول ﷺ في العهد العلوي المجيد، من خلال ولوعه ومحبته للجناب النبوي ﷺ، وما صنفه من المؤلفات في هذا الميدان، فرحم الله العلامة أحمد بن جعفر الكتاني برحمته الواسعة، وأسكنه فسيح جناته.

١٠. محمد الزمزمي بن محمد بن جعفر الكتاني[٢]:

أبو الفضل محمد الزمزمي بن محمد بن جعفر بن إدريس بن الطائع بن إدريس بن محمد الزمزمي بن محمد الفضيل بن العربي بن محمد بن علي الجامع: عالم بالمذاهب الأربعة، مشارك في جل العلوم الشرعية، رحالة داعية إلى الله تعالى، مفكر مجاهد.

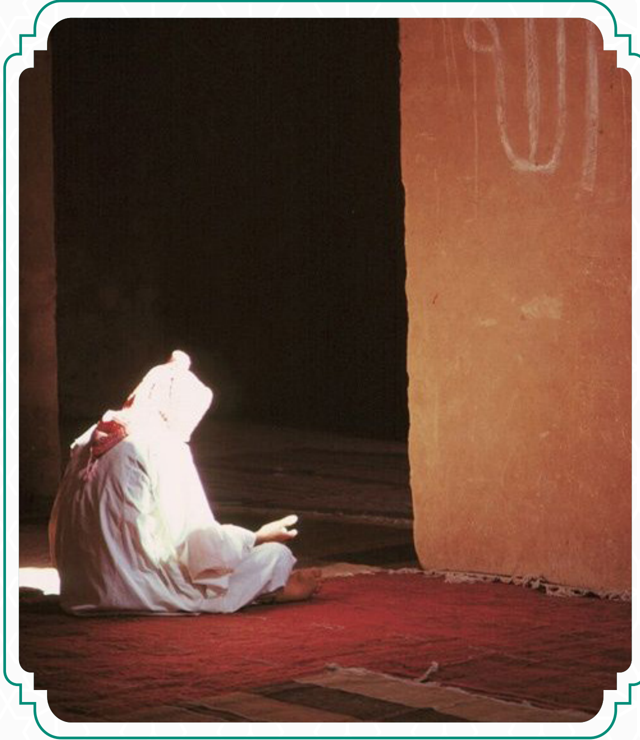
ولد بفاس ١٣ جمادى الثانية عام (١٣٠٥)، وأخذ بها عن علية علمائها، وحج عام ١٣٢١ وأخذ عن كبار علماء المشرق، ثم هاجر مع والده للمدينة المنورة المرة الأولى عام ١٣٢٥ ثم المرة الثانية عام ١٣٢٨، ثم انتقل مع والده لدمشق الشام عام ١٣٣٦.


محمد الزمزمي بن محمد بن جعفر الكتاني

وفي عام (١٣٤٣) رحل زائراً وداعية لله تعالى في الهند، ومرّ في طريقه بالعراق التي التقى بأعلامها، وأخذ عنهم، وزار مختلف مدنها ومعاهدها العلمية ومزاراتها. ثم وصل للهند، وزار مختلف مدنها وولاياتها؛ ككراتشي، وبومبي، وأزمير شريف، ودلهي. واعتنى بلقاء علمائها وصلحائها، وزعماء المسلمين بها؛ كعبد العلي بن الشيخ نسيب علي، وحكيم عبد الوهاب الأنصاري، وأنور شاه الكشميري، والزعيم الكبير ميا محمد شطاني. وفي تلك الزيارة كان طالباً للعلم، وداعية إلى الله، وناشراً للمعارف والروح الإسلامية المقاومة للاحتلال الأجنبي لبلاد المسلمين.

وفي عام ١٣٤٥ عاد للمغرب مستوطناً بها، مملوءاً من علم المشرق وتجربته العلمية والحضارية، غير أنه لقي من طرف الاحتلال الفرنسي وأذنابه مضايقات عظيمة لولاها لاستفاد المغرب كثيراً من علمه ومعرفته، وأفكاره الإصلاحية.

ثم سافر للهند مرة ثانية عام (١٣٥٣)، ومر في طريقه بمصر وبلاد الشام التي اجتمع فيها بكبار رجالاتها العلميين والسياسيين، وزار في الهند بومبي، وحيدر أباد، وبنكلور، وميسور، والتقى بكبار أعلامها كمحمد أنور شاه الكشميري، والتقى بكبار علمائها ورجالات السياسة المسلمين، وشارك في الإصلاح العلمي والسياسي بها.



كان الإمام محمد الزمزمي الكتاني من رجال الطبقة الأولى من علماء المغرب، بل متميزاً بحكم رحلته الواسعة، وطول فترة طلبه العلم، وعظم مقدار من لازم وتتلمذ عليه في مختلف المذاهب والفنون الإسلامية. وبالرغم من ذلك لم يكن يخل بعلمه ومعارفه في أي محل زاره أو رحل إليه، أو حل به، فأخذ عنه أعلام من الحجاز والشام والعراق، والهند والمغرب، واستفادوا منه، واستجازوه في العلم والتصوف.

كما كان له نشاط سياسي كبير، خاصة في الفترة قبل رجوعه المغرب عام ١٣٤٥، فقد كان ذراع والده الأيمن في جميع نشاطاته السياسية، والواسطة بينه وبين جميع الملوك والرؤساء، والزعماء الذين تعرف إليهم.

وفي هذا الإطار، كانت تربطه بحكام الحجاز: الشريف الحسين بن علي ونجليه فيصل ملك سوريا والعراق، وعبدالله ملك الأردن، وابن الثاني الملك طلال ملك الأردن كذلك، والشريف علي حيدر علاقات وطيدة.

كما كان للخلافة العثمانية مزيد اعتناء بالمترجم، بحيث استدعي ضيفاً على تركيا عام (١٣٤١)، ومنحته الدولة العثمانية وسام العظمة لجهوده من أجل القضايا الإسلامية.

---

٢. "النبذة" (ص٤٠٢)، "عقد الزمرد"، "الأعلام" (٦: ١٣١)، "إتحاف المطالع" (٢: ٥٣١)، "سل النصال" (ص١٤٧)، "من أعلام المغرب" (ص١٠٠)، "أعلام دمشق في القرن الرابع عشر" (٢: ٦٦)، "منطق الأواني" (ص ٩٥)، وهذه الترجمة مأخوذة منه بتصرف.

كما كان الواسطة بين والده وبين الزعيمين المجاهدين الكبيرين أحمد الشريف السنوسي، ومحمد بن عبد الكريم الخطابي، وكان يبعث إليهما بالسلاح والعتاد وكتب والده في الحض على الجهاد، ونصائحه، وينشر أخبارهما في مختلف الجرائد المشرقية. واستمرت علاقته بهما إلى بعد وفاة والده، ثم بين أبنائه وأبنائهما.



المجاهدان الكبيران أحمد الشريف السنوسي، ومحمد بن عبد الكريم الخطابي

وكان للإمام الزمزمي الكتاني دور مهم في الحياة السياسية والدينية بسوريا، عن طريق إرشاداته لحكامها وقادتها، وإصلاحه بين الطوائف الإسلامية المتنازعة، خاصة فيما يعرف بفتنة التيجانيين بها، وكان له فضل وتوجيه وإرشاد مجموعة من علمائها ومصلحيها.

ونفس الدور قام به المترجم في زياراته المتكررة للهند، حيث كان في كل حل وترحال داعية إلى التمسك بعُرى الإسلام، ونبذ التعصب والتفرقة، ومحاربة الاحتلال الأجنبي، والدعوة إلى العلم والتعليم والإصلاح الديني والدنيوي.

أما عند استيطانه المغرب؛ فبالرغم من المضايقات العظيمة التي ووجه بها؛ فقد كان له دور في الإرشاد والإصلاح عن طريق دروسه العامة والخاصة، وعن طريق أبنائه وإخوانه الذين رباهم ووجههم فكانوا دعامات مهمة في الحركة الوطنية، وحركة الجهاد ضد المحتل الفرنسي.

وفي كل بلد حلها أو زارها الشيخ الزمزمي كان داعية للقضية الإسلامية، معرفاً بها في مختلف المحال والبلاد التي زارها، ومختلف الأوساط التي التقى بها، كاشفاً مخططات فرنسا وأذنابها من العلمانيين والإباحيين في المغرب، ومحرضاً على دعم المجاهدين الصادقين بالسلاح والمال والمؤونة.



واستمر الإمام الزمزمي في تلك الفترة في نشاطه الإصلاحي؛ عن طريق إعداده لعدة مشاريع تخدم خاصة الجانب العلمي، مستفيداً من تجاربه وخبرته ومعرفته بمختلف أساليب التدريس الناجعة، والخطط الإدارية الصائبة، ومثال ذلك: مشروعه لإصلاح التعليم بالقرويين، ومغربته، وإخراجه من الأزمة التي حل بها نتيجة سياسة «الإصلاح» الفرنسية التي فرضتها عليه.

وكان المترجم رحمه الله تعالى صوفياً صالحاً، عابداً ذاكراً.

ومن أهم ما يميز المترجم: تأريخه للعالم الإسلامي في القرن الرابع عشر، بحيث كتب مذكرات وكتابات حوت تاريخ العالم الإسلامي من الهند للمغرب، وأهم ما في تلك الفترة من أحداث دامية وثورات، وأحوال المجتمعات التي زارها، وعلاقاته بالحكام والزعماء والعلماء والصوفية الذين تعرف إليهم. وقد جمع تلك الكتابات حفيده والدي الدكتور علي بن المنتصر الكتاني رحمه الله في ثلاث مجلدات سماها: «حياتي»، أو: «عقد الزمرد والزبرجد في سيرة الابن والوالد والجد». وكان أحد الأفراد من مسندي المغرب؛ أخذ رواية ودراية وأسرار التصوف عن أكثر من مائة شيخ، ولم يقتصر على المراسلة، بل زاد بالزيارة وشد الرحلة، فانتفع بهم كما انتفعوا به.

وبالرغم من حياة الضيق التي واجهت المترجم أثناء مقامه بالمغرب، فقد تولى عدة مناصب علمية. منها: الإمامة والتدريس بعدة من مساجد وزوايا فاس؛ كزاوية والده بالصفاح، ومسجد الحوت، وزاوية سيدي أحمد الشاوي وبيته...وغيرها من المحال. كما كان عضواً بالمجلس العلمي بفاس الذي يتولى أمور الفتوى والإشراف على جامعة القرويين.

كما ترك عدة مؤلفات، منها: رحلتان للهند وديوبند، وترجمة حافلة لوالده الإمام محمد بن جعفر الكتاني، ومذكرات شخصية، ومجموعة المراسلات مع أعلام المشرق والمغرب وملوكهما، وديوان جمع فيه عيون القصائد في الأمداح النبوية، ورسالة في محنة الشيخ محمد بن عبد الكبير الكتاني الشهيد، وكناشة حافلة ملأها بمختلف الفوائد في جل الفنون، وغير ذلك.

تُوفي رحمه الله تعالى بدمشق فجأة، أثناء زيارته لها، يوم ٢٦ صفر الخير عام ١٣٧١، وشيع في جنازة حضرها عشرات الألوف من سائر طبقات المجتمع، ودفن بروضة الشرفاء الكتانيين بمقبرة الباب الصغير بها.

قال في محاضرة له بالهند سنة ١٣٥٣:

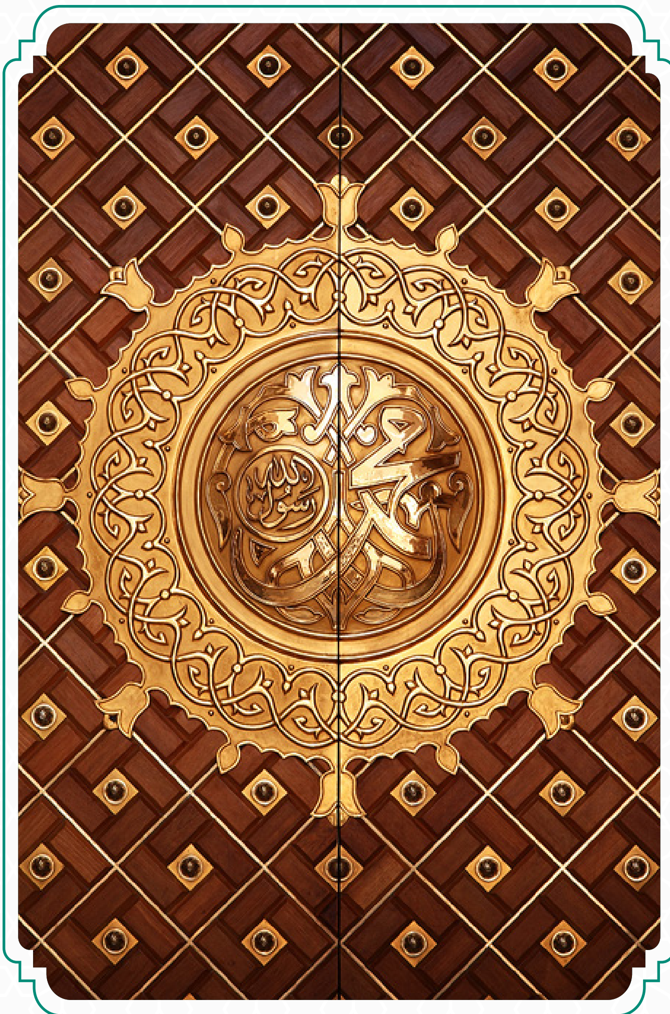
«فيا أمة المسلمين، ويا خير أمة أخرجت للعالمين، قال الله تعالى في كتابه العزيز، خطاباً لنبيه محمد ﷺ: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥]، وقال: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا﴾ [الحشر: ٧]، وقال: ﴿النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ﴾ [الأحزاب: ٦] ، وقرئ في الشواذ: «وهو أب لهم».

أفادت الآية الشريفة الأولى: أن مولانا العظيم، جل شأنه، أقسم بذاته العلية، وصفاته السنية، أن المؤمنين لا يتم إيمانهم، ولا يكمل إسلامهم ويقينهم، حتى يذعنوا لأحكام شريعته المطهرة أتم الإذعان، فيستسلموا لأوامره وأحكامه تمام الاستسلام، ظاهراً وباطناً، منشطاً ومكرهاً، في الرضى والغضب، وفي جميع الأحوال الشخصية وغيرها، في الأمور الدنيوية والأخروية. بحيث إذا حكمت الشريعة المحمدية على

شخص بشيء له أو عليه؛ فإنه ينفذه بتمام السرور والإحسان، وكمال المطاوعة والإذعان، مع اعتقاد أن العدل والحق والصواب محصور فيما جاء به عليه السلام من الشريعة والأوامر والنواهي، فإذا اتصف الإنسان بهذه الحالة؛ فإنه عند ذلك يسمى مسلماً كامل الإسلام والإيمان، وإلا، فلا!

والآية الثانية: أفادت وجوب الأخذ بأوامره عليه الصلاة والسلام مطلقاً، والكف عن نواهيه كذلك في جميع الحركات والسكنات، ما وافق من ذلك الطبع والهوى، وما لا.

والآية الثالثة: أفادت أن سيدنا محمداً رسول الله؛ هو أولى من أنفسنا وآبائنا وأمهاتنا، بل هو الأب الحقيقي، وأزواجه أمهاتنا الحقيقيات، وهو جنسنا ووطننا وعصبيتنا، ودينه ولسانه وكتابه، وجميع ما أتى به من عند الله هو دستورنا وقانوننا، ومعوَّلنا ومحل نظرنا، ونبذ جميع ما يخالف ذلك من الدساتير والقوانين، والجنسيات والعصبيات، كائناً من كان، سواء ما يخالف هوانا أو ما يوافقه، ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٨٢]».



رحمه الله رحمة واسعة وغفر له.

.. يُغنّي الحرف ..

محبوبة هارون

شاعرة

رأيتُ الحرفَ هام بلا حجابِ .. فكان الفتح من رب الكتّابِ
تفتحتْ الزهورُ لديه تترا .. وجاءته المعاني في انسيابِ
مُهللةً لأحمدَ في حبورٍ .. وفي زهو مزركشةَ الثيابِ
تُرفرف كالطيور على غديرٍ .. وكالغِيدِ الحسان على الروابي
هنيئا للحروف لها أريجٌ .. ونفحٌ بالسهول وبالهضابِ
من المحراب تُهدينا صلاةً .. وتسطع في الدجى مثل الشهابِ
تَشفُّ النفس تسمو في هواها .. فكم تاهت وعاشت في اضطرابِ
بذكرِ المصطفى تلقى مناها .. يُحطّم ذكرُهُ كلَّ الصعابِ
ليبعث حولها عذبَ الأماني .. فرحى بالأمانيّ العِذابِ
يغني الحرف بين يديه حبا .. فيأخذنا معاً فوق السحابِ
فكم تُهنا وتاه الدرب منا .. فعاد بروحنا بعد اغترابِ



إلى حيث الحبيب يذوب شوقا •• ويغبط من له حظ انتسابِ
يقول ترابُ طَيْبَة لي دواءٌ •• ودائي أن أغيبَ عن الترابِ
وحالُ العارفين كمثل هذا •• رقيق الحسِّ دوما في متابِ
تَرى ثوب الحياء قد احتواه •• وعطَّر لفظُه كل الرحابِ
فيدعو الله يغمره بنورٍ •• يمنُّ عليه يوما باقترابِ
وحب رسولنا يلقاه بابا •• يُبلِّغه المنى دون ارتيابِ
فصحبة أحمدٍ تبقى مناه •• لعل الصبِّ يحظى باصطحابِ
وحوض المصطفى للصب عيدٌ •• إذ الرحمن يأذن بالشرابِ
يقول رسولنا بالأهل يُفدَى •• فنعم القولُ ذا فصلُ الخطابِ
عليك صلاتنا لله قربى •• يردِد في الذهابِ و في الإيابِ
يرى الدنيا وان طالت كدارٍ •• يمر المرءُ من باب لبابِ
فطوبى من شَرَى لله نفسًا •• فذاك الفوز ذا عين الصوابِ
جزى الله المحبَّ نعيم قربٍ •• وبيضَ وجهه يوم الحسابِ

مساحة إعلانية

سلسلة السيرة النبوية

الشيخ د. محمد الصغير

الأمين العام للهيئة العالمية لنصرة نبي الإسلام ﷺ

استعراض لوقائع السيرة النبوية التي نحتاجها في واقعنا المعاصر

- من نبعته إلى بعثته ﷺ
- من بعثته إلى هجرته ﷺ
- من هجرته إلى وفاته ﷺ
- الغزوات النبوية

سلسلة السيرة النبوية الفرنسية

محمد إلهامي

عضو الأمانة العامة للهيئة العالمية لنصرة نبي الإسلام ﷺ

استعراض لسيرة النبي ﷺ من خلال دراسات ومؤلفات المستشرقين والمؤرخين الفرنسيين، تحقيقا لقوله تعالى ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا﴾

- السيرة النبوية الفرنسية

مساحة إعلانية

سلسلة شرح كتاب الشفا بتعريف حقوق المصطفى



الشيخ د. عبد الحي يوسف

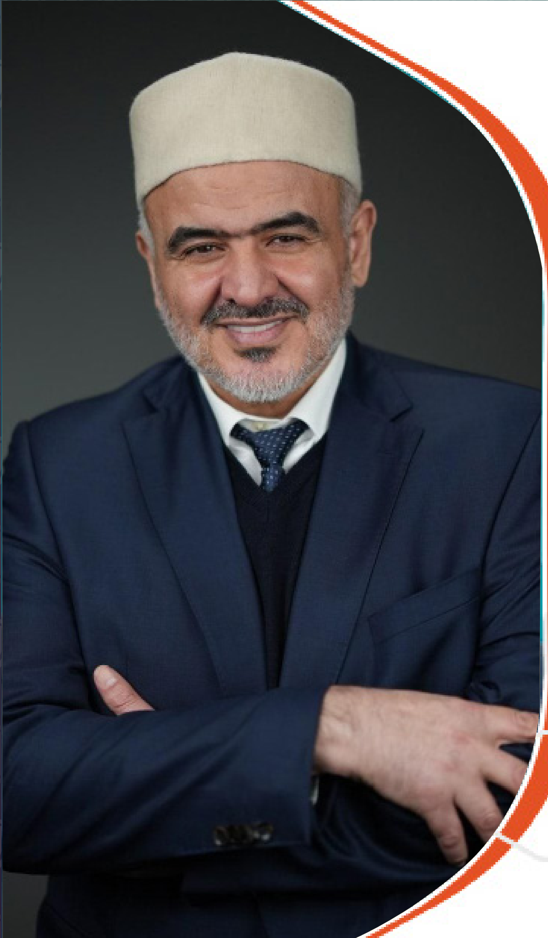
عضو مجلس أمناء
الهيئة العالمية لنصرة نبي الإسلام ﷺ

وقفات مع الكتاب الأفخر الأشهر للقاضي عياض، للتعريف بحقوق النبي ﷺ والواجب على أمته نحوه.



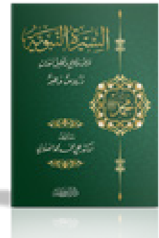
سلسلة شرح كتاب الشفا

كتاب السيرة النبوية بعدة لغات



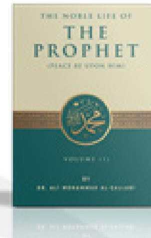
الشيخ د. علي محمد الصلابي

المؤرخ الإسلامي



١ ٢





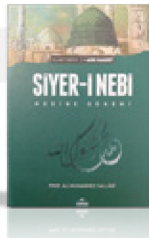
١ ٢ ٣





١ ٢





١ ٢



مساحة إعلانية

أئمة الهدى

﴿قَدْ أَبْلَغُواْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّهِمْ﴾

من تراث علمائنا الراحلين

عادة الاحتفال

بليلة النصف من شعبان



الإمام الأكبر الشيخ: محمود شلتوت

شيخ الأزهر رحمه الله*



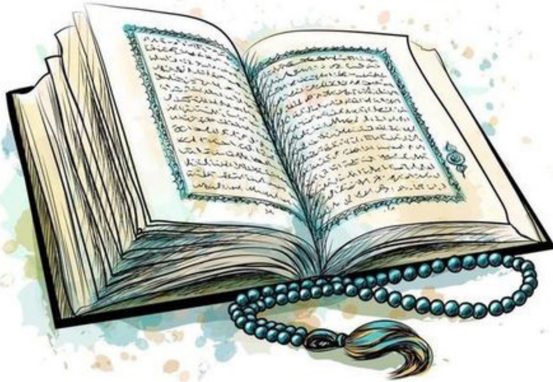
جرت عادة المسلمين في عهودهم الأخيرة أن يحتفلوا بليلة النصف من شعبان احتفالاً دينياً، نرى مظهره في المساجد وفي البيوت. ففي المساجد يجتمعون عقب صلاة المغرب، ويصلون صلاة خاصة تعرف باسم صلاة النصف من شعبان، ثم يقرءون بصوت مرتفع سورة معينة هي سورة «يس»، ثم يبتهلون كذلك بدعاء يعرف بدعاء «ليلة النصف»، ويكررون ذلك ثلاث مرات، أولاها بنية طول العمر، والثانية بنية رفع البلاء، والثالثة بنية الغنى.

---

* د. محمود شلتوت، من توجيهات الإسلام، ط٨ (القاهرة: دار الشروق، ٢٠٠٤م)، ص٣٨٣ وما بعدها.

أما في البيوت فهم يهتمون اهتماماً خاصاً بتهيئة طعام يجتمع عليه جميع أفراد الأسرة بعد صلاة العشاء.

ويعتقد العامة وأشباههم أن الاحتفال هكذا يستند إلى أصل ديني من كتاب الله أو سنة الرسول، كما يعتقدون أن التخلف عن احتفال المساجد أو عن حضور العشاء مع الأسرة نذير سوء بقصر العمر، وكثرة البلاء، والحاجة إلى الناس. وقد كان من أثر هذا الاحتفال أن بعض تجار الكتب ينتهزون فرصة النصف من شعبان فيطبعون سورة يس مع الدعاء وتوزعها الصبية في الشوارع، وملتقى الطرقات والترام، منادين: «سورة يس ودعاها بخمسة مليمات».



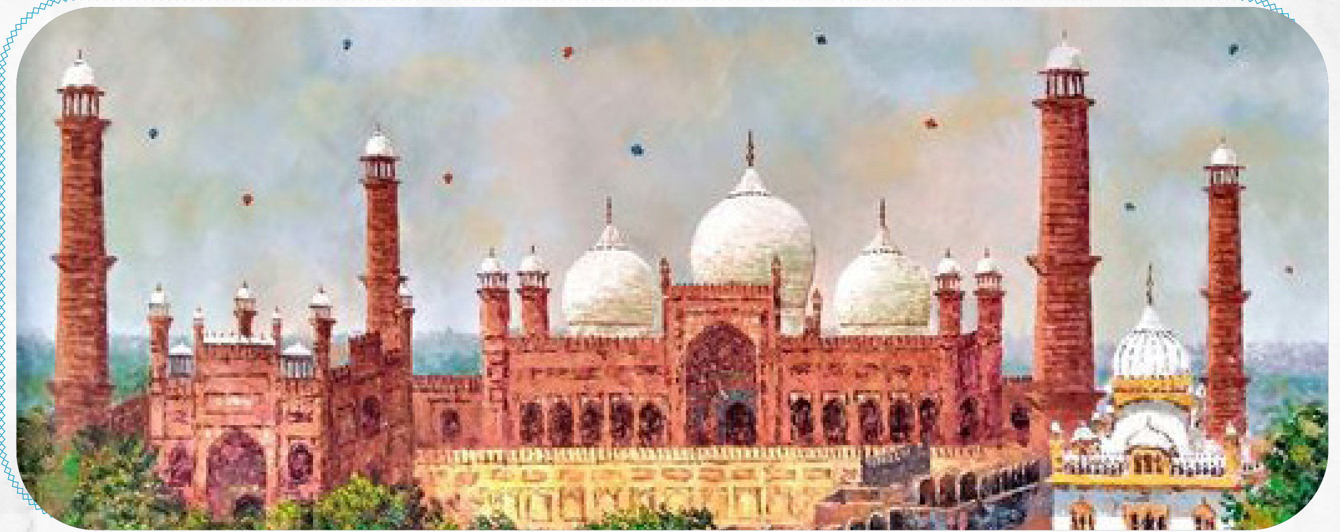
الاحتفال الديني لا بد له من أصل شرعي

إن إقامة الاحتفال باسم الدين لابد أن يكون مبنياً على أساس صحيح من الدين، وذلك كما في الاحتفال بصلاة الجمعة والعيدين، والوقوف بعرفة. فإذا لم يكن للدين فيه أمر ولا ترغيب، كانت إقامته باسم الدين، وإفراغ صبغة الدين عليه من الصلاة والقراءة والدعاء، افتراءً على الدين وتشريعاً بالهوى فيما يعمل باسم العبادة والتقرب إلى الله، وهذا باب يهيئ فتحه الناس وجوهاً كثيرة من صور الابتداع في الدين. والابتداع في الدين من شر ما يصاب به الدين، فبه يدخل في الدين ما ليس منه، ويخرج منه ما هو منه، وعن هذا الطريق ينتشر الدين بين الناس بصورة تبعد قليلاً أو كثيراً عن حقيقته التي رسمها الله وتعبد الناس بها، والتزمها في العمل رسوله وأصحابه من بعده. وقد تغمره صور الابتداع بالسكوت عن إنكارها، تساهلاً أو مجاملة للعامة وأشباههم فيما

تهوى نفوسهم، واعتادوا عليه؛ وبذلك تطمس معالم الدين الأولى، ويلحقها التغيير والتحريف، ويتقرب الناس إلى الله بما لم يشرعه الله قربة إليه، ومن هنا تنسى الشرائع، وتضل العقول.

الاحتفالات العائلية والقومية

"نعم، إن للناس أن يقيموا ما شاءوا من الاحتفالات الإنسانية التي يظهرون بها سرورهم بنعم الله الخاصة بهم، كزواج أو ميلاد، أو قدوم غائب، ولهم أن يقيموها ذكريات لحوادث تاريخية كان لها في حياة أمتهم أثر ينبغي أن يذكر ولا ينسى، وقد يكون من ذلك فيما رأى الاحتفال بحادث الهجرة، وبغزوة بدر، وفتح مكة، وقد يكون منه الاحتفال بإعلان الحكم الشورى وإنقاذ البلاد من الحاكم المستبد."



ليلة النصف

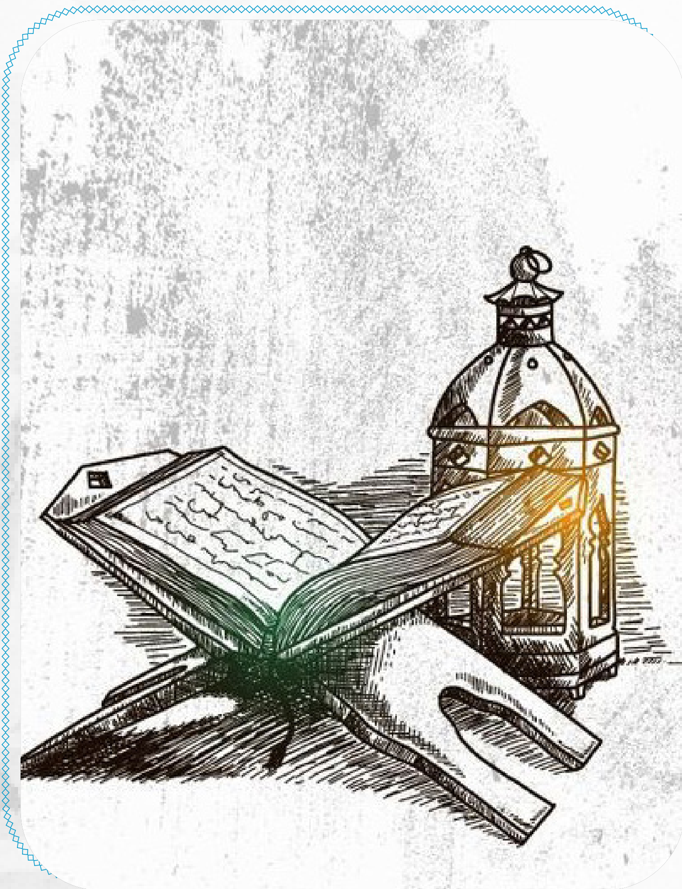
للناس أن يقيموا هذه وتلك باسم العائلة، أو القومية، لا باسم الدين، يتخذ له مظهر ديني: تخصص له صلاة معينة، ودعوات معينة، وقراءات معينة من أيام معينة، في أشهر معينة، في حين أنه لم يرد شيء عنها في الدين كما في الشأن فيما اعتادوه ليلة النصف من شعبان. وإن ذلكم هو الابتداع في الدين الذي حذرنا الرسول إياه، وأنذرنا سوء عاقبته.

صلاتها ودعاؤها المتعارف مبتدعان

فليلة النصف لم يصح في صلاتها حديث، والاجتماع لإحيائها في المساجد وغيرها لم يفعله النبي ﷺ وأصحابه. وحديث النزول فيها إلى السماء الدنيا راويه ضاع. ودعاؤها الذي يتلقنه الناس بعضهم من بعض، ويحفظه متعلمهم وجاهلهم، على خلل في التلقين، دعاء يحتوي على أمرين كلاهما يؤدي إلى تفسير القرآن بما لا يشهد بصحته نقل ولا عقل:

أحدهما: إن فيه طلب الناس من الله محو ما كتبه في أم الكتاب من الشقاة وتبديلها سعادة، ومن الحرمان وتبديله عطاء، ومن الاقتار وتبديله غنى، ويسندون ذلك إلى أن الله قال في كتابه: ﴿يَمۡحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثۡبِتُۖ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ [الرعد: ٣٩].

وسياق هذه الآية يرشد بوضوح إلى أن المقصود منها الرد على من أنكر على النبي ﷺ أن شريعته تغير أحكاماً وردت في الشرائع السابقة، فهو يقول لهم: إن محو الشرائع وإثباتها تبع لمشيئة الله وعلمه بما فيه مصلحة عباده، فهو يمحو من الشرائع السابقة ما لا يتفق و استعداد الأمم اللاحقة «وعنده أم الكتاب» والمراد بها: إما العلم الإلهي الذي يبنى عليه المحو والتبديل، وإما أصول الأديان التي لا تختلف باختلاف الأمم، ولا ينالها محو ولا تبديل.



وعلى كل، فأم الكتاب في الآية لا محو فيها ولا تبديل. والآية لا علاقة لها بالأحداث الكونية، عامة كانت أم خاصة. والدعاء المعروف يصرف الآية إلى تلك الأحداث، وهو صريح في طلب المحو والتبديل فيما كتب في أم الكتاب وهو خطأ ديني واضح.

أما الأمر الثاني: من الأمرين اللذين اشتمل عليهما هذا الدعاء - فهو أنه يصف ليلة النصف بأنها الليلة التي يفرق فيها كل أمر حكيم، وقد جاء هذا الوصف لليلة التي أنزل الله فيها القرآن: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾ [الدخان: ٣،٤].



وقد لعبت الروايات في هذا المقام دوراً مهماً، وبحكم هذا الدور قيل: إن الليلة المباركة هي ليلة النصف التي تقدر فيها الأعمار، والأرزاق، وسائر الأحداث الكونية، وامتد الكلام إلى الفرق بين التقدير الذي يحصل في ليلة النصف، والتقدير الذي يحصل في ليلة القدر بما يعتقد كل مؤمن أنه هجوم على غيب استأثر الله بعلمه.

والصواب كما قال المحققون من العلماء السابقين واللاحقين: أن الليلة المباركة هي ليلة القدر المذكورة بقوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ﴾ [القدر: ١]

فالليلة التي أنزل فيها القرآن وصفها الله بأنها ليلة مباركة، فيها يفرق ويفصل كل أمر حكيم، وسماها ليلة القدر، تنزل فيها الملائكة والروح بإذن ربهم من كل أمر. وجاء في سورة البقرة إن شهر تلك الليلة هو رمضان.

﴿شَهۡرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ هُدٗى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٖ مِّنَ ٱلۡهُدَىٰ وَٱلۡفُرۡقَانِۚ﴾ [البقرة: ١٨٥].

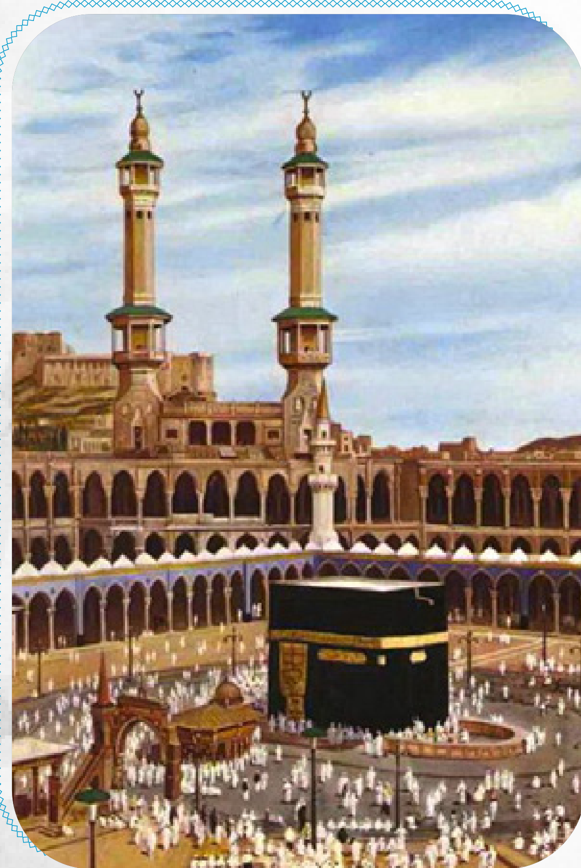
وبذلك تلاقت الآيات، وشد بعضها أزر بعض، واتفقت في بيان الزمن الذي بدئ فيه بنزول القرآن، وفي بيان فائدة القرآن للناس من شرح الأحكام والهدى إلى دين الله.

فأين ذلك الذي يحتويه الدعاء من هذه الحقيقة القرآنية الواضحة ؟ إذن، هو دعاء باطل، ويجب على المسلمين أن يتركوه، وأن يتجه من أراد الدعاء منفردًا إلى ربه بالأدعية المأثورة الصحيحة، أو التي لا تتعارض مع القرآن ولا أحكامه، في أي وقت، وفي أي مكان.

"نعم، صحت الأحاديث بفضل شهر شعبان كله، لا فرق بين ليلة وليلة، وطلب الإكثار فيه من الصوم، تهيئة لاستقبال رمضان، ومن ذلك قول النبي ﷺ، وقد سئل: «أي الصوم أفضل بعد رمضان؟» فقال: «شعبان لتعظيم رمضان» وتعظيم رمضان يكون بحسن استقباله، وعدم التبرم من صومه."

الاحتفال بليلة النصف احتفالاً قومياً

وإذا كان للناس أن يحتفلوا بليلة النصف من شعبان، فلهم أن يحتفلوا بها احتفالاً قومياً تاريخياً على ما ذهب إليه أكثر المؤرخين من أنها الليلة التي وجه المسلمون فيها من بيت المقدس إلى الكعبة. وبهذا التوجيه كل ربط قلوب المسلمين بأماكن الله المقدسة: بيت المقدس وإقليمه، والكعبة وإقليمها. وفي هذا الربط إيحاء روحي بالمحافظة على تلك الأماكن المقدسة، وبالتضحية في سبيل تطهيرها من عبادة غير الله، ومن سلطان غير المسلمين.



وقد عرض القرآن الكريم لحادث تحويل القبلة عن بيت المقدس إلى الكعبة، وأعد النفوس له ولما يقول فيه الخصوم قبل وقوعه، وبين لهم حكمته وهدفه، وأنحى على الذين اتخذوه سبيلاً للطعن في رسالة محمد ﷺ، والذين تزعزعوا في إيمانهم بسببه، وكان في كل ذلك إيحاء بأن شأن المؤمنين المبادرة إلى امتثال ما يؤمرون به، غير مكترثين بما يثيره الأعداء حول شرائعهم وأحكام دينهم. واقرأ في هذا الحادث قوله تعالى: ﴿سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾ .. إلى قوله ﴿وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ [البقرة: ١٤٢- ١٥٠].

تحويل القبلة مرحلة جديدة في تاريخ الإسلام

"إن حادث تحويل القبلة بدء مرحلة جديدة في تاريخ الإسلام، فيها تكتّل العرب، وآمنوا بوعد الله لهم، فعقدوا الخناصر على التضحية بالنفس والمال في سبيل إنقاذ البشرية من براثن الشرك وقوى الطغيان، وتطهير الأماكن المقدسة من الأصنام والأوثان، ونشر ألوية العدل والسلام على ربوع العالم. وقد تم ما أراد الله من ذلك على أيديهم، فجاءهم نصر الله والفتح ودخل الناس في دين الله أفواجاً، وتمتعوا بجمال العدل والحرية والمساواة."

فعلى المسلمين أن يتنبهوا إلى هذا الإيحاء، ويتكتلوا في سبيل المحافظة عليها، كما تكتل أسلافهم من قبل، وطهروا بيت المقدس، كما طهروا الكعبة، فليشدوا إليها الرحال وليحافظوا على المجد والتراث.

والله ولي التوفيق والهداية.

مظاهر البركة في فلسطين



د. صلاح الخالدي

رحمه الله*

إذا استعرضنا ما جاء في القرآن الكريم حول الأرض المباركة، سنرى أن الله سبحانه قد بارك المسجد الأقصى وما حول المسجد الأقصى، وامتدت هذه البركة الربانية لتشمل البقعة الإسلامية الواقعة بين النهرين، الفرات والنيل.

لقد مرت «البركة» الربانية للأرض المباركة بعدة مراحل، أشارت آيات القرآن إلى ست مراحل تاريخية منها، حاولنا ترتيبها تاريخياً أثناء وقفتنا مع الآيات الست التي تحدثت عنها.

---

* د. صلاح الخالدي، حقائق قرآنية حول القضية الفلسطينية، ط: منشورات فلسطين المسلمة، ط٢، لندن، ١٩٩٥م، ص٣٦-٤٠.

١ هجرة إبراهيم ولوط عليهما السلام إلى الأرض المباركة، قادمَين من العراق، كما أشارت آية سورة الأنبياء: ﴿وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: ٧١]

٢ البركة التي جعلها على إبراهيم وابنه إسحاق، عليهما وذريتهما الصالحة عندما أقاما في الأرض المباركة، كما أشارت آية سورة الصافات: ﴿وَبَارَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَى إِسْحَاقَ﴾ [الصافات: ١١٣]

٣ توريث الله لبني إسرائيل المؤمنين هذه الأرض المباركة، زمن موسى عليه السلام كما أشارت آية سورة الأعراف: ﴿وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا﴾ [الأعراف: ١٣٧]

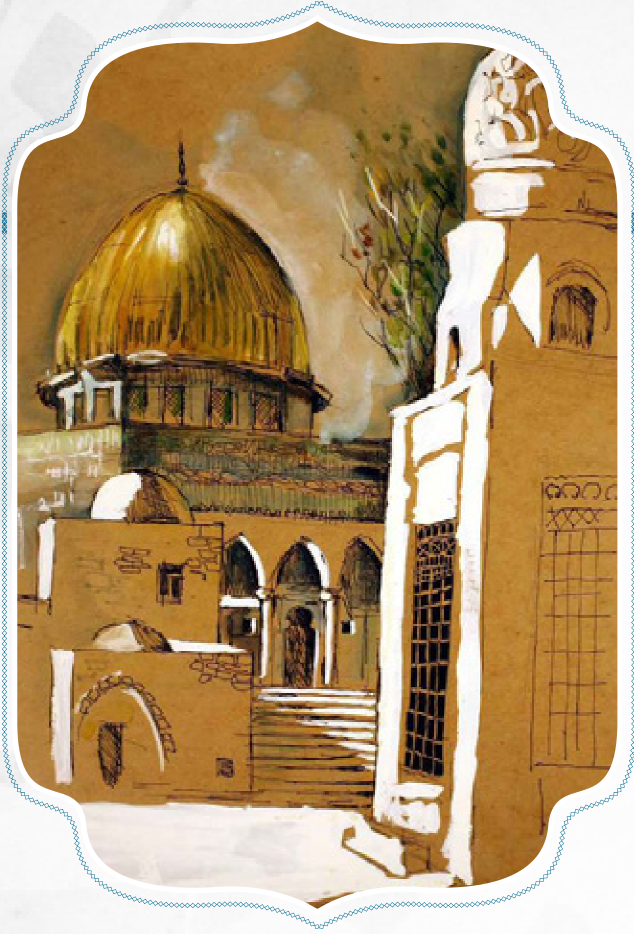
٤ حكم سليمان عليه السلام لهذه الأرض المباركة، وانتشار الخير والنماء فيها، كما أشارت آية سورة الأنبياء: ﴿وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا﴾ [الأنبياء: ٨١]

٥ انتشار القرى الظاهرة العامرة بين هذه الأرض المباركة وبين اليمن، أثناء حكم سليمان عليه السلام، مظهر من مظاهر الحكم بشرع الله، كما أشارت آية سورة سبأ: ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً﴾ [سبأ: ١٨]

٦ انتهاء هذه الأرض المباركة للأمة المسلمة، واستقرارها لها، ووراثة الأمة لحكمها، بعد هذه الجولة التاريخية الطويلة، وبقاؤها فيها حتى قيام الساعة باستثناء فترات تاريخية قصيرة؛ كما أشارت آية سورة الإسراء.

دلالات ولطائف من الآيات

وعندما ننظر في الآيات السابقة فإننا نستخلص منها بعض الدلالات والإشارات واللطائف والإيحاءات، منها:



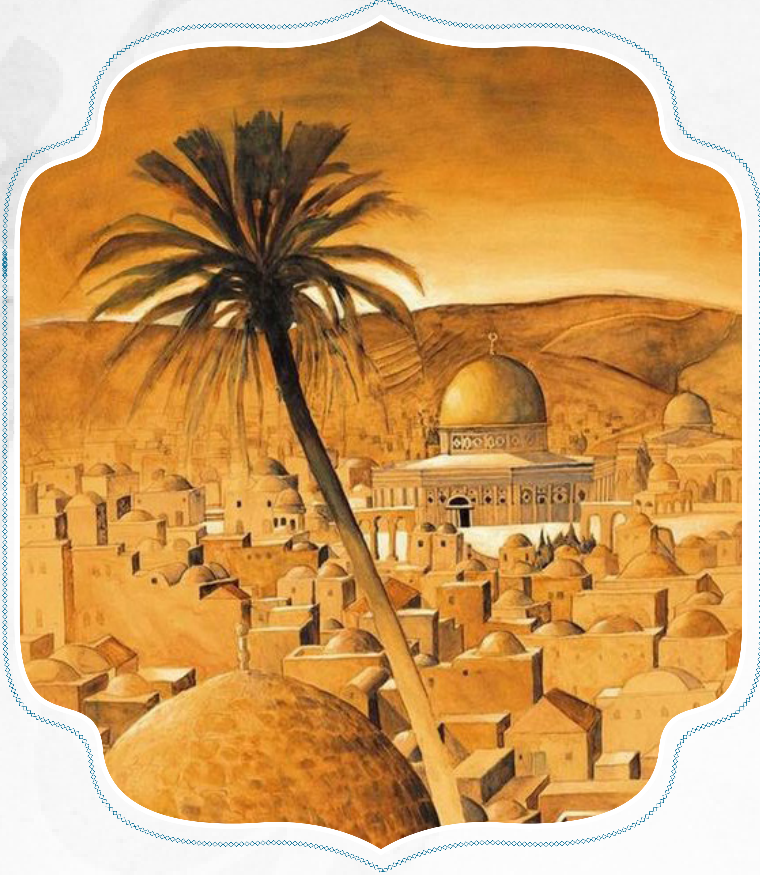
١ أن فعل «باركنا» في الآيات الست كلها، مسند إلى الله سبحانه، أي أن الذي بارك هذه الأرض المباركة هو الله.

٢ أن فعل «باركنا» في الآيات الست، مطلق غير مقيد، ولا محدد بزمن أو نوع، وهذا يدل على أن البركة الربانية لهذه الأرض المباركة مطلقة غير محددة ولا مقيدة، وهي شاملة لكل أنواع البركة. ومن مظاهر هذه البركة الربانية: البركة الإيمانية، والبركة الأخلاقية، والبركة التاريخية، والبركة السياسية، والبركة الاقتصادية، والبركة الاجتماعية، والبركة الجهادية، والبركة الحضارية، والبركة المستقبلية... وغير ذلك.

٣ التعبير عن البركة الربانية بالفعل الماضي «باركنا»، يدل على ثبوت واستقرار البركة الربانية لهذه الأرض، لأن الفعل الماضي يفيد الثبات والاستقرار؛ فالله سبحانه قد شاء استقرار البركة في هذه الأرض وجعلها ثابتة فيها؛ ولهذا ستبقى هذه البركة الشاملة مستقرة فيها، على اختلاف فترات التاريخ، ولن ينجح الأعداء في انتزاعها وتفريغها منها، مهما بذلوا من جهود في ذلك. وستبقى لها هذه البركة حتى قيام الساعة.

> لن يزيل بركة الأرض المباركة فترات خاصة قصيرة من التاريخ، يأذن الله فيها بسيطرة كفار على هذه الأرض وحكمهم لها، ثم يأذن بدحرهم عنها، كما حصل للصليبيين في الماضي، وكما يحصل لليهود الآن، فإن بركة الأرض في هذه المرحلة تكون في إحياء الإيمان في قلوب المسلمين، وإيقاظ روح الجهاد والتحدي فيهم، وتجميعهم على الجهاد لدحر الكفار وطردهم، وهذه بركة جهادية ملحوظة.

بركة مكان وزمان وإنسان



٤ البركة المذكورة في الآيات الست أحياناً تكون للأرض المباركة فلسطين، حيث ذكرت «باركنا» فيها أربع مرات، وأحياناً تكون لمن يسكن هذه الأرض المباركة من الأنبياء والصالحين، وعندها تكون البركة على ذلك الساكن، كما قال الله عن إبراهيم وابنه عليهما السلام: ﴿وَبَٰرَكۡنَا عَلَيۡهِ وَعَلَىٰٓ إِسۡحَٰقَ﴾ [الصافات ١١٢-١١٣].

و﴿بَٰرَكۡنَا حَوۡلَهُۥ﴾ يفيد أن البركة تتوسع وتشع في دوائر حول المسجد الأقصى، وتتعدد هذه الدوائر وتكبر، فنواة البركة ومحورها هو المسجد الأقصى وبيت المقدس، ودوائر هذه البركة متلاحقة لتشمل كل الأرض المباركة، الواقعة ما بين الفرات والنيل.

"وهذا معناه أن البركة الربانية للأرض أولاً «باركنا» ثم لساكن هذه الأرض ثانياً «باركنا عليه»، ثم للأماكن حول هذه الأرض «باركنا حوله» أي هي بركة مكان وبركة زمان وبركة إنسان."

بركة الإنسان مقيدة بالإيمان

٥ إذا كانت بركة الزمان والمكان مطلقة من خلال الآيات، فإن بركة الإنسان المقيم في هذه الأرض ليست مطلقة، بل تبين الآيات أن بركة الإنسان مقيدة بقيود، ومشروطة بشروط:

فبركة الله على إبراهيم وإسحاق عليهما السلام الساكنين في هذه الأرض لأنهما نبيان كريمان عليهما الصلاة والسلام، ولما تكلمت الآيات عن ذريتهما، قسمتها إلى قسمين: ﴿وَبَٰرَكۡنَا عَلَيۡهِ وَعَلَىٰٓ إِسۡحَٰقَۚ وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحۡسِنٞ وَظَالِمٞ لِّنَفۡسِهِۦ مُبِينٞ﴾ [الصافات: ١١٣]

فنسلهما المؤمن المحسن مبارك، هم المؤمنون الصالحون من بني إسرائيل في التاريخ القديم، وهم أنبياؤهم كموسى وهارون وداود وسليمان عليهم الصلاة والسلام، وأتباعهم من المؤمنين الصالحين.

ونسلهما الظالم لنفسه المبين، غير مبارك، وهم الأجيال السيئة من اليهود والأحفاد الكافرون، الذين طغوا وبغوا وظلموا، فنزع الله عنهم بركته وأوقع بهم لعنته. ولما كانوا مقيمين في الأرض المباركة أخرجهم منها، وشتتهم في بقاع الدنيا.

هي بركة للعالمين

٦ تخبرنا الآيات أن البركة الربانية في الأرض المباركة، ليست إقليمية ولا عنصرية ولا طائفية، فليست لقوم أو مجموعة أو أمة، وإنما جعلها الله عامة للعالمين: ﴿... إِلَى ٱلۡأَرۡضِ ٱلَّتِي بَٰرَكۡنَا فِيهَا لِلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء: ٧١] والعالمون هم الناس جميعاً، على اختلاف الزمان والمكان، في أي بقعة من بقاع الأرض.



وكون البركة في الأرض المباركة للعالمين رد قرآني واضح على دعاوى اليهود العنصرية، في أن الله جعل هذه الأرض المباركة لهم وحدهم منذ إبراهيم الخليل عليه السلام وحتى قيام الساعة! كما تذكر نصوص التوراة المحرفة أن الله قال لإبراهيم عليه السلام: هذه الأرض لك ولبنيك حتى قيام الساعة.

كما أن هذا البيان القرآني: ﴿بَٰرَكۡنَا فِيهَا لِلۡعَٰلَمِينَ﴾ رد على دعاوى أصحاب النظرة الضيقة المتعصبة من الفلسطينيين الذين ينظرون إلى الأرض المباركة نظرة إقليمية، فيجعلونها قضية فلسطينية محضة ولا شأن للآخرين بها، ومَن يوسّع منهم أفقه يجعلها نظرة قومية عربية ضيقة أيضاً تهم العرب وحدهم.



إن فلسطين قضية إسلامية عالمية تهم كل مسلم أينما كان، ويعتبرها قضيته الأولى وشغله الشاغل؛ لأنها مرتبطة بالعقيدة الإسلامية، التي هي واحدة عند كل مسلم أينما كان.

هذه ست دلالات ولطائف من الآيات الست التي تحدثتْ عن البركة الربانية في هذه الأرض المباركة، وهناك دلالات ولطائف وإيحاءات أخرى تشملها هذه الآيات، نترك للقراء المتدبرين الكرام تدبرها وملاحظتها، ليتدبروا معنا آيات كتاب الله الكريم.

﴿قُل لِّلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ﴾



العلامة محمد صديق خان القِنَّوجي

رحمه الله

﴿سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِى كَانُواْ عَلَيْهَا ۚ قُل لِّلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [البقرة: ١٤٢]

﴿سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ﴾ هذا إخبار من الله سبحانه لنبيه ﷺ وللمؤمنين بأن السفهاء من اليهود والمشركين والمنافقين سيقولون هذه المقالة، قيل إن «سيقول» بمعنى قال، وإنما عبر عن الماضي بلفظ المستقبل للدلالة على استدامته والاستمرار عليه، وقيل إن الإخبار بهذا الخبر كان قبل التحول إلى الكعبة، وإن فائدة ذلك أن الإخبار بالمكروه إذا وقع قبل وقوعه كان فيه تهويناً لصدمته وتخفيفاً لروعته، وكسراً لسَورته. والسفهاء جمع سفيه، وهو الكذاب البهات المتعمد خلاف ما يعلم، كذا قال بعض أهل اللغة، وقال في (الكشاف) هم خفاف الأحلام، ومثله في (القاموس). وقد تقدَّم في تفسير قوله ﴿إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُ﴾ ما ينبغي الرجوع إليه.

---

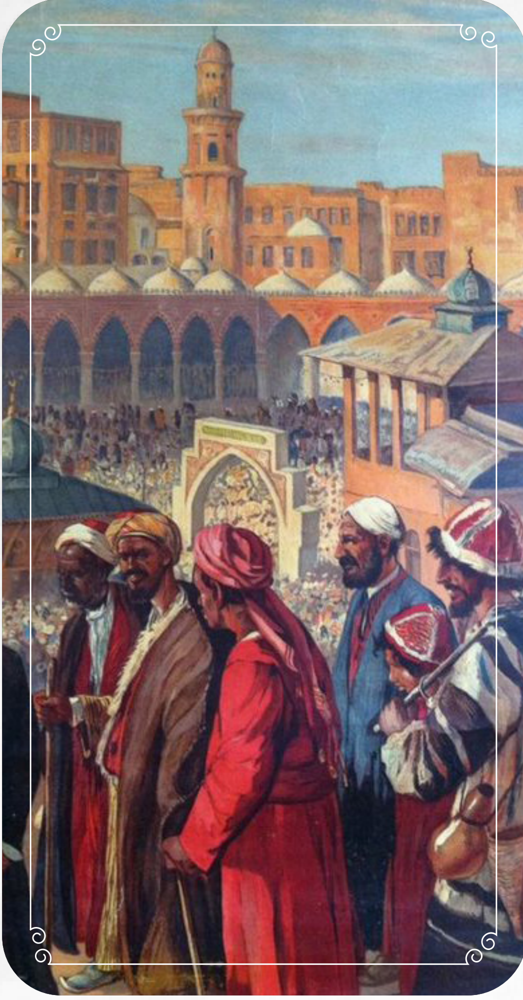
* محمد صديق خان القِنَّوجي، فتحُ البيان في مقاصد القرآن، العصرية للطباعة والنشر، بيروت، ١٤١٢هـ، (٢٩٧/١ وما بعدها).



قيل نزلت هذه الآية في اليهود، وذلك أنهم طعنوا في تحويل القبلة عن بيت المقدس إلى الكعبة لأنهم لا يرون النَّسخ، وقيل نزلت في مشركي مكة، وذلك أنهم قالوا: قد تردد على محمد ﷺ أمره واشتاق مولده وقد توجه نحو بلدكم فلعله يرجع إلى دينكم. وقيل نزلت في المنافقين وإنما قالوا ذلك استهزاء بالإسلام، وقيل يحتمل أن لفظ «السفهاء» للعموم فيدخل فيه جميع الكفار والمنافقين واليهود، ويحتمل وقوع هذا الكلام من كلهم إذ لا فائدة في التخصيص، ولأن الأعداء يبالغون في الطعن والقدح فإذا وجدوا مقالاً قالوا ومجالاً جالوا، والإتيان بالسين الدالة على الاستقبال من الإخبار بالغيب، وعليه أكثر المفسرين، وحكمته أنهم كما قالوا ذلك في الماضي منهم أيضاً مَن يقوله في المستقبل كما قال البيضاوي تبعاً (للكشاف).

«ما ولّاهم» أي ما صرفهم «عن قبلتهم» وهي بيت المقدس "التي كانوا عليها» أي ثابتين مستمرين على التوجه إليها ومراعاتها واعتقاد حقيتها، والقِبلة هي الجهة التي يستقبلها الإنسان، وإنما سميت قبلة لأن المصلي يقابلها وتقابله، ولما قال السفهاء ذلك رد الله عليهم بقوله ﴿قل لله المشرق والمغرب﴾ فله أن يأمر بالتوجه إلى أي جهة شاء لا يختص به مكان دون مكان لخاصة ذاتية تمنع إقامة غيره مقامه، وإنما العبرة بارتسام أمره أي امتثاله لا بخصوص المكان، وتخصيص هاتين الجهتين بالذكر لمزيد ظهورهما حيث كان أحدهما مطالع الأنوار والإصباح، والآخر مغربها، ولكثرة توجه الناس إليهما لتحقيق الأوقات لتحصيل المقاصد والمهمات. ذكره الكرخي.

﴿يَهدي مَن يشاء﴾ مِن عباده، إشعار بأن تحويل القبلة إلى الكعبة من الهداية للنبي ﷺ ولأهل ملته. ﴿إلى صراط مستقيم﴾ يعني إلى جهة الكعبة وهي قبلة إبراهيم عليه السلام.



وقد أخرج البخاري ومسلم وغيرهما عن البراء، أن النبي ﷺ كان أول ما نزل المدينة نزل على أخواله من الأنصار، وأنه صلى إلى بيت المقدس ستة عشر أو سبعة عشر شهراً، وكان يعجبه أن تكون قبلته قِبل البيت وأن أول صلاة صلاها العصر، وصلى معه قوم فخرج رجل ممن كان صلى معه فمرّ على أهل المسجد وهم راكعون فقال: أشهد بالله لقد صليت مع النبي ﷺ قِبل الكعبة. فداروا قِبل البيت كما هم، وكانت اليهود قد أعجبهم إذ كان يصلي قِبل بيت القدس وأهل الكتاب، فلما ولّى وجهه قبل البيت أنكروا ذلك وكان الذي مات على القبلة قبل أن تُحوَّل قِبل البيت رجال وقُتلوا فلم نَدرِ ما نقول فيهم، فأنزل الله: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَـٰنَكُمْ...﴾ [البقرة: ١٤٣].

وله طُرُق أُخَر وألفاظ متقاربة.

وعن ابن عباس قال: «إن أول ما نُسخ في القرآن القِبلة». وعنه أن النبي ﷺ كان يصلي بمكة نحو بيت المقدس والكعبة بين يديه وبعدما تحول إلى المدينة ستة عشر شهراً ثم صرفه الله إلى الكعبة.

وفي الباب أحاديث كثيرة بمضمون ما تَقدَّم، وكذلك وردت أحاديث في الوقت الذي نزل فيه استقبال القبلة وفي كيفية استدارة المصلين لما بلغهم ذلك، وقد كانوا في الصلاة فلا نطول بذكرها، فيه الرد على من أنكر النَّسخ ودلالة على جواز نَسخ السُّنة بالقرآن؛ لأن استقبال بيت المقدس كان ثابتاً بالسنة الفعلية لا بالقرآن...

﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ۗ وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ۚ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [البقرة: ١٤٣]

﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ﴾ المراد بهذه القبلة هي بيت المقدس، ويؤيد هذا قوله ﴿كُنتَ عَلَيْهَآ﴾ إذ كان نزول هذه الآية بعد صرف القبلة إلى الكعبة، وقيل المراد الكعبة أي القبلة التي أنت عليها الآن بعد أن كانت إلى بيت المقدس، ويكون «كنت» بمعنى الحال، وقيل المراد بذلك القبلة التي كان عليها قبل استقبال بيت المقدس، فإنه كان يستقبل في مكة الكعبة ثم لما هاجر توجه إلى بيت المقدس تألفاً لليهود ثم صُرف إلى الكعبة، وفيه أعاريب خمسة أحسنها ما ذكرناه.

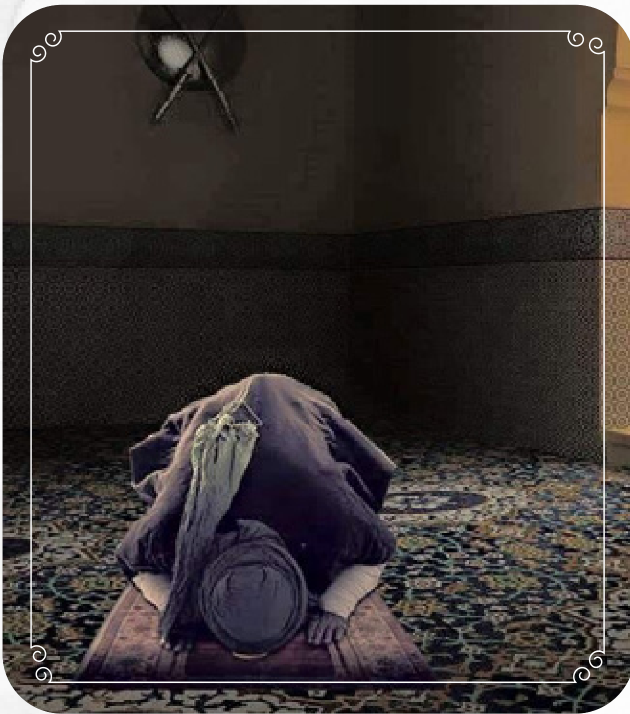
﴿إِلَّا لِنَعْلَمَ﴾ استثناء مفرغ من أعم العلل ﴿مَن يَتَّبِعُ الرَّسولَ﴾ في التوجه إلى ما أمر به من القبلة أو الدين، والالتفات إلى الغيبة مع إيراده ﷺ بعنوان الرسالة للإشعار بعلة الاتباع ﴿ممن ينقلب على عقبيه﴾ أي يرجع إلى الكفر، وقد ارتد لذلك جماعة، والمعنى ما جعلناها إلا لنبتليهم، يعني من يسلم لأمره ممن يرجع إلى ما كان عليه من الكفر فيرتد، قال ابن عباس: لنميز أهل اليقين من أهل الشك.

قيل المراد العلم هنا الرؤية، وقيل ليعلم النبي، وقيل المراد لنعلم ذلك موجوداً حاصلاً، وهكذا ما ورد معللاً بعلم الله سبحانه لا بد أن يؤول بمثل هذا كقوله: ﴿وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَآءَ﴾ [آل عمران: ١٤٠]



﴿وإنْ كانتْ لكبيرة﴾ أي ما كانت إلا كبيرة كما قاله الفراء، والضمير في كانت راجع إلى ما يدل عليه قوله ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِي كُنتَ عَلَيْهَآ﴾ من التحويلة والتولية أو الجعلة أو الردة. ذكر معنى ذلك الأخفش، ولا مانع من أن يرجع الضمير إلى القبلة المذكورة، أي: وإن كانت القبلة المتصفة بأنك كنت عليها لكبيرة، أي تحويلها على أهل الشرك والريب، قاله ابن عباس.

﴿إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۗ﴾ أي هداهم للإيمان فانشرحت صدورهم لتصديقك، وقَبِلت ما جئتَ به عقولُهم، وهذا الاستثناء مفرغ لأن ما قبله في قوة النفي أي: أنها لا تخفّ ولا تسهُل إلا على أهل الهدى، وقيل استثناء من مستثنى منه محذوف أي: وإن كانت لكبيرة على الناس إلا على الذين، وقيل يحتمل كلا الوجهين والأول أولى. وعن ابن جريج قال: بلغني أن ناساً ممن أسلم رجعوا فقالوا مرة ههنا ومرة ههنا.



﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْۚ﴾ وهذه اللام تُسمى لام الجحود عند البصريين، وخبر كان محذوف، أي: ما كان الله مريداً لإضاعة إيمانكم، والكوفيون لا يقدرون شيئاً وأن اللام عندهم للتأكيد، وهكذا القول فيما أشبه هذا التركيب مما ورد في القرآن وغيره نحو «وما كان الله لِيُطلعكم»، «وما كان الله لِيَذر».

قال القرطبي: «اتفق العلماء على أنها نزلت فيمن مات وهو يصلي إلى بيت المقدس». ثم قال: «فسمى الصلاة إيماناً لاجتماعها على نية وقول وعمل».

وقيل المراد ثبات المؤمنين على الإيمان عند تحويل القبلة وعدم ارتيابهم كما ارتاب غيرهم، والأول يتعين القول به والمصير إليه. لما أخرج أحمد وعبد بن حميد والترمذي وابن جرير وابن المنذر وابن حبان والطبراني والحكم وصححه ابن عباس قال: لما وجه رسول الله ﷺ إلى القبلة قالوا يا رسول الله فكيف بالذين ماتوا وهم يصلون إلى بيت المقدس؟ فأنزل ﴿وما كانَ اللهُ...﴾ الآية. وفي الباب أحاديث كثيرة وآثار عن السلف.

«إن الله بالناس» تعليل لما قبله، «لرؤوف رحيم» الرؤوف: كثير الرأفة وهي أشد من الرحمة وأكثر منها، والمعنى متقارب وقدم الأبلغ للفاصلة.

﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِى ٱلسَّمَآءِ ۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا ۚ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ ۗ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَـٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾ [البقرة: ١٤٤]

«قد نرى تقلب وجهك» تصرفه «في» جهة «السماء»، قال القرطبي في تفسيره: قال العلماء هذه الآية متقدمة في النزول على قوله «سيقول السفهاء»، ومعنى «قد» تكثير الرؤية كما قاله صاحب (الكشاف)، وقيل للتحقيق، والمعنى تحول وجهك إلى السماء. قاله قطرب. وقال الزجاج: تقلب عينيك في النظر إلى السماء. والمعنى متقارب، والمعنى: مطلعاً إلى الوحي ومتشوقاً للأمر باستقبال الكعبة، وكان يود ذلك لأنها قبلة إبراهيم، ولأنها أدعى إلى إسلام العرب.



«فلنولينك» هو إما من الولاية أي: فلنعطينك ذلك، أو من التولي أي: فلنجعلنك متولياً إلى جهتها، وهذه بشارة من الله له ﷺ بما يحب، والفاء هنا للتسبب، وقيل المعنى: «نحولنك» «قبلة ترضاها» قاله ابن عمر، أي: قبلة إبراهيم نحو الميزاب، وهذا أولى لقوله «فولّ وجهك شطر المسجد الحرام» المراد بالشطر هنا الناحية والجهة، ويَرد بمعنى البعض مطْلقاً، ويكون بمعنى النصف في الشيء، وبمعنى الجهة والنحو، ويقال شطر أي بعد، ومنه الشطر وهو الشاب البعيد من الجيران الغائب عن منزله والشطير البعيد، ومنه منزل شطير وشطر إليه أي أقبل، قال الراغب: والشاطر أيضاً من يتباعد من الحق.



ولا خلاف أن المراد بشطر المسجد هنا الكعبة، وقد حكى القرطبي الإجماع على أن استقبال عين الكعبة فرض على المعاين وعلى أن غير المعاين يستقبل الناحية، ويستدل على ذلك بما يمكنه الاستدلال به، وعن البراء: شطر المسجد قبله، وعن ابن عباس قال: نحوه. وقال أبو العالية: تلقاءه، وقال ابن عباس: البيت كله قبلة وقبلة البيت الباب، وأخرج البيهقي عنه مرفوعاً قال: «البيت قبلة لأهل المسجد والمسجد قبلة لأهل الحرم والحرم قبلة لأهل الأرض مشارقها ومغاربها من أمتي».

وقد أخرج ابن ماجه عن البراء قال: صلينا مع رسول الله ﷺ نحو بيت المقدس ثمانية عشر شهراً وصرفت القبلة إلى الكعبة بعد دخوله إلى المدينة بشهرين، وكان رسول الله ﷺ إذا صلى إلى بيت المقدس

أكثر تقليب وجهه في السماء وعلم الله من قلب نبيه أنه يهوى الكعبة، فصعد جبريل فجعل رسول الله ﷺ يتبعه بصره وهو يصعد بين السماء والأرض ينظر ما يأتيه به، فأنزل الله هذه الآية فقال رسول الله ﷺ: «يا جبريل كيف حالنا في صلاتنا إلى بيت المقدس؟» فأنزل الله يعني الآية التي قبل هذه.



واختُلف في وقت تحويل القبلة، فقيل كان في يوم الاثنين بعد الزوال للنصف من رجب على رأس سبعة عشر شهراً من مقدم رسول الله ﷺ المدينة، وعليه الأكثر. وقيل كان يوم الثلاثاء لثمانية عشر شهراً، وقيل كان لستة عشر شهراً وقيل لثلاثة عشر شهراً، وقيل في جمادى، وقيل في نصف شعبان، وقيل نزلت ورسول الله ﷺ في مسجد بني سلمة، وقد صلى بأصحابه ركعتين من صلاة الظهر فتحول في الصلاة واستقبل الميزاب، وحول الرجال مكان النساء والنساء مكان الرجال فسمى ذلك المسجد مسجد القبلتين، ووصل الخبر إلى أهل قباء في صلاة الصبح.

وأخرج البخاري ومسلم عن أبي عمر قال بينما الناس بقباء في صلاة الصبح إذ جاءهم آت فقال أن النبي ﷺ قد أُنزل عليه الليلة قرآن وقد أمر أن يستقبل القبلة فاستقبلوها. وكانت وجوههم إلى الشام فاستداروا إلى الكعبة. وظاهر حديث البراء في البخاري أنها كانت صلاة العصر، ووقع عند النسائي من رواية أبي سعيد بن المعلى أنها الظهر.

وصايا لمجاهدي فلسطين



الشيخ أحمد القطان

رحمه الله*

الحمد لله رب العالمين، الحمد لله الذي أعز المجاهدين ونصر المؤمنين وأعلى كلمة الدين، وأشهد أن لا إله إلا الله ولي الصالحين، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ﷺ، وارض اللهم عن الخلفاء الراشدين والصحابة أجمعين ومن جاهد بجهادهم إلى يوم الدين.أما بعد:عباد الله: أوصيكم ونفسي بتقوى الله: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُ﴾ [الطلاق: ٢-٣]

---

* أحمد القطان، خطبة: وصايا لمجاهدي فلسطين، موقع الشبكة الإسلامية، رابط إلكتروني: bit.ly/3Z6iHUS .

وأوصيكم -أيها الأحباب الكرام- أن تنصروا بدعائكم المجاهدين في كل مكان في فلسطين وأفغانستان وعلى كل أرض يذكر فيها اسم الله، ورب دعوة صادقة من أشعث أغبر مدفوع بالأبواب لا تسلط عليه أجهزة الإعلام أضواؤها لو أقسم على الله لأبره، وما تخلو أمة محمد ﷺ من الصادقين المخلصين السابقين.

وحذار عباد الله من عمليات التطبيع القيصرية، نبرأ إلى الله سبحانه وتعالى أن نعاهد يهوداً أو نواليهم، أنت ولينا ورسولك والمؤمنون، وأسأل الله أن يفرج عن المسلمين في فلسطين، اللهم أطعم جائعهم، واكس عاريهم، واشف مريضهم، واجبر كسرهم، وفك أسيرهم، واحقن دماءهم، واحفظ أعراضهم، وحقق بالصالحات آمالنا وآمالهم، وسدد رميهم، ومكن لهم يا رب العالمين، اللهم أحص أعداءنا وأعداءهم عدداً، واقتلهم بدداً، ولا تغادر منهم أحداً، وألف بين قلوب المسلمين هناك وهنا وفي كل مكان واجعل كلمتهم ودعوتهم واحدة.ألف على الخير قلوبنا، وأصلح ذات بيننا، واهدنا سبل السلام، ونجنا من الظلمات إلى النور.



عباد الله: إني أحبكم في الله، وأحمد الله أن جعل هذا المنبر جهاداً في سبيله، وكما قرأتم في الصحف في الأسبوع الماضي أن اليهود يلقون القبض على الأشرطة وحامليها، ويسجن من حمل شريطاً أو وزعه ستة أشهر، وجاءت الأخبار متواترة بهذا، فجلوسكم وأنفاسكم وتأييدكم في ميزانكم فهو جهاد، فلا تخشوا اليهود ولا عملاء اليهود والذي يخاف الله لا يخاف غيره.

وحدة الصف سلاح ماضٍ فتاك



أحبابنا الكرام، أوجّه النداء من منبر الدفاع عن الأقصى إلى المجاهدين هناك، فأقول لهم احذروا من تمزق الصف، وشتات الكلمة، وكثرة التحزبات والتنظيمات، فإنها تفني العمل وتذهب بالمجهود وتشتت الفكر، فعدوكم واحد فكونوا في صف واحد.

عدوكم لا يرحم.. هدم الدور، وسفك الدم، وأحرق المقدسات.. لقد أحرقوا الأقصى الشريف، وأول ما حرقوا فيه منبر صلاح الدين؛ ليعلم المسلمون أن العداء تاريخي وعقيدي وحضاري وإسلامي قبل أن يكون في أي اتجاه أو وجهة. صلاح الدين هو الذي خلص الأقصى من الصليبيين أولياء اليهود، فهم يثأرون وينتقمون لأوليائهم، وكانت أيضاً مجزرة تل الزعتر، فصار الناس فيها زعتراً مطحوناً فوق الصخور، والدماء هي الزيت.

وأذكر أن الأخبار جاءتنا أن بعض الناس من الجوع في حصار التل أكلوا أولادهم.. طبخوا المذبوحين لمن تبقى من الأحياء الباقين، لشدة الحصار والجوع، والمجاهدون في فلسطين الآن يعانون من الحصار ما يعانون، إن خمسين كيلو من الطحين بأكثر من اثني عشر ديناراً، ثم من أين له هذا وهو بلا عمل ولا وظيفة؟ يأكل الثرى والشجر؟ وأنبوب الغاز بتسعة دنانير، وكيلو اللحم بخمسة دنانير، والجوع يضني ويرهق، وقد كان الله عز وجل يعالج جوع المسلمين في الخندق بالمعجزات والكرامات، ولكن هل نعالج جوعهم بالمعجزات والكرامات ونحن نملك المليارات ننفقها على الكرة؟

أكثر من سبعمائة مجاهد في الخندق يجمعهم جابر بن عبد الله أو أبو طلحة الأنصاري في حادثتين، على قليل من الطحين أو عنز صغيرة، فيأتي الحبيب ﷺ فينفخ في القِدر، ثم بعد ذلك يغرف منه، فيأكل العشرة بعد العشرة حتى يشبع الجيش كله وأهل البيت، فمن لأهل فلسطين اليوم؟

يوم أن أكل المسلمون في الماضي بالمعجزات ما كان أحد منهم يملك شيئاً، ما كانوا يملكون إلا دعاء الحبيب لهم: «إنهم حُفاة فاحملْهم، إنهم عُراة فاكْسُهم، إنهم جِياع فأطعمْهم، إنهم عالة [أي: فقراء] فأغنِهم».

أثرى أثرياء أمتنا اليوم منا، بل أثرى رجال العالم، وهناك من يملك الأموال ما ضاقت به البنوك والمؤسسات والشركات، يجمعها حطباً لجهنم لكي تُكوَى بها جباهه وجُنوبه ولا يتلفت إلى الجائعين في فلسطين! يطعمونهم إعلانات وقرارات، يطعمونهم بيانات، إلى متى يصبر المجاهد هناك؟ عندما يقلعون زيتونته ويذبحون بهيمته ويهدمون داره؟! وهم في الهم والمصيبة سواء.

ثم يأتون المجاهدين ويقولون: لا تعملْ في الشركات والمؤسسات والمصانع الإسرائيلية.



فأين يذهب صاحب الصِبية السبعة والبُنّيات عندما يفتحون أفواههم من أول النهار إلى آخره يريدون الماء والحليب والخبز، ماذا يفعل أبوهم؟

والمسلمون يتعشون ويتمشون ويعالجون أمراض التخمة! نشكو إلى الله أحوالنا وأوضاعنا وإسرافنا وتبذيرنا فيما سيؤذينا عند لقاء الله يوم القيامة!

أحبابنا الكرام هناك في فلسطين أقول لكم: وحدوا صفكم ولا تتناحروا عند سقوط الشهيد هذا منا أو هذا منكم ولا تتقاتلوا فيما بينكم، العدو واحد فليكن الصف واحداً، وإخوانكم المجاهدون الأفغان من أسباب عدم فتح (جلال أباد) و(كابول) أن بعضهم أُصيب بمثل هذا الداء، فنسأل الله أن يجمع شملهم هناك وأن ينصرهم على مَن عاداهم وعلى أنفسهم أولاً، فإن وحدة الصف سلاح ماضٍ فتاك وتمزيق الصف سلاح العدو، قال تعالى: ﴿وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ كُنتُمۡ أَعۡدَآءٗ فَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِكُمۡ فَأَصۡبَحۡتُم بِنِعۡمَتِهِۦٓ إِخۡوَٰنٗا وَكُنتُمۡ عَلَىٰ شَفَا حُفۡرَةٖ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنۡهَاۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٣]

دعوة لترك الانتخابات واستيراد بضائع فلسطين

ثم أوصيكم أحبابنا هناك بمقاطعة الانتخابات المزعومة، انتخبوا الشهادة، انتخبوا الأقصى، انتخبوا كلمة «لا إله إلا الله محمد رسول الله»، ولا تنتخبوا ذلك البطيء البدين النئوم النهوم الذي يتسلق على مصائب الناس وأشلائها ليربح كثيراً ويجمع كثيراً، واليهود يعرفون كيف يمزقون الصفوف، وكيف يخمدون الحماس، وكيف يهبطون الهمم ويتبعون الهزال الروحي ضد الجهاد والحجر الملتهب، فاحذروا مكرهم وحيلهم، وادرسوا التاريخ، وادرسوا كيف عاملهم نبينا محمد ﷺ.

حمل علي بن أبي طالب رضي الله عنه راية المسلمين إلى حصون قريظة، واستبق المسلمون يحتشدون حولها حتى إذا اقترب الجيش من منازل اليهود سبوا رسول الله ﷺ ونساءه، فقال عليٌّ للنبي ﷺ: يا رسول الله لا عليك أن تدنوا من هؤلاء الأخباث! فقال ﷺ: «لم أظنك سمعت لي منهم أذى». قال: نعم يا رسول الله. قال: «لو رأوني لم يقولوا من ذلك شيئًا». فلما دنا من حصونهم قال: «يا إخوان القردة، هل أخزاكم الله وأنزل بكم نقمته؟»، قالوا: يا أبا القاسم ما كنت جهولاً[1].

---

١. قال في تخريج (فقه السيرة) (ص٣١٣): «أخرجه ابن إسحاق عن الزهري مرسلاً، وعنه ابن هشام، ورواه الحاكم». وقد ذكره الشيخ القطان رحمه الله بالمعنى فأثبتنا النص من مصدره [التحرير].

"فالصلح مع اليهود حرام، والصلح مع مَن صالح اليهود حرام، والمبادئ لا تتغير بالأزمنة."

ثم على تجار المسلمين أن يتداعوا ويتنادوا لفتح أسواق الدول الإسلامية للمنتجات الفلسطينية المسلمة، ولو سوّقنا بضاعات أحبابنا المجاهدين هناك، وفتحنا لها جيوبنا وحوانيتنا ومشاريعنا لما أصابهم ذلك الضيق الذي هم فيه. الفلاح يبذل جهده ودمه وعرقه وفي النهاية لا يشتري أحد إنتاجه فيطعمه للدواجن...

أيها التجار المسلمون! افتحوا أسواقكم لمنتجات فلسطين من أحبابنا المجاهدين هناك، والله لو ضاعفتم أسعارها لاشتريناها جهاداً في سبيل الله، افتحوا الحدود، وهدّموا السدود.



راعوا نفسيات الأطفال

ثم أوصي أحبابنا هناك أن يراعوا نفسيات الأطفال، أطفال بلا تعليم، نخشى أن يكون أطفال فلسطين كالجيل الذي تخرج من الحرب اللبنانية يَقتل فلا يدري لماذا قتَل، ولا يدري المقتول لماذا قُتل، وصدق المتنبي حيث يقول شعراً في مجازر لبنان وكل لبنان:

كلما أنبت الـزّمانُ قَنَاةً •• رَكَّبَ الْمَرْءُ فِي الْقَنَاةِ سِنَانَا

وَمُرَادُ النُّفُوسِ أَصْغَرُ مِنْ أَنْ •• نَتَعَادَى فِيهِ وَأَنْ نَتَفَانَى

تَعادي وتَفاني وتقاتُل واستيراد أسلحة لم تستخدمها الحرب العالمية الأولى ولا الثانية! لا نريد التحزبات في فلسطين كيما يقودها في المستقبل أطفالٌ لم يتلقوا التعليم، فيصير القتل من أجل القتل، رحماكم رحماكم بالأطفال، فلتعالج هذه المشكلة، واليـهود يعلمون أبعادها وآثارها.

ماذا قدمتَ للأقصى؟



ثم علينا كمسلمين أن يسأل كل واحدٍ منا نفسه إذا ما وقف أمام الله: ما قدم للأقصى؟

اطرح على نفسك هذا السؤال، توهَّم أن الأقصى بيتك، وقد جاءوا للحفر من تحته، وحرق أثاثه، والتآمر على هدمه، كيف نتصرف؟!

بيتك! لا أقول بيت الله -وهو بيت الله- لكن اعتبره بيتك، فإذا تحرك عندك الحماس على أنه بيتك فانقله بعد ذلك على أنه بيت الله عز وجل، ولكن حتى هذا الشعور والإحساس عند المسلمين مات، نَفسي نَفسي وليذهب الجميع!

أنحن على الصراط نسير، أم نحن في عرصات القيامة وقوف؟!

فيا أحبابنا الكرام: ليراجع كل واحد منا عقيدته في الأقصى، وعقيدته في الجهاد، وعقيدته في الموقف الأعظم عند الله.

اللهم حنن المسلمين لبيتك في فلسطين، اللهم حنن المسلمين لبيتك في فلسطين، اللهم اجعل قلوبهم محرابه، اللهم اجعل قلوبهم ودماءهم محرابه، اللهم اجعل أرواحهم بخور الأقصى يا رب العالمين.أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم فاستغفروه.

الشيخ أحمد ياسين



الحمد لله رب العالمين، ولا عدوان إلا على الظالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله ولي الصالحين، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

ومن الدفاع عن الأقصى: الدفاع عن منبر الدفاع عن الأقصى، ففي غيابي تنطلق الإشاعات بعد الإشاعات، والمرجفون كثير، وأعداء الدين كثير، وعملاء اليهود كثير، فليحرص كل مسلم على ألا يجعل مطيته وراحلته: زعموا وقالوا وسمعت وقيل. وإنما أمرنا الله بالتبين وبالتثبت، فالحذر الحذر من أن نتخلق بأخلاق أعدائنا. طيلة فترة غيابي لا تنقطع الإشاعات بعد الإشاعات، والله حذر منها يوم أن بُني المسجد ﷺ في المدينة المنورة وتشكلت الحكومة الإسلامية ﴿وَإِذَا جَآءَهُمۡ أَمۡرٞ مِّنَ ٱلۡأَمۡنِ أَوِ ٱلۡخَوۡفِ أَذَاعُواْ بِهِۦۖ وَلَوۡ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنۡهُمۡ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسۡتَنۢبِطُونَهُۥ مِنۡهُمۡۗ وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ لَٱتَّبَعۡتُمُ ٱلشَّيۡطَٰنَ إِلَّا قَلِيلٗا﴾ [النساء: ٨٣]

> **فالحذر من مثل هذه الإذاعات، فكفانا بلاء الإذاعات فنتحول نحن لها أيضاً.**

عباد الله: دافعوا عن مسجدكم هذا وعن منبركم هذا، واحموه، وادعوا له بالتمكين، وادعوا له بالنصر، وانشروا أشرطته، انشروها خاصة هناك في فلسطين، انشروها في السجون والمعتقلات، واحتالوا على نشرها، نسأل الله سبحانه وتعالى أن يجعل ذلك في ميزانكم عباد الله، وأن يثقل به الميزان ويحقق به الإيمان، وأذكركم بالمجاهد المقعد أحمد ياسين[٢]، الذي لا يزال في المعتقل، والذي يعاني من المرض القديم وهو الشلل حتى

٢. كان هذا أثناء اعتقال الشيخ المجاهد أحمد ياسين رحمه الله، قبل أن يُستشهد في غارة صهيونية عام ٢٠٠٤م. [التحرير]

أنه لا يستطيع أن يرفع يده فيأكل لقمته، يطعمه الناس، الخبزة ترتجف ولكن القلب ثابت، الرِجل لا تمشي ولكن بركة دعوته جعلت كل حجرٍ في فلسطين يمشي وينطلق، فالعبرة ليست بالقوة البدنية أو الطول أو العرض أو الجاه أو الحسب أو النسب أو الجيوش أو العروش، وإنما بالصدق والإخلاص مع الله رب العالمين، هذا الرجل المجاهد لا يزال اليهود يرهبونه، يعتقلونه، يعذبونه، ويطاردون أتباعه، وقد أحيا الله به الجهاد في فلسطين، من هنا من منبر الدفاع عن المسجد الأقصى نزف هذه القصيدة إلى مجاهدنا أحمد ياسين:

ياسين هذا يومك المختارُ •• فالأرض من صفو السماء تغار
كنت الهلال سجين جسمٍ هـامدٍ •• واليوم تم البدر والأنوار
في حكمة المولى بأنك مقعدٌ •• يهوي أمام حماسه الفجار
يا أحمد الياسين أنت إمامنا •• ويشدنا إيمانك الجبار
ولأنت فخر الثائرين بقدسنـا •• ولأنت للّيل البهيم نهارُ
يا أحمد الياسين قد علمتنا •• أن السجون سياحة ونخارُ
علمتنا أن الرجال مواقفٌ •• وصلابةٌ وتوثُّب وقرارُ
يا من تعيد كرامةً مسلوبةً •• لذرى الخليل فتثمر الأشجارُ
هل أنت معتقلٌ إذا حمي الوغى •• أم أن أحمد للجهاد شعارُ
يا أيها الشيخ الجليل وحسبنا •• أنّا بحُبك تنطق الأشعار
فلأنت رأس الراجمين عدوهم •• ولأنت سيف صارمٌ بتارُ
ولأنت بناءٌ تقيم جدارنا •• وتسوسنا فتحلق الأحجارُ
قد أقعدتنا شهوةٌ وهزيمةٌ •• وتقوم أنت يمنك الإعصارُ
يا أحمد الياسين خفف سرعةً •• زعماؤنا أقدامهم نخارُ



ونكتفي بهذا القدر من القصيدة على أن نكملها في خطبة قادمة إن شاء الله، ولكن نقول: يا أحمد الياسين خفف سرعةً، زعماؤنا أقدامهم فخارُ! المقعَد يطالَب بتخفيف سرعته، والذين يملكون الطائرات والعابرات والصوارخ صارت أقدامهم لا تستطيع أن تحمل أبدانهم!

اللهم انصر المجاهدين في فلسطين وأفغانستان وفي كل مكان، اللهم انصرهم ومكّن لهم، اللهم إنا ندفع بك في نحور أعدائنا، ونعوذ بك من شرورهم، منزل الكتاب، ومنشئ السحاب، ومجري الحساب، وهازم الأحزاب اهزم أحزاب الباطل وانصر حزب الحق يا رب العالمين.

اللهم أمّن في بلادنا وبلاد المسلمين روعاتنا، اللهم آمن روعاتنا، واستر عوراتنا، وخفف لوعاتنا، من أراد بنا والمسلمين سوءاً فأشغله في نفسه، ومن كادنا فكِده، واجعل تدبيره تدميره، اللهم احرسنا بعينك التي لا تنام، واحفظنا بركنك الذي لا يرام، وارحمنا بقدرتك علينا ولا نهلك وأنت رجاؤنا يا أرحم الراحمين.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٩٠]

واذكروا الله يذكركم، واشكروه على نعمه يزدكم..

﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِۗ وَلَذِكۡرُ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تَصۡنَعُونَ﴾

[العنكبوت: ٤٥]

إيه فلسطين



الأستاذ وليد الأعظمي

رحمه الله*

لا القول يرجع ماضينا ولا الخُطبُ .. فالقوم من لهوهم أضناهم التَعَبُ

راحوا يظنون أنّ الناس في فَرَحٍ .. ولا يظنّونَ أنّ الحقّ مُغتَصَبُ

وهم يقولون إن الأصل ينفعنا .. لا ينفع المرء أصلٌ لا ولا نَسَبُ

قد حكّموا الكافر المسعور عن سفهٍ .. أمْرَ المواطن فانتابتهم النُّوَبُ

وحكّموا أمر قدس العرب شرذمة .. شعارها الغدر والتضليل والشَّغَبُ

---

*وليد الأعظمي، ديوان الشعاع، ط إلكترونية، صفحة الشاعر وليد الأعظمي، موقع (فيسبوك). ص٥٩-٦١.

المكر والبغي والتزوير شيمتُهم .. والنكث بالعهد والتفريق والكذِبُ

هذي فلسطين كم قد ناح نائحها .. ومن كؤوس الردى في أرضهم شربوا

والقدس يحكمها (الحاخام) وا أسفي .. والعرب تندب والإسلام ينتحبُ

فكيفَ كيفَ (صلاح الدين) حرّرها .. أبالنوادي أم الهيئات يا عَرَبُ؟

أم بالموائد حيث الغدر مجتمع .. مع الخيانة يا هذا فلا عَجَبُ!

أن تخسر العُربُ أولى القبلتين وفي .. قلوب أبنائها النيران تلتَهِبُ

نار الرذيلة، نار الحقد قد ملأت .. آفاقنا، كيف نصرُ الله يقتربُ

كفرٌ وخمرٌ وإلحادٌ وزندقةٌ .. والجهلُ خيَّمَ فينا بعدما نَصَبوا

تلك الفِخاخَ ليصطادوا بها أُمَماً .. باتت تغنّي ويجلو همَّها الطرَبُ

فتلك أندلسٌ ولّتْ وقد لحقتْ .. بها فلسطين، ما للعرب لم يثبوا؟

أرحمةُ الله تأتينا وقد غَفَلَتْ .. عن ذكر ربّي قلوبٌ كلُّها رِيَبُ؟

إن لم تعيدوا حياة العزّ في بلدٍ .. به الخيانة أمٌّ والنفاقُ أبُ

ولم تراعوا حدود الله بينكمُ .. فالموت أولى لكم يا أيها العَرَبُ

عودوا إلى الدين والتقوى فإنّكم .. إن عدتُّمُ عادت الأيام والحِقَبُ

الصادعون بالحق

﴿وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ﴾

من إنتاج علمائنا الأسرى

العلاقة بين تحويل القبلة

والجهاد في سبيل اللّه

الأستاذ حازم صلاح أبو إسماعيل*



فك الله أسره

إن الحركة لهذا الدين هي التي تجعل الإنسان يعيش لقضية الإسلام، ولذلك، فبعد العمليات العسكرية قبل بدر يأتي يوم الفرقان، وهو اليوم الذي ستنكسر فيه شوكة قريش.

ولكن قبل بدر بشهر كامل إذا بواقعة في منتهى الأهمية تقع للمسلمين، يُقْصَد بها جمع المسلمين وتسديد عقيدتهم وتحقيق القوة عندهم وزلزلة أمرهم، حتى لا يثبت إلا أصحاب الإيمان الكامل، وتلك هي واقعة تحويل القبلة من المسجد الأقصى إلى المسجد الحرام.

* مستفاد من الدرس ٥٥ من دروس السيرة النبوية، للشيخ حازم صلاح أبو إسماعيل، فكّ الله أسره.

إنها واقعة لا مثيل لها في السيرة النبوية، إنها الواقعة التي قال الله فيها قبل أن تحدث ﴿سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّاهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا﴾ [البقرة: ١٤٢]

لقد كانت زلزالًا شديدًا.. كان المسلمون يصلّون إلى وجهة، إليها يتوجهون ويبكون ويتضرعون في محاريبهم، ومنهم من عاش ومات وهو يصلي إلى هذه الوجهة، ثم في أمر قاطع يحول الله القبلة ويأمرهم أن يصلوا إلى وجهة جديدة وقبلة مختلفة!

يتحسن تصورنا لشدة الحادثة إذا تذكرنا أنه بعد قرابة سبع سنين من واقعة تحويل القبلة، يقول النبي ﷺ لزوجته عائشة: «لولا أن قومك حديثو عهد بجاهلية لهدمت الكعبة وبنيتها على قواعد إبراهيم». إذ كانت قد بنيت على مساحة أقل من المساحة التي أقامها عليها سيدنا إبراهيم. فتأمل! بعد سبع سنوات يقول عنهم النبي أنهم حديثو عهد بجاهلية!

ولذلك فمن أروع ما قال المفسرون في قوله تعالى ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنصَارِ﴾ [التوبة: ١٠٠]، أنهم الذين صلوا إلى القبلتين، فأدركوا الصلاة إلى المسجد الأقصى، ثم أدركوا الصلاة إلى الكعبة.

تغيير المسلمين من داخلهم

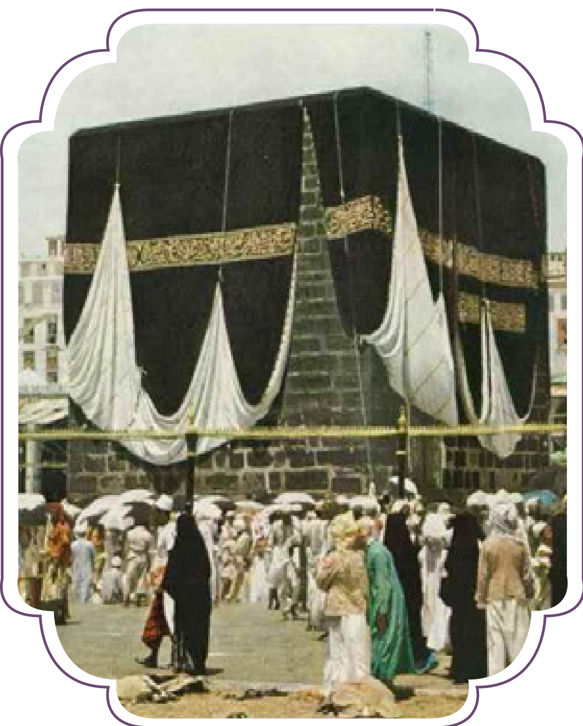


إذن، كانت واقعة تحويل القبلة مهمتها تغيير المسلمين من داخلهم، فقد بدأت الحكاية عندما فُرضت الصلاة في مكة في حادثة الإسراء والمعراج، وبدأت قضية القبلة تكون قضية محورية، وتحولت كلمة قبلة من مجرد كلمة إلى قضية كبيرة، لأن عقيدة أهل مكة وعادتهم وتوجههم وصلاتهم كانت إلى الكعبة، وكانوا يعدون الكعبة بيتهم، بيت أبيهم إبراهيم، الذي

هم سندته، كانت الكعبة تختلط بفخرهم بأنسابهم، لكن الله تعالى لا يريد أن تكون القبلة قبلة وثنية، ولا يريد أن تكون القبلة أبداً قبلة فخر بالآباء والأجداد والأنساب، الله يريد قبلة لا تعظم إلا لأنها بيت الله، فأراد سبحانه أن ينزع من صدور المسلمين أي تعلق على الإطلاق بغير وجهه عز وجل، أراد سبحانه أن ينزع عنهم تعلقهم بالآباء والحسب والنسب، وأن ينزع من قلوبهم تعلقهم بالأوثان المشرعة حول الكعبة في ذاك الزمان، أراد سبحانه أن يتحول التوجه القلبي نفسه فيحصل انفصال شعوري كما يقولون، وانفصال في التوجه، وانفصال في القبلة بين المسلم الذي يريد وجه الله، وبين المجتمع الذي لا يريد وجه الله، وهذا التوجه الخالص لله لا يتأتى بمجرد الكلام والخطابة وإنما بواقع عملية تربي النفس وتقوّم السلوك.

تمييز المسلمين عن اليهود

لقد كان اليهود قبل تحويل القبلة يتفاخرون بأنهم السابقون إلى قبلة المسجد الأقصى، وكانوا يشيعون بذلك أنهم أصحاب الدين الأصلي والحق الأبدي، والدليل على ذلك أن محمدا يتبع قبلتنا لأننا الحق وحدنا، ولو كان محمد على الحق، فلمَ ترك قبلة العرب وتولى بوجهه من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى؟ وظل اليهود على ذلك شهوراً، وعلى رغم تلك الأكاذيب التي اختلقوها إلا إنها قد بيَّنَتْ بعد ذلك روعة الإسلام وعظمة منهجه الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.



ظل اليهود يقولون -عن كِبْر- «نحن أصحاب القبلة». حتى كانت ليلة النصف من شعبان، حيث أراد الإسلام أن ينزع من اليهود هذا الأمر، ويتحول المسلمون عن القبلة التي هي المسجد الأقصى ليعودوا إلى المسجد الحرام مرة أخرى، وبدأ اليهود الذين أجمع جمهور المفسرين أنهم المقصودون بقول الله عز وجل: ﴿سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّاهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا﴾ وقد قالوا على رغم أن القرآن قال «سيقول»!

ولما تحولت القبلة حدثت رجة في صفوف اليهود، فقد جاء القرآن قوياً وصريحاً وعجيباً ومسكتاً لهم، ﴿قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ﴾ [البقرة: ١٤٢]. فاجأهم القرآن بأن الأمر طبيعي إذ إن الملك كله لله، يملك سبحانه المشرق والمغرب، وما دام الأمر كله لله، والكون كله لله، فإنه سبحانه يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم!

وهنا الصدمة لليهود! محمد هو النبي الذي على الصراط المستقيم، لأنه أسلم قلبه لله، يوجهه كيفما شاء سبحانه، ثم يبيّن القرآن في مجمل الرد عليهم الحقيقة التي يعلمونها من قبل بعثة رسول الله ﷺ ﴿وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾ [البقرة: ١٤٤] ما يعني أن أهل الكتاب يعلمون أن نبي آخر الزمان سيبدأ قبلته من حيث انتهى بنو إسرائيل، حتى إذا أقام عليهم حجة القبلة أخذهم وتوجهوا إلى القبلة التي ضلوا عنها، فوجههم إليها وأعادهم إلى رشدهم بعد غيهم، وهي موجودة هكذا في كتب أهل الكتاب.



ولذلك، عندما ذكر الله لنا هذا الكلام، أشهدهم على أنفسهم بما عندهم في كتبهم، بأن نبي آخر الزمان سيصلي معهم إلى قبلتهم ليقيم الحجة عليهم، ثم إذا صلى إلى قبلتهم فقد شهد بأن كل الأنبياء الذين جاءوا قبله هم أنبياء ورسل لله تعالى، وإن مهمته أن يوجه أتباعهم الذين ضلوا إلى الوجهة الصحيحة والصراط المستقيم ولزمهم الاتباع الصادق له.

لذا يقول ﷺ: «إنهم -أي: اليهود- لا يحسدوننا على شيء كما يحسدوننا على يوم الجمعة، التي هدانا الله لها وضلّوا عنها. وعلى القِبلة التي هدانا الله لها وضلوا عنها، وعلى قولنا خلف الإمام: آمين».

❞ يحسدوننا على القبلة لأنهم ضلوا عنها، ولأن الله تعالى صرفهم إلى غيرها، كما أن هذه الثلاث التي ذكرها رسول الله ﷺ تبين أن الإسلام ليس أيديولوجية ولا نظرية ولا فكر وإنما هو عبادات وشرائع، ولكَم هزتني وأبكتني كلمة «آمين» بعد قراءة هذا الحديث، إنها الكلمة التي نغفل عن فضلها، جَرب أن تقول «آمين» وأنت تستشعر هذا الحديث والحديث الآخر الذي يقول فيه النبي: من وافق تأمينه تأمين الملائكة غُفر له، ستشعر حينها أن الكون كله بملائكته يقول «آمين»، وستشعر أن الله شرّفك كمسلم أن تقف في المحراب وتقول كلمة يردد أصداءها الملائكة معك. ❝



الأمر الثالث بعد القبلة وكلمة «آمين»، هو أن تعالى جعل اليوم المقدس عندنا ويوم عيدنا هو يوم الجمعة، وفيه يوم القيامة، وهو معظم عند أهل الجنة وعند الملأ الأعلى، وصرف اليهود عن يوم الجمعة إلى يوم السبت، وعن يوم الجمعة إلى يوم الأحد، يقول المحدثون من علماء بني إسرائيل: إن هذا الحديث يشير إلى أمر طالما استشعره اليهود دائماً، وهو أن البركة إنما نُزعت منهم بنزع أدواتها، فنُزعت كلمة يستجاب بها الدعاء وهي «آمين»، ونُزع اليوم المبارك وهو الجمعة، ونُزع المكان المبارك أي القبلة.

العجيب أيضاً أنه لما تحولت القبلة وقال اليهود يقولون ﴿مَا وَلَّاهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا﴾، جاءت الأزمة من ناحية أخرى، وهي أن أهل قريش قالوا ما أشبه كلام اليهود: «لقد عاد محمد إلى قبلتنا اليوم وغداً يتبع ديننا». حتى بات المسلمون بين ناري اليهود إذا اتجهوا للأقصى والمشركين إذا اتجهوا إلى الكعبة.

ولذلك أقولها مدوية:



❞ إن الله تعالى ما أعاد رسوله والمسلمين إلى القبلة الأولى إلا وقد شرع لهم أن يخرجوا في غزوة بدر على سبيل الأمر ليجاهدوا في سبيل الله، لأنه لم تعد في القبلة شبهة، الآن الله يقول لهم إن هذا البيت الحرام هو بيت إبراهيم، توجه إليه لأنه بيت الله وليس بيت قومك، بل إنك ستخرج إلى أتباعك بـ ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ﴾ ، لتقاتل قومك في سبيل الله، لأنهم هم الذين بدلوا فيه، وهم الذين حرفوه ونشروا الوثنية فيه، وقالوا على الله عز وجل ما لا يليق، وعبدوا الأصنام والأوثان، وكذّبوا رسول الله وأخرجوه وهم يعلمون، ولذلك فإن عودة القبلة في النصف من شعبان قبل رمضان قبل غزوة بدر كانت لحكمة بالغة، فإن كان في نفس المسلمين شعور سلبي ناحية تحويل القبلة فقد كتب الله عليك أن تقاتل المشركين ليتقوا هذا الجانب الشعوري. ❝

۞ ملاحظة أخرى وهي؛ لو أن الله قد فرض الصلاة وأمر الناس أن يتوجهوا إلى الكعبة في أول الأمر حين فرض الصلاة ووجه الناس إلى الكعبة، فإن أي أحد كان بالأمس كافراً مشركاً وأسلم اليوم لن يجد اختلافاً في وجهته لأنه كان بالأمس يعظم الكعبة واليوم سيعظمها أيضاً، كانوا بالأمس سدنة البيت وهم اليوم كذلك، سيرون اليوم والأمس بأن أبا طالب وأبا لهب وأبا جهل بالأمس واليوم ممن يعظمون البيت، فأراد الله أن ينزع الميل الكاذب من نفوس المسلمين، أراد أن يُحدث انفصالاً شعورياً عند المسلمين الجدد، أنا مسلم متميز لي قبلتي التي أطيع الله فيها، والمشرق لله والمغرب لله.

﴿قَدۡ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجۡهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ﴾



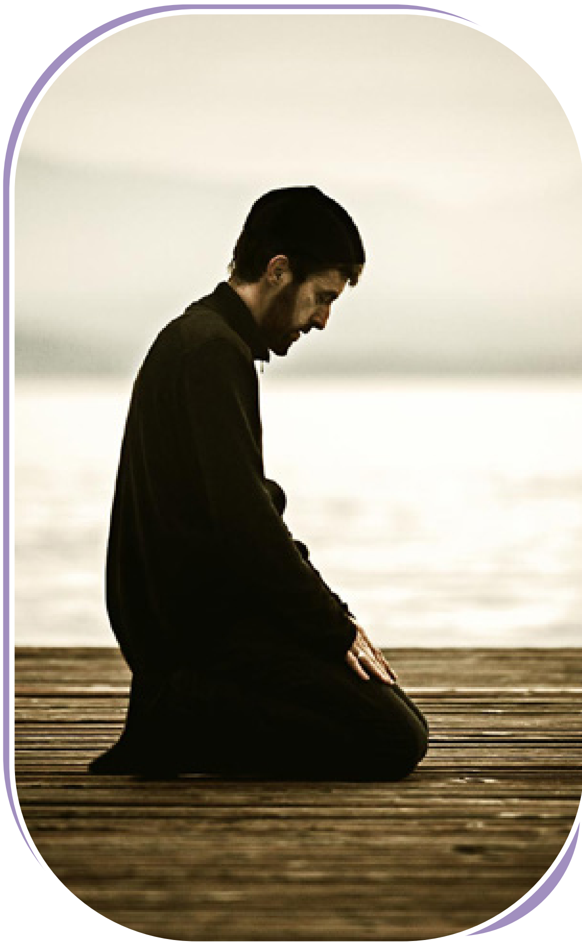
د. عبد العزيز الطريفي

فك الله أسره



قال اللهُ تعالى: ﴿قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾ [البقرة: ١٤٤] وقال: ﴿وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِنَّهُ لَلْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ﴾ [البقرة: ١٤٩].

كان النبيُّ ﷺ كثيرَ النظرِ إلى السماءِ تأمُّلاً وتدبُّرًا وتفكُّرًا، وهذا مِن العباداتِ التي قلَّ مَن يفعلُها، وإنْ نظَرَ الناسُ إلى السماءِ، نظَرُوا إعجابًا وتَسْلِيَةً، لا تعظيمًا للخالقِ بتأمُّلِ عظيمِ مخلوقِه، فكثيرًا ما يذكُرُ اللهُ خَلْقَ السمواتِ والأرضِ أنّه آياتٌ لأُولي الألبابِ، قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الأَلْبَابِ﴾ [آل عمران: ١٩٠]، ويدلّلُ سبحانَهُ على ربوبيَّتِهِ وألوهيَّتِهِ بخلقِهما، فقال تعالى: ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ [العنكبوت: ٦١].



والنظرُ والتفكُّرُ في العظيمِ يُعطي الإنسانَ احتقارًا لما دونَهُ خَلْقًا، فيستدِلُّ بشيءٍ على شيءٍ آخَرَ دونَهُ بقياسِ الأَوْلى، قال اللهُ تعالى: ﴿أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَى وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ﴾ [يس: ٨١]، وقال تعالى: ﴿لَخَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ﴾ [غافر: ٥٧]. ويستدِلُّ سبحانَهُ على قدرتِهِ على التصرُّفِ في الناسِ وإفنائِهم، وإعادةِ خَلْقِهم، بالسمواتِ والأرضِ: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ بِالْحَقِّ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ [إبراهيم: ١٩].

ويستدِلُّ على توقُّفِ الزمنِ وقيامِ الساعةِ بملكوتِ السمواتِ ودَوَرانِ الأفلاكِ والأرضِ ودَوَرانِ صورةِ الخلقِ في الأرضِ، تبتدِئُ ثُمَّ تنتهي، وهذا كلُّه علامةٌ على قيامِ الساعةِ، فالمتحرِّكُ لا بُدَّ أنْ يسكُنَ؛ لأنَّ حركتَهُ كانتْ بعدَ سكونٍ، وسكونُهُ كان بعدَ عدمٍ، قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٥].



والله تعالى يقدِّمُ السموات على الأرضِ غالبًا؛ لأنَّ السمواتِ أعظمُ خَلْقًا، وأظهَرُ نظرًا، وأكثرُ عِبرًا، وقد يقدِّمُ نادرًا الأرضَ على السموات؛ قال تعالى: ﴿تَنْزِيلًا مِمَّنْ خَلَقَ الْأَرْضَ وَالسَّمَاوَاتِ الْعُلَى﴾ [طه: ٤]، وقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾ [آل عمران: ٥]، وقال تعالى: ﴿وَمَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾ [إبراهيم: ٣٨]، وقال تعالى: ﴿وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾ [يونس: ٦١]، وقال تعالى: ﴿وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾ [العنكبوت: ٢٢]، ولكنَّه ليس في سياقِ طَلَبِ التفكُّرِ والتدبُّر.

النَّظَرُ إلى السماءِ عبادةٌ

ومِن المقطوع به: أنَّ النظرَ إلى السماءِ تفكُّرًا واعتبارًا عبادةٌ عظيمةٌ، وقد كان النبيُّ ﷺ كثيرًا ما ينظُرُ إلى السماءِ؛ ففي «صحيح مسلمٍ»؛ مِن حديثِ أبي موسى رضي الله عنه؛ قال: صَلَّيْنَا المَغْرِبَ مع رسولِ اللهِ ﷺ، ثُمَّ قُلْنَا: لو جلَسْنا حتى نصلِّيَ معه العشاءَ، قال: فجَلَسْنا فخرَجَ علينا، فقال: «مَا زِلْتُمْ هَهُنَا؟»، قُلْنَا: يا رسولَ اللهِ، صَلَّيْنَا معك المَغْرِبَ، ثمَّ قُلْنا: نجلِسُ حتى نصلِّيَ معك العشاءَ، قال: «أَحْسَنْتُمْ» أو: «أَصَبْتُمْ»، قال: فرفَعَ رأسَهُ إلى السماءِ ـ وكان كثيرًا ما يَرْفَعُ رأسَهُ إلى السماءِ ـ فقال: «النُّجُومُ أَمَنَةٌ لِلسَّمَاءِ، فَإِذَا ذَهَبَتِ النُّجُومُ، أَتَى السَّمَاءَ مَا تُوعَدُ، وَأَنَا أَمَنَةٌ لِأَصْحَابِي، فَإِذَا ذَهَبْتُ، أَتَى أَصْحَابِي مَا يُوعَدُونَ، وَأَصْحَابِي أَمَنَةٌ لِأُمَّتِي، فَإِذَا ذَهَبَ أَصْحَابِي، أَتَى أُمَّتِي مَا يُوعَدُونَ»[1].

---

١. أخرجه مسلم (٢٥٣١) (١٩٦١/٤).

وفي النظرِ إلى السماءِ حِكَمٌ جليلةٌ، منها:

أولاً: التفكُّرُ والتدبُّرُ والاعتبارُ.

ثانيًا: إظهارُ الحاجةِ والفقرِ والضعفِ، ولو لم يتكلَّم الإنسانُ.

ثالثًا: حسنُ الظنّ باللهِ، وكأنَّ الإنسانَ يرقُبُ نزولَ الخيرِ ويتحيَّنُه، كَمَنْ يعلو جبلاً يرقُبُ قادمًا يتوقَّع قدومَهُ.

ولذا كان النبيُّ ﷺ يُقلّبُ وجهَهُ في السماءِ ينتظرُ تحويلَ القِبْلةِ، محسنًا ظنَّه باللهِ، ومتفائلاً بعاجلِ جوابِه.

رابعًا: إفرادُ اللهِ في الربوبيَّةِ والعبادةِ، فمدبّرُ هذه الأفلاكِ لا يمكِنُ أنْ يكونَ إلا واحدًا، فمسيّرُ هذه الأفلاكِ ومدبّرُها - بهذا النظامِ الدقيقِ الذي لم يختلَّ بمرورِ آلافِ السنينَ، بل بَقِيَ دونَ اضطرابٍ أو تغيُّرٍ - واحدٌ، ولو كان أكثَرَ من ذلك، لاختلفُوا واختصَمُوا ولو في تدبيرِ شيءٍ واحدٍ: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلاَّ اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٢].



خامسًا: زيادةُ الإيمانِ بمشاهَدَةِ قُدْرةِ اللهِ، وعظيمِ خَلْقِه، وإتقانِ صُنْعِه.

سادسًا: تواضُعُ الإنسانِ عندَ رؤيتِه مخلوقًا أعظَمَ منه، فينفي عنه خَصْلَةَ الكِبْرِ، ويهذّبُ النفسَ بمعرفةِ قَدْرِها.

سابعًا: الخوفُ من اللهِ، فكلَّما ظهرتْ قوةُ السيِّدِ، زادَ خوفُ العبدِ، وأطاعَهُ وحَذِرَ من معصيتِه.

ثامنًا: الاعتمادُ والاتِّكالُ عليه في تدبيرِ الشأنِ؛ فمدبِّرُ هذه الأجرامِ والأفلاكِ، ومدبِّرُ هذه المخلوقاتِ ومسيِّرُها بانتظامٍ: أقدَرُ على تدبيرِ شأنِ العبدِ.

تاسعًا: الإيمانُ بجميعِ صفاتِه وأسمائِه التي تُرَى آثارُها في هذه المخلوقاتِ؛ مِن عَظَمةٍ، وقُوَّةٍ، ورِزْقٍ، وتقديرٍ، ولُطْفٍ، وجَبَروتٍ، وكبرياءَ، وعِزَّةٍ، وانتقامٍ، وعلوٍّ؛ فالخالقُ فوقَ جميعِ المخلوقاتِ مكانًا ومكانةً.

عاشرًا: هوانُ مَن يستعظِمُ ويستعلي على اللهِ مِن متكبِّري الأرضِ مِن سلاطينَ وظَلَمَةٍ، وعدمُ الخوفِ منهم، وهوانُ كلِّ معبودٍ يُعبَدُ مِن دونِ اللهِ في الأرضِ أو في السماءِ في عَيْنِ العبدِ عندَ تأمُّلِ عَظَمةِ اللهِ وقدرتِه.

وغيرُ ذلك مِن الحِكَمِ، التي لو أرادَ الإنسانُ استقصاءَها، لتعذَّر ذلك عليه.



" والذي يُستفادُ مِن هذه الآيةِ: استحبابُ النظرِ إلى السماءِ عندَ الدعاءِ في غيرِ الصلاةِ، وهذا مِن السُّنَنِ المهجورةِ، وكان النبيُّ إذا دعا، نظَرَ إلى السماءِ؛ كما هو ظاهرُ الآيةِ في تقلُّبِ وجهِه في السماءِ؛ فقد روى ابنُ جريرٍ مِن حديثِ ابنِ أبي جعفرٍ، عن أبيه، عن الربيعِ؛ في قولِه: ﴿قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ﴾؛ يقولُ: نظَرَك في السماءِ[٢]. "

وقيل: إنَّ النبيَّ إنَّما كان يُكثِرُ مِن تقليبِ بصرِه في السماءِ راجيًا بقلبِه تحويلَ القِبْلةِ وإنْ لم ينطِقْ بالدعاءِ، وهذا الفعلُ لو صدَرَ مِن العبدِ جائزٌ، ولكنْ لا دليلَ ظاهرًا على أنَّ النبيَّ ﷺ فعَلَه في القِبْلةِ، ورفعُ

٢. «تفسير الطبري» (٢/٦٥٧).

البصرِ إلى السماءِ تضرُّعًا مع لَهَجِ القلبِ، كرفعِ الأَكُفِّ تضرُّعًا مع لَهَجِ اللسانِ وحضورِ القلبِ، ورفعُ البصرِ والأَكُفِّ ولَهَجُ القلبِ واللسانِ بالمناجاةِ: أكملُ أحوالِ الدعاءِ.

وقد جاء في رفعِ بصرِهِ إلى السماءِ أحاديثُ كثيرةٌ عندَ دعائِهِ وغيرِه.

وكان أصحابُهُ يَعْرِفُونَ دعاءَهُ برفعِ بصرِهِ إلى السماءِ، ففي «صحيحِ مسلمٍ»، عن المِقْدادِ، قال: أقبَلْتُ أنا وصاحبانِ لي، وقد ذَهَبَتْ أسماعُنا وأبصارُنا مِن الجَهْدِ، فجَعَلْنا نَعرِضُ أنفُسَنا على أصحابِ رسولِ اللهِ ﷺ، فليس أحدٌ منهم يَقْبَلُنا، فأتَيْنَا النبيَّ ﷺ، فانطلَقَ بنا إلى أهلِهِ، فإذا ثلاثةُ أَعْنُزٍ، فقال النبيُّ ﷺ: «احْتَلِبُوا هَذَا اللَّبَنَ بَيْنَنَا»، قال: فكنَّا نحتلِبُ فيشْرَبُ كلُّ إنسانٍ منَّا نَصيبَهُ، ونرفعُ للنبيِّ ﷺ نَصيبَهُ، قال: فيَجِيءُ مِن الليلِ فيُسَلِّمُ تسليمًا لا يوقِظُ نائمًا، ويُسْمِعُ اليَقْظانَ، قال: ثُمَّ يأتي المسجِدَ، فيُصلِّي، ثُمَّ يأتي شرابَهُ فيشربُ، فأتاني الشيطانُ ذاتَ ليلةٍ وقد شَرِبْتُ نصيبي، فقال: محمَّدٌ يأتي الأنصارَ فيُتْحِفُونَهُ ويُصيبُ عندَهم، ما به حاجةٌ إلى هذه الجُرْعَةِ، فأتيتُها فشَرِبْتُها، فلمَّا أنْ وَغَلَتْ في بَطْنِي، وعَلِمْتُ أنَّه ليس إليها سبيلٌ، قال: نَدَّمَنِي الشيطانُ، فقال: وَيْحَكَ، ما صَنَعْتَ؟ أَشَرِبْتَ شرابَ محمدٍ، فيجيءُ فلا يجدُهُ فيَدْعُو عليك فتَهلِكُ فتذهَبُ دُنْيَاكَ وآخِرَتُكَ؟! وعَلَيَّ شَمْلَةٌ إذا وضَعْتُها على قدميَّ، خرَجَ رأسي، وإذا وضَعْتُها على رأسي، خرَجَ قدمايَ، وجعَلَ لا يَجِيئُني النومُ، وأمَّا صاحِبايَ فناما، ولم يَصْنَعَا ما صنَعْتُ، قال: فجاء النبيُّ ﷺ، فسلَّمَ كما كان يُسلِّمُ، ثمَّ أتى المسجِدَ فصلَّى، ثم أتى شرابَهُ فكشَفَ عنه، فلم يَجِدْ فيه شيئًا، فرفَعَ رأسَهُ إلى السماءِ، فقلتُ: الآنَ يَدْعُو عَلَيَّ فأَهْلِكُ، فقال: «اللَّهُمَّ أَطْعِمْ مَنْ أَطْعَمَنِي، وَأَسْقِ مَنْ أَسْقَانِي»[٣].

وفي حديثِ عُقْبَةَ في «سننِ أبي داود»، في رفعِ النبيِّ بصرَهُ إلى السماءِ بعدَ وُضوئِهِ، وفيه ضعفٌ[٤].

---

٣. أخرجه مسلم (٢٠٥٥) (٣/١٦٢٥).

٤. أخرجه أبو داود (١٧٠) (١/٤٤).



وفي «سننِ أبي داود»، عن الشَّعْبِيِّ عن أمِّ سَلَمَةَ، قالتْ: ما خرجَ النبيُّ ﷺ من بيتي قطُّ إلا رفَعَ طَرْفَه إلى السماءِ، فقال: «اللَّهُمَّ، إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَضِلَّ أَوْ أُضَلَّ، أَوْ أَزِلَّ أَوْ أُزَلَّ، أَوْ أَظْلِمَ أَوْ أُظْلَمَ، أَوْ أَجْهَلَ أَوْ يُجْهَلَ عَلَيَّ»[٥].

وعندَ أبي داودَ وغيرِه، عن ابنِ عباسٍ؛ قال: رأيتُ رسولَ اللهِ ﷺ جالسًا عندَ الرُّكْنِ، قال: فرفَعَ بصرَهُ إلى السماءِ، فضَحِكَ، فقال: «لَعَنَ اللهُ الْيَهُودَ - ثلاثًا - إِنَّ اللهَ حَرَّمَ عَلَيْهِمُ الشُّحُومَ، فَبَاعُوهَا، وَأَكَلُوا أَثْمَانَهَا»[٦].

وعن عائشةَ زوجِ النبيِّ ﷺ، قالتْ: كان رسولُ اللهِ ﷺ وهو صحيحٌ يقولُ: «إِنَّهُ لَمْ يُقْبَضْ نَبِيٌّ قَطُّ حَتَّى يَرَى مَقْعَدَهُ مِنَ الجَنَّةِ، ثُمَّ يُحَيَّا أَوْ يُخَيَّرَ»، فَلَمَّا اشْتَكَى وَحَضَرَهُ القَبْضُ، وَرَأْسُهُ عَلَى فَخِذِ عَائِشَةَ، غُشِيَ عَلَيْهِ، فَلَمَّا أَفَاقَ، شَخَصَ بَصَرُهُ نَحْوَ سَقْفِ البَيْتِ، ثُمَّ قَالَ: «اللَّهُمَّ، فِي الرَّفِيقِ الأَعْلَى!»[٧]؛ رواه البخاريُّ ومسلمٌ.

وكان ينظرُ عندَ تدبُّرِ آيِ السمواتِ والأرضِ والاعتبارِ بهما؛ فقد روى البخاريُّ؛ من حديثِ ابنِ عَبَّاسٍ؛ قال: بِتُّ في بيتِ مَيْمُونَةَ لَيْلَةً، والنبيُّ ﷺ عندَها؛ لأَنْظُرَ كيف صلاةُ رسولِ اللهِ ﷺ بالليلِ، فتحدَّثَ رسولُ اللهِ ﷺ مع أهلِهِ ساعةً، ثمَّ رقَدَ، فلمَّا كان ثُلُثُ الليلِ الآخِرُ، أو بعضُهُ، قعَدَ فنظَرَ إلى السماءِ، فقرأَ: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ﴾، إلى قولِه: ﴿لِأُولِي الأَلْبَابِ﴾ [آل عمران: ١٩٠][٨].

---

٥. أخرجه أبو داود (٥٠٩٤) (٣٢٥/٤).
٦. أخرجه أبو داود (٣٤٨٨) (٢٨٠/٣).
٧. أخرجه البخاري (٤٤٣٧) (١٠/٦)، ومسلم (٢٤٤٤) (١٨٩٤/٤).
٨. أخرجه البخاري (٧٤٥٢) (١٣٥/٩).

وربَّما رفَعَ النبيُّ ﷺ بصَرَهُ إلى السماءِ، وهو يتحدَّثُ إلى أصحابِهِ ويَعِظُهم ويعلِّمُهم؛ فقد روى البخاريُّ ومسلمٌ والتِّرمِذيُّ وغيرُهم، عن عليٍّ؛ قال: بينما نحنُ مع رسولِ اللهِ ﷺ وهو ينكُتُ في الأرضِ، إذْ رفَعَ رأسَهُ إلى السَّمَاءِ، ثُمَّ قال: «مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلاَّ قَدْ عُلِمَ ـ وقال وَكِيعٌ: إِلاَّ قَدْ كُتِبَ ـ مَقْعَدُهُ مِنَ النَّارِ، وَمَقْعَدُهُ مِنَ الجَنَّةِ»، قَالُوا: أَفَلاَ نَتَّكِلُ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «لاَ، اعْمَلُوا فَكُلٌّ مُيَسَّرٌ لِمَا خُلِقَ لَهُ»[٩].

ورفعُ البصرِ عندَ الأمورِ العظيمةِ مستَحَبٌّ، وعندَ نزولِ المصيبةِ ورجاءِ الإعانةِ؛ ففي ذلك إظهارُ ضعفٍ وافتقارٍ والتجاءٍ. ورفعُ البصرِ إلى السماءِ هو سجودُ العَيْنِ؛ لأنَّ مَدَّ البصرِ بصورةِ التعظيمِ لِمَا دُونَ اللهِ يُورِثُ هَيْبَةً في القَلْبِ للمخلوقِ وتعظيمًا له ورجاءً لما عندَهُ، وهذا قبَسٌ من العبوديَّةِ لا يكادُ يَسْلَمُ منه أحدٌ؛ ولذا خَفَّفَ اللهُ فيه؛ لمشقةِ الاحترازِ منه، وأمَرَ بالاحترازِ منه الكُمَّلَ مِن العِبَادِ كالأنبياءِ؛ ولذا قال اللهُ لنبيِّهِ: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ لاَ تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ﴾ [الحجر: ٨٧، ٨٨]، فأَمَرَهُ بإطلاقِ الفِكْرِ والعَيْنِ في القرآنِ؛ لأنَّ مَدَّ البصرِ يُورِثُ تعظيمًا للمنظورِ، حتى يصلَ بالإنسانِ إلى الافتتانِ به والعبوديَّةِ له: ﴿وَلاَ تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾ [طه: ١٣١].

ولذا يُسمَّى اللاهي بالدِّينارِ والدرهمِ عن حدودِ اللهِ: عَبْدًا له، وفي الحديثِ: «تَعِسَ عبدُ الدِّينَارِ وَالدِّرْهَمِ»[١٠].

وروى ابنُ أبي شَيْبَةَ، وأبو نُعَيمٍ، عن هشامِ بنِ عُرْوَةَ؛ قال: كان أبي إذا رأى شيئًا من أمرِ الدُّنيا يُعجِبُه، قال: ﴿لاَ تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ﴾[١١].

---

٩. أخرجه البخاري (٤٩٤٩) (٦/١٧١)، ومسلم (٢٦٤٧) (٤/٢٠٤٠)، والترمذي (١٢٣٦) (٤/٤٤٥).
١٠. أخرجه البخاري (٢٨٨٧) (٤/٣٤)؛ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.
١١. أخرجه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٣٠١١٦) (٦/١٣٧).

وإدامةُ النظرِ إلى الشيءِ تَنسِجُ خيوطًا تقيِّدُ القلبَ وتعلّقُه به، حتى يُكبِّلَ القلبُ ويُصبحَ أسيرًا لما يَرَى، ويَظُنُّ أنه حُرٌّ طليقٌ!

وإنَّما نَهى اللهُ نبيَّه عن «مَدِّ العَيْنِ»، ولم ينهَ عن النظرِ؛ لأنَّ المدَّ هو إطالةُ التأمُّلِ، والنهيُ عن أصلِ النظرِ يُنافي الحِكْمةَ مِن خَلْقِ العَيْنِ والإبصارِ؛ فالأرضُ مليئةٌ بالنِّعَمِ والأرزاقِ الممنوحةِ للخَلْقِ، فمنعُ النظرِ لها ابتداءً لا يُناسِبُ حِكْمةَ خَلْقِ البصرِ.



ورُوِيَ عن إبراهيمَ الخليلِ رَفْعُ بصرِه إلى السماءِ عندَ ضربِ أصنامِ قومِه؛ روى ابنُ أبي حاتمٍ، عن الحَسَنِ، قال: خَرَجَ قومُ إبراهيمَ عليه السلام إلى عِيدٍ لهم، وأرادُوا إبراهيمَ عليه السلام على الخروجِ، فاضطجَعَ على ظهرِه، فقال: إنِّي سقيمٌ لا أستطيعُ الخروجَ، وجعَلَ ينظُرُ إلى السماءِ، فلمَّا خرَجُوا، أقبَلَ على آلهتِهِمْ فكسَّرَها[١٢].

ونظرُه إلى السماءِ توكُّلٌ وافتقارٌ، وطلبُ إعانةٍ وكفايةٍ.

وقد ذكَرَ اللهُ في هذه الآيةِ: أنَّ سببَ تغييرِ القِبلةِ لنبيِّهِ تقلُّبُ وجهِهِ في السماءِ، وخصَّ اللهُ نبيَّه بأمرِ الاستقبالِ؛ بقولِه تعالى: ﴿فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾؛ إكرامًا له، ثمَّ عمَّمَ الخطابَ للأمَّةِ، وإنْ كانتْ داخلةً في أمرِهِ تعالى: ﴿وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ﴾.

١٢. «تفسير ابن أبي حاتم» (١٠/٣٢٢٠).



ولم تحوَّلِ القِبْلَةُ إلا مع طولِ سؤالٍ وتضرُّعٍ وطولِ نَظَرٍ في السماءِ، ولذا قال تعالى: ﴿تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ﴾، يعني: رَفْعَهُ وإدارتَهُ مراتٍ ومراتٍ.

تكرارُ الدعاءِ والإلحاحُ به

وفي هذا: مشروعيةُ تَكْرارِ السؤالِ والإلحاحِ بالدعاءِ، وعدمُ اليأسِ من الإجابةِ، فإذا كان هذا لنبيٍّ، فكيف لغيرِه؟! فللَّهِ حِكَمٌ وغاياتٌ محمودةٌ بتأجيلِ إجابةِ دعوةِ عبدِه، منها ما يختصُّ بالأمرِ الذي دعا بتحقيقِه، فاللهُ يختارُ لعبدِه عندَ الإجابةِ أصلَحَ الزمنِ لا أسرعَهُ، ومنها ما يتعلَّقُ بالعبدِ نفسِه، فالدعاءُ عظيمٌ وعبادةٌ جليلةٌ، وربَّما احتاجَ إلى التضرُّعِ؛ لِيَعْظُمَ أَجْرُه، ويزولَ كِبْرُه، وتُنَقَّى نفسُه، وتتهذَّبَ سريرتُه بطولِ الانكسارِ، فيتحقَّقُ له بذلك أمورٌ عظيمةٌ وهو يُريدُ أمرًا واحدًا، وربَّما كان ذلك سببًا لتعجيلِ خيرٍ آخَرَ يَدْعُو به بنفسٍ مُقْبِلَةٍ هذَّبَها دعاؤُها السابقُ.

روى ابنُ جريرٍ، عن مَعْمَرٍ، عن قتادةَ، في قولِه: ﴿قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ﴾، قال: كان ﷺ يُقلِّبُ وجهَهُ في السماءِ، يُحِبُّ أَنْ يَصرِفَهُ اللهُ عزّ وجل إلى الكَعْبةِ، حتى صرَفَهُ اللهُ إليها[١٣].

وفي قولِه: ﴿فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا﴾: إشارةٌ إلى أنَّ النبيَّ ﷺ امتثَلَ أمرَ اللهِ، مع أنَّ نَفْسَ النبيِّ تُحِبُّ التوجُّهَ إلى المسجدِ الحرامِ أكثَرَ، وأنَّ رَغْبَةَ النفسِ وإنْ كانتْ مِن نبيٍّ ينبغي ألاَّ تصيِّرَه إلى خلافِ ما

١٣. «تفسير الطبري» (٢/٦٥٦).

يريدُهُ اللهُ، وأنَّ التفاضُلَ بينَ الأعمالِ يحكُمُه اللهُ وليس النفوسَ، وكثيرًا ما تميلُ النفسُ إلى قولٍ فتلتقِطُ له مؤيِّداتٍ من الدلائلِ والقرائنِ حتى تثقُلَ كِفَّتُه، ولو مالتْ إلى غيرِه، لَفَعَلَتْ مِثلَ ذلك، وهكذا يدورُ الدِّينُ والرأيُ في فلَكِ الهَوَى ولا يشعرُ الإنسانُ بذلك.

وقولُه تعالى: ﴿وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ﴾: إشارةٌ إلى وجوبِ استقبالِ الجميعِ للقِبْلةِ؛ الإمامِ والمأمومِ والمنفرِدِ، قائمًا وقاعدًا وعلى جنبٍ، حسَبَ الاستطاعةِ والطاقةِ، ويخرُجُ من ذلك النافلةُ في السفرِ؛ لفعلِه عليه الصلاةُ والسلامُ.



فيجبُ على المأمومِ أنْ يستقبِلَ عَيْنَ القِبْلةِ مع الإمامِ عندَ رؤيتِها، ويجبُ على الجميعِ استقبالُ الجهةِ عندَ البُعْدِ عنها.

وقولُه: ﴿شَطْرَهُ﴾؛ يعني: نحوَه وجِهَتَه؛ ثبَتَ هذا عن عمرِو بنِ دينارٍ، عن ابنِ عباسٍ[١٤]، وابنِ أبي نَجِيحٍ، عن مجاهدٍ[١٥]؛ رواهُ ابنُ جريرٍ عنهم، وعن آخَرِين[١٦].

وإنَّما كان النبيُّ يُحِبُّ استقبالَ المسجِدِ الحرامِ؛ لأنَّ اليهودَ فَرِحُوا باستقبالِ النبيِّ لِقِبْلَتِهم ويَعْجَبُونَ مِن استقبالِه لها، مع أنَّه يُخالِفُهم؛ رُوِيَ هذا عن ابنِ عباسٍ[١٧]، ومجاهدٍ[١٨]، وغيرِهما.

١٤. «تفسير الطبري» (٢/٦٦١).
١٥. «تفسير الطبري» (٢/٦٠٠).
١٦. «تفسير الطبري» (٢/٦٠٠ ـ ٦٦١).
١٧. «تفسير الطبري» (٢/٤٥٠).
١٨. «تفسير الطبري» (٢/٦٥٧).

الإسلام هو المنتصر



د. سعود مختار الهاشمي

فك الله أسره*



قال رسول الله ﷺ: «لَتُقاتِلنّ المشركين، حتى يقاتِل بقيتكم الدجال على نهر الأردن، أنتم شرقيُّه وهم غربيُّه»[1].

ويقول النبي ﷺ: «إن الله تعالى زَوَى لي الأرض، حتى رأيت مشارقها ومغاربها...»[2].

لقد ذهبت فصورت هذا النهر من بداية البحر الميت، مما يسمى (نهر الأردن) إلى أن يتحول إلى (نهر اليرموك)، ورأيت كيف أن اليهود يصدقون هذا أكثر منكم يا أمة الإسلام ومنا، في كل أمتار تجد محطة لليهود، يجعلون فيها المراصد الكبيرة التي أراها بعيني، ينتظرون هذه اللحظة الحاسمة، ألا تصدقون الرسول ﷺ؟ ألا تعدون أنفسكم لهذا اليوم؟

---

* د. سعود مختار الهاشمي، فك الله أسره، من محاضرة: الإسلامِ هو المنتصر، منشورة بتاريخ: ٤-١٢-٢٠١١م، على موقع يوتيوب.

١. أخرجه ابن سعد والطبراني، وغيرهما، من حديث نَهيك بن صريم. الهيثمي في (مجمع الزوائد)، (٧/٣٥٢).

٢. أخرجه مسلم من حديث ثوبان، (ح: ١٠٥).

قال الله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ﴾ [التوبة: ٣٣] وهذه الآية جاءت بعد موسى عليه السلام، وقال تعالى: ﴿وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ﴾ [الصف: ٦] على لسان عيسى عليه السلام، وبعدها الآيات: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ﴾ [الصف: ٩] ، يقول الشافعي ما معناه إن هذه ما أتت بعد؛ بل ستأتي آخر الزمان. هذا الزمان الذي أراه قريباً: ﴿إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُۥ بَعِيدًا * وَنَرَىٰهُ قَرِيبًا﴾ [المعارج: ٦-٧].



والله قريبٌ يا إخواني! العالم اليوم يزأر.. يصيح..

سامحوني.. العالم يكاد -أعزكم الله- ينبح من هذا الظُّلم الذي يسير في الأرض! يتربع عشرة أو عشرون في المائة من سُكان الأرض على ثراء العالم، وثمانون أو تسعون بالمائة يعيشون الذل والخنوع والانكسار، ولا أحد يريد أن يرفع هذه الأمم إلى شموخ كما فعل أجدادنا الأولون.

يقول الله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُوا۟ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ﴾ [البقرة: ٢١٤]

ويقول سبحانه وتعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٢]

في أُحدٍ قال ابن مسعود: «... فلو حلفت يومئذ رجوت أن أُبر أن ليس أحد منا يريد الدنيا حتى أنزل الله قوله تعالى: ﴿مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْءَاخِرَةَ﴾ [آل عمران: ١٥٢]».



وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كُنتُمْ تَمَنَّوْنَ ٱلْمَوْتَ مِن قَبْلِ أَن تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ﴾ [آل عمران: ١٤٣]، ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ﴾ سيد الدنيا وتاج رأسها وخير من مشى على هذا الأرض، ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّـٰكِرِينَ * وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ كِتَـٰبًا مُّؤَجَّلًا...﴾ [آل عمران: ١٤٤، ١٤٥]

هذه الروح والله لن تخرج من هنا إلا بإذن الله، والله لن يُخرجها ملك، ولن تُخرجها (الداخلية) ولا (الخارجية)! لن يُخرجها إلا الساعة، ونسأل الله عز وجل أن تخرج وهي راضية مرضية عند الله عز وجل!

يا إخواني هذه روح عند الله تبارك وتعالَى فلماذا يخوفنا البشر؟ ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ كِتَـٰبًا مُّؤَجَّلًا وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلْـَٔاخِرَةِ نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَسَنَجْزِى ٱلشَّـٰكِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٥]

ماذا يا ربنا؟ ﴿وَكَأَيِّن مِّن نَّبِىٍّ قَـٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا۟ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا۟ وَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّـٰبِرِينَ * وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِىٓ أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَـٰفِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٦، ١٤٧]

ماذا فعلت يا ربنا؟ ﴿فَـَٔاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ ٱلْـَٔاخِرَةِ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [آل عمران ١٤٨]

يا إخواني الله سبحانه وتعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسۡتَيۡـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمۡ قَدۡ كُذِبُواْ جَآءَهُمۡ نَصۡرُنَا فَنُجِّيَ مَن نَّشَآءُۖ وَلَا يُرَدُّ بَأۡسُنَا عَنِ ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡمُجۡرِمِينَ﴾ [يوسف: ١١٠]، لم يقل حتى إذا استيأس الرؤساء والملوك والزعماء..

توكُّل هود عليه السلام

لماذا سمى الله عز وجل سورة هود باسم النبي هود عليه السلام؟ نحن نعلم أن هناك أنبياء من أولي العزم موجودون في السورة، لكن لماذا سُميت السورة خاصة باسم النبي هود عليه السلام؟ تلك السورة التي ورد فيها جهاد الأنبياء والصدع بالحق: ﴿إِن تَسۡخَرُواْ مِنَّا فَإِنَّا نَسۡخَرُ مِنكُمۡ كَمَا تَسۡخَرُونَ * فَسَوۡفَ تَعۡلَمُونَ مَن يَأۡتِيهِ عَذَابٞ يُخۡزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيۡهِ عَذَابٞ مُّقِيمٌ﴾ [هود: ٣٨، ٣٩].

هود لم يكن عنده عصا موسى، أو لديه القرآن، ولم يكن يحيي الموتى، ولا كان عنده معجزة ظاهرة، هود عليه السلام كان عنده أعظم معجزة عرفها البشر، معجزة اليقين والتوكل على الله عز وجل!

قال لهم: ﴿فَكِيدُونِي جَمِيعٗا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ * إِنِّي تَوَكَّلۡتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمۚ مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذُۢ بِنَاصِيَتِهَآ﴾ [هود: ٥٥، ٥٦].



يا إخواني هذا هو التوكل الذي نحتاجه اليوم.

قضية فلسطين

ولذلك أنا أقول لابد أن نقف مع قضية فلسطين، والله ما من أجل محمود الزهار، ولا من أجل إسماعيل هنية، والله هؤلاء القوم لو كان يقدس الرجال -أستغفر الله- لقدسناهم، لأنهم

شرفاء، لكن ما نعمل لهم نحن، نحن نستغل فلسطين لتحريك الموات الحادث في الأمة، الأمة اليوم أصابها الخوف، الأمة تركت الأوقاف، الأمة تركت العلم، الأمة تركت العلماء العاملين يُسجَنون ويُقتلون ردحاً طويلاً من الزمن، الأمة اليوم آن لها الأوان أن تَقتل الخوف، وأن تضعه تحت أقدامها، وتنطلق خلف أولئك، لا لنعطيهم مالاً، المال هذا شيء ثانٍ، لنعطيهم ونأخذ منهم، لنعطيهم الشجاعة التي نتعلمها منهم، من ذلك الطفل الصغير المقاوِم، فالدنيا زائلة.

ضع خوفك تحت قدمك!

﴿الٓمٓ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ وَلَقَدۡ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۖ فَلَيَعۡلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱلۡكَٰذِبِينَ﴾ [العنكبوت: ١-٣].

وقال تعالى في سورة محمد أو سورة (القتال): ﴿هَٰٓأَنتُمۡ هَٰٓؤُلَآءِ تُدۡعَوۡنَ لِتُنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَمِنكُم مَّن يَبۡخَلُۖ وَمَن يَبۡخَلۡ فَإِنَّمَا يَبۡخَلُ عَن نَّفۡسِهِۦۚ وَٱللَّهُ ٱلۡغَنِيُّ وَأَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُۚ وَإِن تَتَوَلَّوۡاْ يَسۡتَبۡدِلۡ قَوۡمًا غَيۡرَكُمۡ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓاْ أَمۡثَٰلَكُم﴾ [محمد: ٣٨].

هل يُبخل على الله سبحانه وتعالى؟

الله عز وجل ليس بحاجة إلينا، الله عزّ وجلّ عندما يجعلني أصلي له، وهذا الهندوسي يصلي للبقر، هو استغنى عن ذاك واختارك أنت واختارني، الله تعالى عندما تُنفق درهماً هو شرّفك وهداك واصطفاك من بين الخلق.

والله ثم الله ثم الله! إني أرى -كما كتبتُ في مقالات كثيرات- الإسلام قادماً، إنني أراه مع لـمّة كل ملَك، إنني أراه مع إشراقة كل صبح، إني أراه مع غروب كل شمس، إني أراه مع كل وليد يؤذَّن في أذنه، الإسلام قادم!

هل أحمل الإسلام على كتفي أم يحمله هذا الجيل الصاعد اليوم الذي ربما نسخر منه؟

ستأتي أيام ويرفع هذا الجيل راية الإسلام، لكن نحن الخائفون.. نتلكأ.. ونتردد! فلنتقدم يا إخواني وننطلق لخدمة ديننا، ونحول حماساً إلى حماسٍ في قلوبنا، ونحول فلسطين إلى حراك في بلداننا ودولنا، لا لنفجر، لا لندمر، لا لنثور، لا لاشتراكية ولا لقومية، لكن نتحرك من أجل إسلامنا، وقد آن الأوان أن نضع الخوف تحت أقدامنا، فإن الخوف لو كان رجلاً والله لكان أول عدو لنا لابد أن نقتله في قلوبنا.

شهر يغفل عنه الناس



الشيخ سمير مصطفى

فك الله أسره*

حدث جليل عظيم تاريخ يترجم لنا البراء بن عازب رضي الله عنهما، فيقول كما في الصحيحين: «صلى رسول الله ﷺ إلى بيت المقدس ستة عشر شهراً، أو سبعة عشر شهراً، وكان يعجبه أن تكون قبلته قبل البيت».

وكان ﷺ كثيراً ما يدعو الله عز وجل وينظر إلى السماء، ورسول الله ﷺ كان كثيراً ما ينظر إلى السماء متأملاً متفكراً، فنزل قول الله عز وجل: ﴿قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ [البقرة: ١٤٤]، قال البراء بن عازب رضي الله عنهما وقال الله عز وجل عن اليهود: ﴿سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّاهُمْ عَنْ قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا﴾ [البقرة: ١٤٢].

---

*الشيخ سمير مصطفى، خطبة: وظائف شهر شعبان، موقع يوتيوب، منشورة بتاريخ: ٢٥-٦-٢٠١١م، رابط إلكتروني: bit.ly/3Ikowr0

تخيل وتأمل إنها معادلة عجيبة أيها الإخوة، لطالما لهجت بها وذكرتها، وهي أن الله عز وجل قوض دولة الكفر في خلال شهر ونصف، فكان شهر شعبان شرع الله فيه للصحابة تميزاً، وأعلن لهم تحقيق راية الولاء والبراء، فلما تحققوا منها، فرض عليهم شهر رمضان، فلما تحققوا من صومه على وجهه، لم يمضِ منه أكثر من نصفه بأيام يسيرة، حتى كانت وقعة بدر في يوم السابع عشر من شهر رمضان، وقُتل فيها صناديد الكفر وأكابرهم (وليس فيهم كبير إلا أنه الوصف).

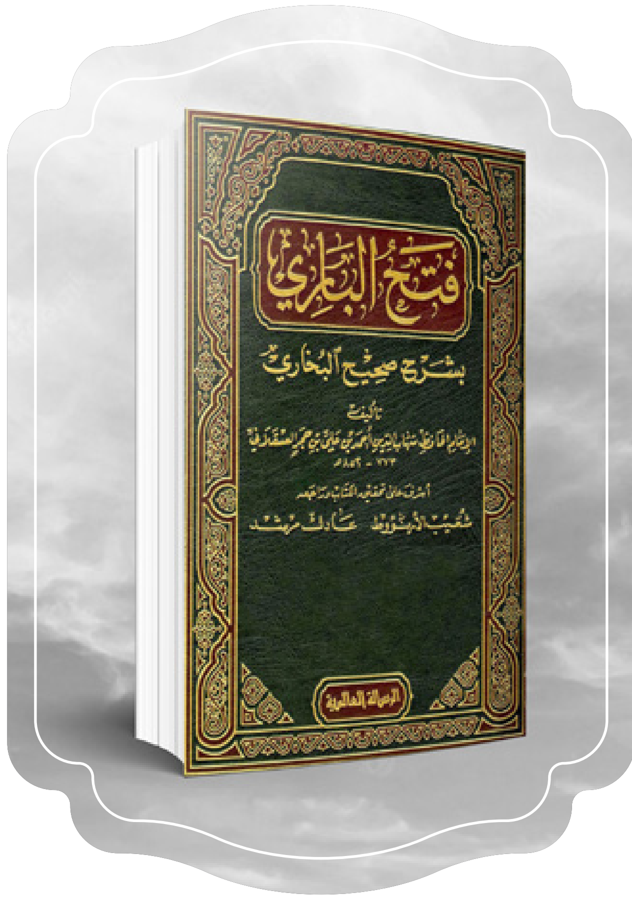


تأمل: قُتل في غزوة بدر أكابر المشركين، فصارت دولة المشركين مهيعاً في شهر ونصف، إنما هو بالشريعة، ومن ظن أنه يستطيع أن يلملم الواقع بغير شرع الله عز وجل فهو واهم، وتجارب التاريخ في هذه السنين المتطاولة الماضية تشهد بهذا، فضلاً عن شهادة الشريعة.

الولاء والبراء

يقرر الحافظ ابن حجر رحمه الله في (فتحه) أن المرء إذا اتجه إلى الكعبة فقد استقبل شطراً من بيت المقدس أيضاً، ولكن لتعلم أن قبلتنا مختلفة، هذا هو التمايز أيها الإخوة، لتُنقض عندنا اليوم هذه القالة الرجزاء التي يقول قائلها إن الإسلام وغيره من الديانات وجوه لعملة واحدة! إنه إبطال لنبوة محمد ﷺ، بل هو إبطال للقرآن، لأنه يحجم رسالة رسول الله ﷺ بقومه، وهو القائل ﷺ: «إنما بُعثت للأسود والأحمر». ومع هذا لا يجعل القرآن مهيمناً على الكتب السابقة من التوراة والإنجيل، هوس علماني يراه المرء الآن، ربما خرج في قالب الديانة، ونحن في فتن متلاطمة نحتاج فيها إلى التمايز أيها الإخوة، نحتاج فيها إلى أن يكون المرء كهيئة وحده بمفرده، معتزاً

بشرع الله عز وجل، وممتطياً سبيل الله عز وجل، نحتاج إلى هذا التمايز حتى في قبلة الصلاة، وقد كان رسول الله ﷺ يحب أن يقلد أهل الكتاب في غير أمر ولا نهي، حتى جاءه النهي المطلق عن تقليدهم أو اتباعهم، فكان هذا الأصل الأصيل: التمايز والولاء والبراء.



فضائل شهر شعبان

من الأشياء التي تحدث في شهر شعبان أيها الإخوة والتي نبه عليها النبي ﷺ أمران جليلان:

الأول: أن الأعمال تُرفع في شهر شعبان.

والثاني: أن العبد يُغفر له إذا كانت ليلة النصف من شعبان.

وهذان سببان متواخيان ينبغي علينا أن نراعيهما، الأعمال تُرفع إلى الله عز وجل فاستشعر بقلبك واستحضر أن هذا الشهر الذي ستستقبله الآن، عملك برمته في الشهور الماضية في خلال السنة الماضية يُرفع ويُعرض على الله عز جل، ثم بعد ذلك تأمل إلى أنه في نصفه يُغفر للعبد إذا لم يشرك بالله شيئاً أو لم يكن مخاصماً لأخيه على غير دِين، فتأمل جيداً.

قيل: يا رسول الله! لم أرَك تصوم شهراً من الشهور ما تصوم من شعبان. قال ﷺ: «ذلك شهر يغفل الناس عنه بين رجب ورمضان، وهو شهر تُرفع فيه الأعمال إلى رب العالمين، فأحب أن يرفع عملي وأنا صائم».

فأي هيئة تحب أن يرفع عملك وأنت تكون عليها؟ ترفع الأعمال أيها الإخوة، فنحن نحتسب على الله عز وجل أن يَغفر لنا قبل هذا، فيُختم على كتاب أحدنا بمغفرة وتوبة مقبولة، ثم يُرفع بعد هذا، فإذا رُفع على هذه الحال رُفع إلى الله أبيض ناصعاً من الذنوب والمعاصي، فلا يوجد فيه إلا الطاعة، وليس ذلك على الله بعزيز لكن لمن رجاه وأراده وقام إليه وانطلق، قال النبي ﷺ يحكي عن الله عز وجل: «وإن تقرب إليّ شبراً تقربت إليه ذراعاً، وإن تقرب إليّ ذراعاً تقربت منه باعاً، وإن أتاني يمشي أتيته هرولة». فإذا عقد المرء منا العزم الآن -وعقدُ العزمِ عبادة- ألم تر إلى هذا الذي قتل تسعةً وتسعين نفساً، عزم عزماً فقط على أنه يريد السير إلى الله عز وجل، ثم تمخض عن عزمه مشي فمشى نحو القرية الصالحة، فإذا بالله عز وجل يمده بمدد من عنده، فيأمر الأرض هنا أن تتقاصر، ويأمر الأرض هنا أن تمد، فتحدث للعبد كرامة وقد لُوثت يده بدماء الناس، فتأمل جيداً إلى الشكور سبحانه وبحمده، إننا إذا عبدناه ودخلنا إليه من هذا الباب والفهم، فإنه يحسن الظن فيه ويومها يغفر الله عز وجل له.

الأعمال المشروعة في شعبان

هذان عملان يحدثان في شهر شعبان،

فماذا علينا نحن فيه من الأعمال؟



أولا: أن تصومه كله إلا قليلاً، كما في الصحيحين أن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها سُئلت عن صيام رسول الله ﷺ، فقالت: «كان يصوم حتى نقول قد صام، ويفطر حتى نقول قد أفطر، ولم أره صائماً من شهر قط أكثر من صيامه من شعبان، كان يصوم شعبان كله، كان يصوم شعبان إلا قليلاً».

فكان يكثر من الصوم في شعبان جداً ﷺ، وذلك لأن صيام السرد إنما تمله النفوس، فتتدرب على سرد الصوم في شهر شعبان، فإذا جاء شهر رمضان دخلته بأريحية وصدر منشرح، لتقوم بعبادة أكثر، كان مسروق بن الأجدع يختم القرآن كل ثلاث فإذا دخل عليه العشر الأواخر ختم في كل ليلة، فتأمل جيداً، تكثر من الصوم، ثم تكثر من الأعمال الصالحة عموماً لمنحيين:

أن رسول الله ﷺ أكثر فيه، وهذا يدل على أن نكثر أيضاً.

أن العبادة في غفلة الناس لها أجر خاص، قال النبي ﷺ: «عبادة في الهَرْج كهجرة إليّ» عبادة في الهرج -أي في كثرة الفتن والغفلة- كهجرة إليّ.

وشهر شعبان يغفل الناس فيه عن التحضير لشهر رمضان، سواء كان تحضيراً نفسياً بفرحة بدخول رمضان، أو كان تحضيراً دنيوياً بزادٍ وغذاءٍ وخلاف هذا، أو كان تحضيراً آخر من ذكر وسهاد، وربما تيه من البعض، نسأل الله عز وجل أن يأخذ بنواصينا إليه.

فتأمل، ينبغي أن تعمل في هذا الشهر على هذه النية، أن الناس في غفلة، وأن العامل في الغفلة له أجر عظيم... كان عبد الله بن عمر رضي الله عنهما يدخل إلى السوق فيذكر الله عز وجل ولم يشترِ شيئاً، ولما سُئل عن ذلك قال: «الناس في السوق في غفلاتهم وأنا أحب أن أذكر الله في غفلة الناس». وكان كذلك كثير من السلف.

ثم يجب عليه أن يجتهد في شهر شعبان لا لأجل شعبان، وإنما تحضيراً لشهر رمضان. واستمع لهذه الجملة: إن الذي لا يقدم تقدمة بين يدي الأحداث ذوات الهيئة والوقع والخطر لفيه خصلة من النفاق.

إن الله عز وجل علل لنا لماذا لم يخرج المنافقون مع رسول الله ﷺ للقتال، فمنهم من أقعدته شهوة النساء، ومنهم من تعلل بأن بيته مكشوف، ومنهم مَن تعلل بمقصد دائه، ومنهم من تعلل بغير هذا، لم تكن عللاً على الحقيقة، بل العلة الحقيقية هي التي بينها الله عز وجل فقال سبحانه: ﴿وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً وَلَكِن كَرِهَ اللَّهُ انبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ﴾ [التوبة: ٤٦]



ومن ثم كل مَن لم يجهّز بين يدي الأعمال الضخام تجهزة وتقدمة وتحضيراً، فإنه يعاقب بالتخذيل عن هذا العمل، فيدخل شهر رمضان فيجد المرء نفسه ثقيلاً لا يستطيع قياماً ولا صياماً، لذلك ترى كلمة كثيرة ما تداول على ألسنتنا في شهر رمضان، يقول إليك عني أنا صائم! ويكثر الناس من الشجار ولا يطيق بعضهم بعضاً، كيف والصيام عبادة يشرح الله بها الصدر؟ فينبغي أن تكون أحسن خلقاً، لكن لما لم يتعود ضجرت نفسه فاختلف على ذلك طبعه.

سرعة انقضاء العمر

أيها الإخوة: ما هي إلا أيام تُعد، وساعات تمضي، وأنت أبعاض، والمرء إذا ذهب يوم ذهب بعضه، وكلنا يمشي إلى الآخرة رغم أنفه، ويسير إلى قبره حتف حتفه، فتأمل يقيناً إلى المهالك ولا تسهد عن سؤالك ولا عن مستقبلك، فإنك آتٍ إلى هذه الحفرة لا محالة، ويومها ترى العمل الصالح، وترى الوقت عظيماً

ناجعاً، يُروى عن بعض السلف أنه صلى ركعتين بجوار قبر، ثم نام إلى جواره، فلما نام رأى صاحب القبر في منامه فقال له صاحب القبر ماذا فعلت؟ فقال صليت ركعتين خفيفتين بجوار قبرك، فقال يا هذا: هاتان الركعتان عندنا أفضل من الدنيا وما عليها.

وذكروا أن سليمان مر يوماً على بساطه في الهواء، وحوله الجن والإنس والخدم والطير، والريح تسيّره بأمر ربه، فنظر إليه فلاح يزرع في الأرض فقال: هذا هو المُلك هذا هو المُلك، مُلك سليمان بن داود لا هذه الأملاك. فحملت الريح كلامه إلى أذن سليمان عليه السلام فقال له سليمان: فيحكى أنه مر بحراث فقال: لقد أوتي ابن داود ملكاً عظيماً فألقاه الريح في أذنه، فنزل ومشى إلى الحراث وقال: إنما مشيت إليك لئلا تمنى ما لا تقدر عليه، ثم قال: لتسبيحة واحدة يقبلها الله تعالى خير مما أوتي آل داود.



تسبيحة منك أفضل من ملك سليمان، فلك سليمان سيزول، أما تسبيحتك هذه ستكتب عند الله عز وجل ولا تزول، فتأملوا الآخرة، واكشفوا الحجاب عن قلوبكم بالنظر إلى البعث والنشور، والمثول أمام الله عز وجل، فإنه آتٍ لا محالة، ولا يهلك على الله عز وجل وهو رؤوف رحيم شكور إلا هالك.

يا أمة محمد (٤/٤)



الشيخ خالد الراشد

فك الله أسره*

اسمعْ.. حتى تعلم لماذا اختار الله أولئك الرجال لصحبة نبيه ..

سمع النبي ﷺ عن رجل يُقال له خالد الهذلي يجمع الناس في مكة ليقتل النبي ﷺ، فنادى النبي ﷺ جندياً من الصادقين وقال له: «يؤذيني خالد الهذلي، ويتطاول عليّ». فقال الجندي: «روحي لروحك فداء، مُرني بما تشاء». فقال ﷺ: «اذهب إلى مكة وأْتِني برأس خالد الهذلي».

* الجزء الأخير من خطبة الشيخ الأسير المظلوم خالد الراشد، دفاعاً عن رسول الله ﷺ. موقع طريق الإسلام، ١٢-٣-٢٠٠٦م. رابط إلكتروني: iswy.co/e2326. وقد نشرنا بقية الأجزاء في الأعداد ٧ و٨ و٩، وهي الخطبة التي سُجن بسببها في ٢٠٠٦م ثم زِيد الحكم عليه مؤخراً وهو داخل السجن ليبلغ ٤٠ سنة!

ما تردد الصادق ولا تلكأ، ما قال: اعذرني، ما قال: المهمة صعبة، ما قال: أرسل معي فلاناً أو فلان، لكن قال مستفسراً: يا رسول الله ما رأيت الرجل قط ولا أعرفه، فقال ﷺ: «علامة الرجل أنك إذا رأيته تهابه». كانت العرب تقول خالد الهذلي رجل بألف رجل من شدته وبأسه، لكن أهل الإيمان لا يهابون إلا الجبار، يقول شيخ الإسلام: «ولا يخاف من المخلوق إلا مَن في قلبه مرض».

فانطلق ابن أُنيس الشاب التقي النقي حتى وصل إلى مكة؛ حيث أقام خالد الهذلي مخيماً له في مِنى يجمع الناس لمؤامرته الدنيئة؛ فجاءه عبد الله بن أُنيس عارضاً خدماته ومساعداته -فالحرب خدعة- فقبِله وأدناه، وكان ذا رأي ومشورة فقرَّبه منه. وبعدها بأيام يسير هو وخالد الهذلي خلف الخيام فاخترط عبد الله بن أُنيس سيفه واجتزَّ رقبة الرجل.

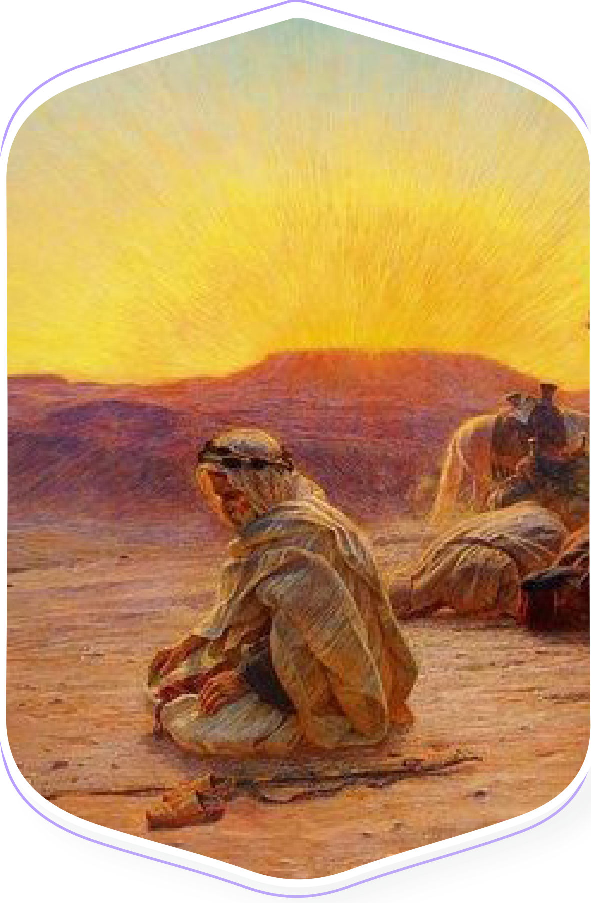


هكذا أصحاب محمد، تعودوا على جز الرقاب تقرباً إلى الله، ونحن نخاف أن نجتزّ رقبة شاة أو دجاجة؛ فرجع عبد الله بن أُنيس قافلاً إلى المدينة، بعد أن أتمَّ المهمة، يحمل رأس الكلب بين يديه، فلما وصل كان الوحي قد سبقه إلى النبي ﷺ وأخبره أنَّ الجندي قد أتم المهمة على أكمل وجه، فما إن رآه النبي ﷺ حتى قال: «أفلح الوجه». خذ عصاتي توكأ عليها أعرفك بها يوم القيامة.. وقليل هم المتوكئون.

فلما مات عبد الله بن أُنيس أمر بتلك العصا أن تُكفَّن معه في كفنه شاهداً وآية وعلامة أنه نصر الله ونصر الرسول ﷺ.

هذه أخبارهم فما هي أخبارنا! هذه مواقفهم فما هي مواقفنا! قال الله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوۡقَ أَيۡدِيهِمۡۚ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفۡسِهِۦۖ وَمَنۡ أَوۡفَىٰ بِمَا عَٰهَدَ عَلَيۡهُ ٱللَّهَ فَسَيُؤۡتِيهِ أَجۡرًا عَظِيمٗا﴾ [الفتح: ١٠]

صدقوا في حبهم لله ولرسوله، فصدق الله عزّ وجل معهم؛ منهم من اهتزَّ عرش الرحمن عند وفاته، ومنهم من كلّمه الله تعالى كفاحاً ليس بينه وبينه تَرجمان، فقال: تمنَّ يا عبدي، قال: أتمنى أن أرجع إلى الدنيا فأُقتل فيك، فقال له الله: إني كتبت عليهم أنهم إليها لا يرجعون ولكن أحل عليك رضواني فلا أسخط عليك أبداً. منهم مَن غسلته الملائكة بين السماء والأرض ومنهم من قال له النبي ﷺ: «إنَّ الله أخبرني أنه يحبك». وقال جبريل للنبي ﷺ عن خديجة: «أقرأها من ربها ومني السلام». وبشرها ببيت في الجنة من قصب لا صخب فيه، ولا نصب.



أليس هم الذين قال الله فيهم: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلۡأَوَّلُونَ مِنَ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحۡسَٰنٖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُ وَأَعَدَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي تَحۡتَهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١٠٠]

يقول قائلهم من الكفار: الإسلام دين لو كان له رجال.

إي والله ما كذب! اليوم يسيؤون لإسلامنا وقرءاننا ويشتمون نبينا ثم يقولون: لماذا أنتم إرهابيون ؟! فماذا تريدوننا أن نكون! انبطاحيون! مستسلمون! حرام في قوانينهم السخرية بالأديان إلا الإسلام، ويقولون عن الإسلام إنه (دين الساقطين أخلاقياً!) يقصدون بذلك نبينا ﷺ! فمن أين لنا بأمثال معاذ ومعوذ؟! أين لنا بأمثال ابن أُنيس وأولئك الرجال؟!

اسمعوا هذا الخبر ولنبكي سوياً على أنفسنا:



ذكر صاحب الدرر الكامنة في المجلد الثالث، الصفحة (٢٠٢) للتأكيد أنَّ جماعة من كبار النصارى ذهبوا لحفل أمير مغولي قد تنَّصر، فأخذ أحد دعاة النصارى يسبّ النبي ﷺ وهناك كلب صيد مربوط، فزمجر الكلب بشدة ووثب على الصليبي فخلصوه منه بصعوبة، فقال رجل منهم: هذا لكلامك في محمد. فقال الصليبي: كلا بل هذا الكلب عزيز النفس رآني أشير فظن أني أريد أن أضربه.

ثم عاد لسب النبي ﷺ بوقاحة أشد مما كان، عندها قطع الكلب رباطه ووثب على عنق الصليبي وقلع زوره في الحال! فمات من فوره فأسلم نحو من أربعين ألفاً من المغول.

غارت وغضبت الكلاب فأين غضبتنا؟

اشتاقت لك الجمادات والأشجار يا حبيب الله فأين أشواقنا؟! كان الحسن البصري رحمه الله إذا سمع حديث بكاء جذع النخلة على فراق النبي ﷺ يبكي ويقول: «يا معشر المسلمين! الجماد والجذع يحنان إلى رسول الله ﷺ أفلا تحنون أنتم إلى ذكراه؟»».

كان ﷺ دائماً يقول لأصحابه: «اشتقت لإخواني». قال: «بل أنتم أصحابي أما أخواني فهم الذين آمنوا بي وصدقوا بي واتبعوني ولم يروني»[١].

فماذا عسانا أن نقول له إذا ورد الناس حوضه وقال لنا استهزؤوا بي وشتموني وآذوني فماذا فعلتم دفاعاً عني وعن عرضي؟

١. روى الإمام مسلم (رقم ٢٤٩) أن رسول الله ﷺ أتى المقبرة، فقال: السلام عليكم دار قوم مؤمنين، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون، وددت أنا قد رأينا إخواننا. قالوا: أولسنا إخوانك يا رسول الله؟ قال: "أنتم أصحابي وإخواننا الذين لم يأتوا بعد".

مقاطعة



يا ولاة الأمور! هذه فرصتكم إن أردتم عز الدنيا وشرف الآخرة؛ لا يكن أهل الكرة أكرم عليكم من رسول الله ﷺ! ألستم حماة العقيدة والدين؟ فها هو باب الثرى فتح لكم على مصراعيه كما نصره الفيصل رحمه الله والشرفاء من قبله، أليس محمد ﷺ قد نشأ وترعرع وانطلق بدعوته من هذه الأرض المباركة ومات فيها وأنتم خدَّام مسجده فأين غضبتكم لله ورسوله؟! العالم كله ينتظر منكم موقفاً يعيد للأمة كرامتها التي داسوها تحت الأقدام!

قسماً بالذي لا دين إلا دينه! وقسماً بالذي محمداً رسوله! لن يقر لنا قرار ويهدأ لنا بال حتى يُطرد سفيرهم من أرضنا، وسفير النرويج الكافر الآخر!

لن نرضى إلا بقطع العلاقات وإيقاف المبادلات التجارية حتى يتأدب غيرهم، وهذا أقل واجب نقدمه للدفاع عن ابن عبد الله صلوات ربي وسلامه عليه، لن نقبل باعتذار من الصحيفة الفاجرة ولا باعتذار من كلبة الروم ورئيس وزرائها، ألا لعنة الله عليهم أجمعين.

سببتم رسول الله أف لدينكم •• وأمركم السيء الذي كان غاويا
فإني وإن عنفتموني لقائل •• فداً لرسول الله أهلي وماليا
أطعناه لم نعدله فينا بغيره •• شهاباً لنا في ظلمة الليل هاديا

الأيام بيننا يا عبّاد الصليب، وسنرى من تكون له العاقبة، ومن الذي يضل سعيه في الدنيا والآخرة: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا﴾ [الأحزاب: ٥٧]

وقال الله: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ﴾ [الكوثر: ٣] فكل من شنأه أو بغضه أو عاداه فإن الله عز وجل يقطع دابره ويمحق عينه وأثره، أليس الله سبحانه هو الذي قال: ﴿إِنَّا كَفَيْنَٰكَ ٱلْمُسْتَهْزِءِينَ﴾ [الحِجر: ٩٥] ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ﴾ [الزُّمر: ٣٦]. لكن الله أراد أن يبتلينا بصدق محبتنا لنبينا فماذا نحن فاعلون؟! ولله ماذا نحن قائلون؟! لا نريد عواطف لا نريد دموعاً.. شبعنا من هذا.. نريد صدقاً في المحبة، نريد صدقاً في الاتباع.. لا عذر لأحد.

والدين النصيحة، لله ولرسوله ولولاة أمر المسلمين، مَن كان يحب الله ورسوله فلا يبيتنّ الليلة إلا هناك، مطلبنا:

- لا يبقى سفيرهم وسفير النرويج ساعة واحدة في أرض محمد ﷺ.
- وأهل النيجر الفقراء الضعفاء ليسوا بأشجع منا، فقد طردوا سفير الصهاينة.

لا تعتذر بمدرسة أو اختبارات، فالذود عن نبينا أغلى من كل شيء، هو مستقبلنا، هو حياتنا، لا تعتذر بوظيفة أو مهمات، فهو دنيانا وهو آخرتنا. اليوم نعرف الصادق من الكاذب. ما رأيناك يا حبيب القلوب ويا طبيبها ولكن يعلم الله كم تشتاق الأنفس للقياك، ووالله الذي لا إله إلا هو لأنت أحب إلينا من أنفسنا ووالدينا وأهلينا والناس أجمعين.



فداً لك من يصبر عن فداك •• فما شهم إذاً إلا فداك

أروح وقد ختمتُ على فؤادي •• بحبك أن يحل به سواك

إذا اشتبكت دموع في خدود •• تبيّن من بكى ممن تباكى

إنَّ أحب الأسماء المناداة لنا حين يُقال لنا: يا أمة محمد. وحين نُنادى بها نقول: لبيك لبيك لبيك يا رسول الله. والخبر ما سيرى أولئك القوم لا ما يسمعون، فالشباب والشيب والنساء والأطفال متعطشون للذب عنك وعن عِرضك وعن التراب الذي وطأته قدماك، وسيعلم أولئك أنك تركت رجالاً.

وسيعلم أولئك ﴿أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾، نحن لا نحتاجهم ولا نحتاج أبقارهم ولا حليبهم وزبدتهم، هم يحتاجوننا، قاطعوهم -قطعهم الله- ولا تكن المقاطعة ليوم أو لأيام، بل أبداً ما حيينا، لسان حالنا ما قال إبراهيم عليه السلام ومن معه لقومهم: ﴿إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمۡ وَمِمَّا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرۡنَا بِكُمۡ وَبَدَا بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمُ ٱلۡعَدَٰوَةُ وَٱلۡبَغۡضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ وَحۡدَهُۥٓ﴾ [الممتحنة: ٤]

وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ

١٤٣٣

يا تجارنا لا تخذلونا، يا أهل الصحف والجرائد والمجلات لا تخذلونا، يا أهل الشاشات والقنوات لا تخذلونا، يا ولاة الأمور، يا خُدَّام الحرمين، لا تخذلوا أمة محمد ولا تخونوها في الله وفي نبيها، فليكن ولاؤنا لله ورسوله والبراءة من أعداء الله وأعداء رسوله!

آن الأوان

عباد الله إنَّ الله أمركم بأمر بدأ فيه بنفسه وثنى بملائكته المُسبحة بقدسه فقال جل من قائل: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب ٥٦]، اللهم صلّ وسلم وبارك على حِبك وصفيك وخليلك محمد، وعلى آله وصحبه، اللهم اجزِ عنا محمداً خير ما جزيت نبياً عن أمته، اللهم لا تحرمنا رؤيته واتباع سنته ونصرة دعوته، اللهم أوردنا حوضه واسقِنا من يده، ولا تفرق بيننا وبينه حتى تُدخلنا مدخله، اللهم انصر دينك وكتابك وسُنة نبيك وعبادك الموحدين، اللهم من تطاول على نبينا بقول أو برسم فأخرس لسانه وشلّ أركانه واجعله عبرة للآخرين، اللهم وفق ولاة الأمور لنصرة الإسلام ونصرة المسلمين، اللهم اجمع كلمتهم على الحق يا ربّ العالمين!



آن الأوان أن لا تأخذنا في الله لومة لائم، اللهم انصر المجاهدين في سبيلك، الذين يقاتلون من أجل إعلاء كلمة دينك، اللهم انصرهم في العراق، وفي فلسطين، وفي الشيشان، وفي كشمير، وفي أفغانستان، والسودان، وفي أوغادين، وفي كل مكان، اللهم كن لهم عوناً ونصيرا، ومؤيداً وظهيراً، اللهم فك أسرانا، وفك المعتقلين وفك أسرنا يا ربّ العالمين.

عباد الله ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٩٠]

فاذكروا الله العظيم الجليل يذكركم، واشكروه على نعمه يزِدكم، ﴿وَلَذِكۡرُ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تَصۡنَعُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٥]

بريد القراء

القِبلتان
رابطة توحيد الأمة

إيمان الحاج

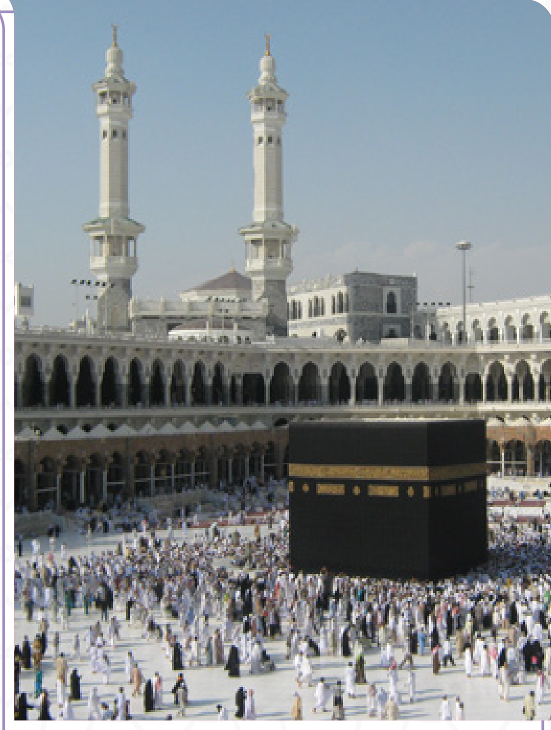
دراسات بيت المقدس- جامعة ماردين أرتوكلو



إن المتأمل لتاريخ المسجد الأقصى المبارك وأهميته الحضارية والتاريخية، يتبين له العلاقة الوثيقة بين هذا التاريخ وتاريخ بناء الكعبة المشرفة، فتاريخهما يبدأ من عهد آدم عليه السلام، الذي وضع أول مسجد على الأرض لعبادة الله وحده، وبَنَى الكعبة المشرفة، قال تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ [آل عمران: ٩٦].

وبعد أربعين سنة بُني المسجد الأقصى المبارك، فعن أبي ذر الغفاري رضي الله عنه قال: قلت يا رسول الله، أي مسجد وُضع في الأرض أول؟ قال: المسجد الحرام، قلت: ثم أي؟ قال: ثم المسجد الأقصى، قلت كم كان بينهما؟ قال: أربعون، ثم قال: حيثما أدركتك الصلاة فصلّ والأرض لك مسجد»[١].

الركيزة الأولى



وقد بُنيت المساجد لأنها أول وأهم ركيزة في بناء المجتمع الاسلامي، ولما لها من دور في تقدم الأمة فكرياً وحضارياً على مختلف العصور، ولا بد أن يتوفر في بنائها مجموعة من العناصر والملامح التخطيطية والتي تمثل بالمكان أو الحيز والقِبلة وحدود المكان، فالمساجد تُبنى تجاه القبلة، وهي ميزة انفردت بها المساجد الإسلامية دون غيرها من أماكن العبادة. كما أنه من شروط صحة صلاة المسلم الاتجاه نحو القبلة، والكعبة المشرفة من وجهة النظر الاسلامية هي أول قبلة جعلها الله للأنبياء والرسل[٢].

كما أن جميع مساجد الأرض خُططت بحيث يكون جدارها الأمامي عمودياً تجاه القبلة لصلاة المسلمين، وبالتالي إن أي مسجد أُسس بعد بناء الكعبة لا بد أن يكون تجاه القبلة.

أما عن اتجاه القبلة، يظن البعض أنها تكون بجهة معينة ثابتةل كل المسلمين، ولكن هذا غير صحيح فقد تكون القبلة تجاه الشرق لبعض المسلمين وربما في جهة الغرب أو الشمال أو الجنوب، مثلاً من كان في

---

١. البخاري ، محمد بن اسماعيل، صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، رقم ٣٤٢٥، دار طوق النجاة، ط١، ص ١٥٢١

٢. الدكتور هيثم الرطروط، المسجد الأقصى في الآثار القرآنية، مجلة دراسات بيت المقدس، صيف ٢٠٠٥، ٦ : ١-١، ٣٢

غرب مكة تكون القبلة بالنسبة له في جهة الشرق، ومن كان في شمال مكة كانت قبلته إلى الجنوب، وهكذا تختلف القبلة باختلاف موقع البلد الجغرافي بالنسبة لاتجاه مكة المكرمة.

وهنا لا بد من الإشارة الى أن الذين تكون قبلتهم إلى المشرق باستمرار هم طوائف من النصارى، ويتبين ذلك في قوله تعالى: ﴿وَلَئِنْ أَتَيْتَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ بِكُلِّ ءَايَةٍ مَّا تَبِعُوا۟ قِبْلَتَكَ ۚ وَمَآ أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ ۚ وَمَا بَعْضُهُم بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ ۚ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾ [البقرة: ١٤٥]

وقد فسرها العلماء -ومنهم ابن قدامة في المغني- أن النصارى يستقبلون جهة المشرق، وهذا من تحريفهم لدينهم ومخالفتهم للمسيح والإنجيل[٣].



الصلاة والقبلة الأولى

وقد فُرضت الصلاة على كل الأنبياء، فكانوا يصلون صلاة لها ركوع وسجود، وصلوا تجاه القبلة الأولى للمسلمين وهي الكعبة المشرفة، وذُكرت القبلة بشكل واضح في قوله تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَٱجْعَلُوا۟ بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [يونس: ٨٧].

---

٣. ابن قدامة، المغني، مكتبة القاهرة، ج١، ص٤٩٢.

فالصلاة عمود الدين وليحمي الله موسى وأخاه ومَن تبعهم من بني اسرائيل من بطش فرعون، بعد أن خافوا من أن يصلوا في الكنائس أو المعابد أمرهم أن يجعلوا بيوتهم مساجد مستقبلين الكعبة ويصلون فيها سراً.

وبقيت الكعبة المشرفة هي القبلة الأولى للمسلمين، ثم حُولت إلى بيت المقدس في عهد موسى عليه السلام، وبقيت قبلة مَن تبعه من الأنبياء والرسل لحين بعثة محمد ﷺ.

فمنذ بداية البعثة وقبل فرض الصلاة كان النبي ﷺ يصلي ركعتين قبل طلوع الفجر وركعتين قبل غروبها متجهاً نحو البيت المقدس، قال تعالى: ﴿فَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ ٱلْغُرُوبِ﴾ [ق: ٣٩] **قال ابن عطية:** أجمع المتأولون على أن التسبيح هنا الصلاة[٤]. ويتبين لنا ذلك من خلال أوائل السور التي نزلت على النبي ﷺ وتبين صلاته من بداية البعثة يسجد ويركع لله في صلاته متجهاً نحو بيت المقدس مثل سورة المدثر والمزمل، قال ابن إسحاق: «كانت قبلة رسول الله بمكة إلى الشام وكانت صلاته بين الركن اليماني والركن الأسود، يجعل الكعبة بينه وبين الشام»[٥].



وفي مسند أحمد قال إن النبي كانت قبلته وهو بمكة إلى بيت المقدس ويجعل الكعبة بين يديه أحياناً[٦].

---

٤. تفسير ابن عاشور ٢٦/٣٢٦.

٥. شرح صحيح البخاري لابن بطال، مكتبة الرشد. ج٢، ص١٥٨.

٦. مسند الامام أحمد، مؤسسة قرطبة، القاهرة، ص٣٢٥.

ومن المعروف أن النبي ﷺ عند بداية الدعوة كانت سرية في بيت الأرقم بن أبي الأرقم، وهو سادس مَن أسلم، وكان موقع بيته في شرق مكة على جبل الصفا، ثم انتقل إلى شعب أبي طالب لمدة ٣ سنوات، ثم إلى مسكنه، وهذه المواقع لا يمكن الجمع فيها بين مكة وبيت المقدس إلا اذا كان داخل الحرم المكي.

فالمسجد الأقصى المبارك هو القبلة الأولى للأمة المحمدية، صلى الرسول ﷺ وصحابته تجاهه قبل فرض الصلاة وبعد فرضها ليلة الإسراء والمعراج، واستمر ذلك طوال الفترة المكية وستة عشر شهراً أو سبعة عشر شهراً في المدينة، أي نحو ثلاثة عشر سنة في مكة وسنة ونصف في المدينة.



كما ثبت في حديث الصحيحين عن البراء قال: «صلينا مع رسول الله ﷺ نحو بيت المقدس ستة عشر شهراً، أو سبعة عشر شهراً ثم صرفنا نحو الكعبة»[٧].

الأمر بتحويل القبلة

ثم أمر الله عز وجل نبيه ﷺ وهو في المدينة المنورة بعد الهجرة أن يتجه بصلاته تجاه الكعبة؛ فتغيرت القبلة إلى مكة وعادت الكعبة هي القبلة للمسلمين، قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس: أول ما نُسخ من القرآن القبلة. وذلك أن رسول الله لما هاجر إلى المدينة وكان أكثر أهلها يهود أمره الله أن يستقبل بيت المقدس؛ ففرحت اليهود فاستقبلها رسول الله بضعة عشر شهراً ثم انصرف إلى الكعبة»[٨].

٧. مسلم، باب تحويل القبلة من القدس إلى الكعبة.

٨. شرح صحيح البخاري (ابن بطال).

وعن عبد الله بن عمر رضى الله عنه قال: «بينما الناس في قباء في صلاة الصبح إذ جاءهم آت فقال: إن النبي ﷺ قد أُنزل عليه الليلة قرآن، وقد أمر أن يستقبل الكعبة فاستقبلوها. وكانت وجوههم إلى الشام فاستداروا إلى الكعبة»[٩].

ونزلت آية قرآنية تطلب من النبي ﷺ تغيير القبلة، قال تعالى: ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِى ٱلسَّمَآءِ ۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا ۚ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ ۗ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَـٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾ [البقرة: ١٤٤]

وبالتأكيد أن تحول القبلة لا ينقص من أهمية بيت المقدس، لأنه بقي حاضراً في قلب النبي ﷺ وصحابته رضي الله عنهم، واهتموا به أشد اهتمام وعملوا على نصرته وتحريره.

مَن يتّبع الرسول؟



وكان تحويلها:

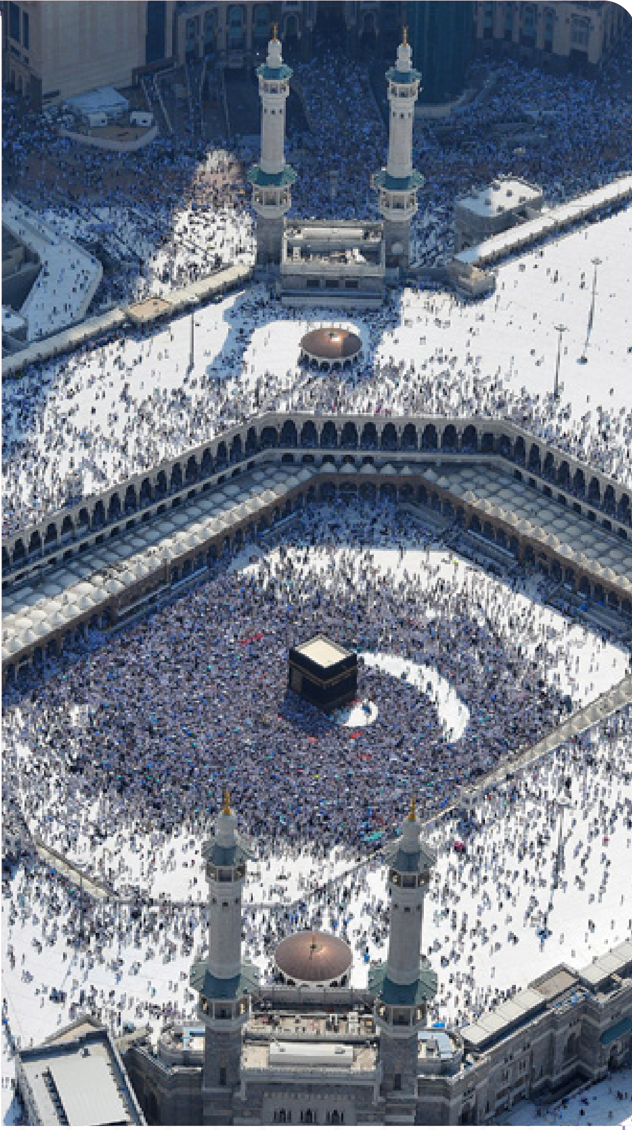
- أمراً ربانياً، فالله عز وجل لا يحكم بحكم إلا لحكمة عظيمة.
- استجابة لدعاء النبي ﷺ.
- تعظيم قبلة إبراهيم عليه السلام.
- ليمتحن القلوب المؤمنة وليرى مَن يتبع الرسول منهم ممن يرفض وينقلب على عقبيه، واختباراً وتربية للصحابة على السمع والطاعة والتسليم لله ولرسوله.

---

٩. البخاري، كتاب القبلة، باب ما جاء في القبلة. ج١، ص٥٩٩.

• لمخالفة اليهود الذين كانوا يفرحون أن المسلمين يوافقونهم في قبلتهم بدأوا مع المنافقين إثارة الشك والريبة والإرباك في صفوف المسلمين، وعدّوها فرصة لإحداث ضجة، لكن آيات القرآن الكريم كانت واضحة وبينت هدف اليهود، وقلوب المسلمين المليئة بالإيمان أقوى من مكرهم وخبثهم، قال تعالى:

﴿سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِى كَانُوا۟ عَلَيْهَا ۚ قُل لِّلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [البقرة: ١٤٢]



رابط توحيد الأمة

وأصبحت الكعبة قبلة المسلمين إلى أن يرث الله الأرض ومَن عليها؛ فالقبلة رابط لتوحيد الأمة وللتآخي، ولها بُعد عقدي وارتباط إيماني، ويسمَّى المسلمون أنهم «أهل القبلة».

وإن طول مدة بقاء المسجد الأقصى قبلة للمسلمين كافية لترسيخ مكانته في النفوس والقلوب، فمتى ما عظّمت الأمة واستشعرت حقيقة ومكانة أولى القبلتين للأمة المحمدية وعلاقتها بأول قبلة للأنبياء؛ فإنها ستعيد مجدها وعزها لأن رابط الدين أقوى الروابط وأعمقها.

أنصار النبي صلى الله عليه وسلم

﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِۦ وَبِٱلْمُؤْمِنِينَ﴾



@AnsarMagazine

الأمين العام للهيئة
د. محمد الصغير

رئيس التحرير
محمد إلهامي